

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أمدرمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية وال النقدية

شرح رسالة ابن زيدون بين الصفدي وابن عليم

دراسة أدبية ، نقدية ، مقارنة

بحث لنيل درجة الماجستير

في

اللغة العربية

تخصص: أدب ونقد

إعداد الطالب: صلاح الدين محمد عثمان محمد

إشراف الدكتور: فاروق الطيب البشيد

العام الجامعي: ٢٠٠٦/٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

موضوع البحث :

يتضمن هذا البحث شرح رسالة ابن زيدون الجدية بين الصفدي وابن عليم دراسة أدبية نقدية مقارنة .

أهمية :

إنه يسلط الضوء على ضرب من الأدب العربي يقوم على شرح وتفسير الرسائل الموجزة بما يتتيح لها من معان جديدة ، واستطراد من فون الكلام الأمر الذي يجعل النص الأصلي حديقة تزخر برقيق الشعر ، وحلو العبارة ، وعديد الحكم فيجد كل قارئ ما يروقه ويسره .

كما أن هذا النمط من الدراسات الأدبية المقارنة يسلط الضوء على جهود السابقين ويزدها - في عصرنا هذا - لتنمية الفائدة المرجوة منها .

أسباب اختياره :

أولاً: ابن زيدون شاعر ملأ سيرته الأفق ، وعمت البقاع .. له أسلوب رشيق ، وفكراً دقيقاً ، طوع العبارة حتى أطاعتني فنسج منها الشعر الخبر ، والأسلوب المنمق ، والمعانى العميقة مما يجعل الاطلاع على كتاباته ضرورة لا تقل عن الاطلاع على شعره ، وأمر يفيد اللاحقين كما أفاد السابقين .

ثانياً: استطاع العالم القدير ، والشاعر الكبير - صلاح الدين الصفدي - أن يضفي على رسالة ابن زيدون "الجدية" من ذاتيتها وأن يلوثها بما جادت به أريحيته من رصين شعره . وأن يزيّنها بالعديد مما نضحت به القرائح في الجاهلية والإسلام من القصائد الفريدة ، والحكم الرشيدة ، والحكايات والتوادر مما جعل شرحه حافلاً بأكرم الذخائر وأنفسها ، الأمر الذي أكسب الرسالة حلاوة على حلاوتها ، وأهمية على أهميتها .

ثالثاً: ثم بعد مضى ما يربو على الستمائة عام من شرح الصفدي العالم الشهير ، تناول الرسالة الأديب المصرى ابوبكر محمد عليم (الأمر الذى أتاح لى فرصة هذه الدراسة الأدبية للمقارنة بين كاتبين تناولا موضعيا واحدا في عهدين مختلفين) . ولقد أغدق الشارحان على الرسالة من جملة الفنون ما جعلها دائرة للعلوم الشاملة . يجد كل قارئ لها بعيته من اللمح التاريخية ، والإرشادات العلمية ، وعيون الشعر ورصين النثر.

رابعاً: هذا النوع من الدراسة فرصة سانحة لكشف المكنون في تراثنا العربي مما يجلب الإنتباه إليه فتتم وتعم الفائدة المنشودة منه .

المنهج الظاهري في إعداده :

المنهج الوصفي النقدي في دراسة الظواهر ، وتحليل النصوص.

الدراسات السابقة:

هذا الأسلوب من التأليف أعني - الشرح والتعليق على الرسائل أو الكتب الموجزة - فن تناوله العديد من الكتاب مثل ما اورده ابن ابي الحميد تعليقاً على كتاب نهج البلاغة وما اشتمل عليه كتاب خزانة الأدب للبغدادى وغير ذلك كثير. على هذا النهج جاء كتابا " تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون " للصفدى و" الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون لابن عليم ". غير أننى لم أقف على دراسة مقارنة سابقة بين هذين المؤلفين.

أهم المراجع والمصادر:

العديد من المصادر الأدبية التي تناولت حياة كل من صاحب الترجمة " ابن زيدون" و الشارحين " الصفدى " و " ابن عليم " وعصريهما.

والحديث عن المصادر الأساسية لابد أن يقودني إلى الصعوبات التي واجهتها وأنا أبحث بصورة خاصة عن مصادر ومراجع للسيرة الذاتية للأديب ابوبكر محمد عليم . حيث زرت العديد من المكتبات - دون طائل - كما أننى أتصلت بالعديد من الأصدقاء وذوى الشأن والمعارف في داخل السودان وخارجها طالباً يد العون وركزت بصورة خاصة على جمهورية مصر العربية " مسقط رأس الأديب " وتابعت بخشى في معارض الكتب المصرية التي أقيمت بالسودان كما زرت دار الوثائق

السودانية وبعد جهد كبير قيضاً الله لى لفيفاً من الأساتذة الكرام الذين أشاروا على بعض المراجع وبعد بحث طويل يسر الله الأمر ووفقني للحصول على بعض الكتب التي أعانتنى كثيراً على استحلاء حياة الأديب ابوبكر محمد عليم.

هيكل البحث:

يقع هذا البحث في أربعة فصول ، اشتمل الفصل الأول على التعريف بصاحب الأصل والشارحين وتضمن عدداً من المباحث والمطالب . أما الفصل الثاني، فقد اشتمل على وصف كتاب الأديب الصندي (تمام المتون) . بينما حوى الفصل الثالث على وصف لكتاب الأديب عليم(الدر المخزون).

أما الفصل الرابع والأخير فقد اشتمل على المقارنة والموازنة بين الشرحين ، وتضمن خمسة مباحث .

المبحث الأول عبارة عن مدخل ، والمبحث الثاني الاسلوب ، والمبحث الثالث اللغة ، والمبحث الرابع الموضوعات ، أما المبحث الخامس والأخير يحتوى على تقييم عام الشرحين . ثم تلى ذلك الخاتمة ، وهى أهم نتائج البحث، تعقب الخاتمة الفهارس العلمية للموضوعات والمصادر والمراجع.

و قبل أن أزاييل هذه المقدمة أهدى وافر الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الجليل الدكتور فاروق الطيب البشير الذى أشرف على هذا البحث وكان لآرائه وإرشاداته الفضل الكبير في أن يخرج بحثى بهذه الصورة .. كما أهدى أسمى آيات الشكر والتقدير للأستاذ النجاشى سعيد لآرائه القيمة وأفكاره السديدة ومدى بالكثير من الكتب من مكتبه العامرة والشكر موصول للأستاذ الدكتور أحمد محمد البدوى ثم يتصل الشكر لكل من أعانى برأى أو فكرة .. والله الحمد والمنة أن هيا لى من الصحة والعافية ما أعانى على اكمال هذا البحث.

الله أسائل أن يجزى الجميع أكرم الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

لخرطوم

٢٠٠٦ أكتوبر

الفصل الأول

التعريف بصاحب الأصل والشارحين

ويتضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول

التعريف ببابن زيدون ورسالته الجدية

المطلب الأول: محمد ابن زيدون

أولاً : الحياة السياسية

غابت شمس الدولة الأموية في الأندلس ، والقرن الخامس يؤذن بإشراف على نهايتها^١ . وبذلك أفلت قرطبة بقضها وقضيضها. وحلت مقامها دول ملوك الطوائف بالأندلس ، تلك الدول التي اقتسمت الأندلس وتوزعتها .. فكان للبربر الجنوب ، وللصقالبة الشرق ، وتشارك العرب والمولدون والبربر في الوسط والغرب. وعلى هذا النحو تفتت الأندلس إلى دويلات يصارع بعضها بعضاً.

ومع وجود التمزق والتشرذم الذي أصاب الأندلس أسوق أمرير جديرين باللحظة أولهما : أن نظام ملوك الطوائف لم يكن نظاماً استبدادياً بل كان نظاماً أشبه ما يكون بالنظام الجمهوري . إذ أن الملوك قد اختارتهم مدنهم ، وهم قد اختاروا إلى جانبهم مجموعة من الحجاج ، أو الوزراء ، كانت تسوس الدولة ، وتنتظر في شئونها المختلفة . وتعرض رأيها على رئيسها ، الذي يرفعه بدوره إلى الحاكم العام. فمثلاً حكومة بنى جهور في قرطبة ، نحضر وزراؤها بشئون البلاد ، وإدارة المدينة ، وكانوا مجلساً برئاسة أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، كان هو الحاكم العام. ولم يتم اختياره من قبل الوزراء وحدهم ، بل أسلهم أهل قرطبة ، من قضاة ورجال دين ، وعامة في إختياره . كذلك أو قريباً من ذلك كان الوضع في اشبيلية ففي خضم الفتن إختار اشبيلية قاضيها محمد بن عباد اللخمي ليدير شئونها. ولم يكن ينفذ أمراً إلا بعد اجتماع وزرائه ، الذين كانوا يجتمعون في نظام للنظر في أمور المدينة ومصالحها وشئونها المختلفة.

^١ انظر الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة -د. أحمد هيكل

وثاني الملاحظتين أن رجال الدين كان لهم نفوذ كبير على الشعب ، أقوى من نفوذ أصحاب السلطة . وأكبر دليل على هذا ثورة رجال الدين ، وأهل قرطبة على الحكم التربصي .

ومن دروس التاريخ المتكررة أن التفتت والتشتت يقود إلى ضعف النفوذ والهزيمة . ، وهذا ما حدث لملوك الطوائف ، إذ أن الكثرين من أصحاب هذه الدوليات غلبوا على أمرهم ، فنزلوا عن سلطتهم يقول د. شوقى ضيف^١ " وغلب كثير من هذه الدوليات الإسلامية على أمره ، فنزل عنه أصحابه لفرناند ملك قشتالة وليون ، أو دفعوا الجزية عن يد وهم خاضعون . وتبع فرناند ألفونس السادس فسرع الأندلس بحربه وأشعلها بجيشه ، فاستغاث المعتمد بن عباد زعيم ملوك الطوائف وكبارهم بيوفس بن تاشفين ملك المرابطين في المغرب ، فأغاره بجيشه جرار هزم المسيحيين هزيمة منكرة في موقعة الزلاقة المشهورة . ولم يلبث أن ضمّ الأندلس كلها تحت جناح دولته ، إذ رأها لقمة هينة سائفة " .

وبهذا انقضى عهد ملوك الطوائف بالأندلس .

ثانياً: الحياة الاجتماعية:

كانت الأندلس خليطاً من الأجناس بصورة لم تتوفر في أي إقليم عربي . فقد ضمت أجناساً شتى من السُّلْطُونَ والبَشْرِ والجَالِلَةَ استعمرها الفينيقيون واليونان . واستعمرها كذلك الرومان ، الذين نشروا فيها اللغة اللاتينية ، والديانة المسيحية . وقد اكتسحتها مجموعة كبيرة من قبائلهم الجermanية خاصة الفنداles الذين أشادوا بها دولة كبيرة . ومن اسمهم اشتق العرب كلمة " الأندلس " التي سموا بها جزيرة إيبيريا كلها .

عرفت الأندلس قديماً باسم إيبيريا يقول د. أحمد هيكل^٢ " وإنما عرفت في أقدم عصورها باسم إيبيريا Iberia نسبة إلى الإيبريين - Losiberos - الذين كانوا من أقدم من سكن هذه البلاد من البشر "

^١ ابن زيدون صفحتي ٥ - ٦

^٢ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة صفحة ١٣

" كذلك اطلق عليها الرومان اسم اسبانيا Hespania حين حكموها ، وقد استنبطوا هذا الاسم من تعبير فينيقي يعني " شاطئ الأرانب" . إذ أن الفينيقيين قد صادفوا كثيراً من الأرانب على الشاطئ الإيبيري الذين نزلوا به.^١

ثم جاء القوط الغربيون وإبان حكمهم فتح الأندلس موسى بن نصیر ، بجيشه من العرب والبربر . واستمر المسلمين في حكمها ، كما أسس بها عبد الرحمن الداخل " صقر قريش" دولة أموية عظيمة . استعان على حراستها بكل من اليهود والفرنسيين والإيطاليين والألمان^٢ . ومن هذه العناصر المتبااعدة تكون المجتمع الأندلسي . فمن آسيا جاء العرب ، ومن إفريقيا جاء البربر ، ومن أوروبا جاء الإسبان والإيطاليون والألمان . فجاءت مزيجاً من شعوب شتى وحضارات متباينة ، جعل من الصعب نعت هذا المجتمع بصفات تميزه وتشخصه . ولعل من أهم ما يميز المجتمع الأندلسي : ميله الشديد إلى الثورة يشهد على ذلك عصر ملوك الطوائف الذي حاولت كل مدينة فيه أن ترد سلطان غيرها عنها ، وأن تستقل بأمرها وإرادتها ، مما أسف عنه الصراع المزير والعراك الذي أضعف الدولة ، وأسلمه لقمة سائحة للمرابطين في المغرب . لم يكن هذا حال المسلمين في الجنوب وحدهم ، بل كان حال المسيحيين في الشمال أيضاً . كذلك عرفوا مصارعة الثيران بصورة ما بلغها غيرهم ، مما أورثهم حدة الصراع وسفك الدماء والعناد في غير مرحة ولا شفقة . طبيعة الثورة هذه أكسبت الأندلسي اعتدالاً بنفسه وميلاً إلى الحرية شاركت المرأة الرجل في كل أولئك بصورة لم يعرفها المجتمع الشرقي ، لا في بغداد ولا في غيرها . وقد عرفها المجتمع الأندلسي في قربة وفي غيرها . لا يدل ميل المرأة صوب الحرية وبجلسها الذي كانت تستقبل فيه أعيان عصرها وأدبائه كمجلس ولادة لا يدل على وهن في الدين . لا ، ولا إنفكاك عن التقاليد ، فإنه لم يكن لرجال الدين في بلد من بلدان الإسلام ، ما كان لهم في الأندلس ، من مكانة وهيبة تدلان على الإجلال والتوقير .

اتسم الأندلسيون بالثورة ، وحب الحرية ، والتقاليد الدينية ، ومع كل ذلك ، بل وفوق كل ذلك ، اتسموا بالترف إلى أبعد ما يمكن الترف . وبالرغم من وجود

^١ نفس المصدر السابق صفحة ١٣

^٢ انظر الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة -د. أحمد هيكل

الترف في المشرق العربي ، فإن دائته قد انداحت في الأندلس لتشمل أفراد الشعب ، إذ أن الإسراف وشرب الخمر ، والتهالك على اللذات ، كان ديدن المجتمع - حتى طال الأمر القضاة ورجال الدين . فهذا أبوبكر بن ذكوان - قاضي أبي الحزم بن جهور صاحب قربطة - أجل القضاة وأبعدهم وقاراً ومهابة وعدلاً. هكذا كان في مجلسه في النهار حتى إذا أرخى الليل سدوله أقبل مع أصحابه " على القصف ، وتجاوز في ذلك كل وصف " ^١

عادات الأندلسيين وتقاليدهم:

من أهم صفات الأندلسيين وعاداتهم التي اشتهروا بها:

(أ) أزياءهم:

ومن حيث الزى ، فالغالب على أهل الأندلس ترك العمام ، ولا سيما في شرق الأندلس ، أما أهل غربها فلا تكاد ترى فيهم فقيهاً ، ولا قاضياً مشاراً إليه ، إلا وهو بعمامة. وكثيراً ما يتزىّن سلاطينهم وجنودهم بزى النصارى المجاورين لهم. ^٢ ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان ^٣ إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ . ولا سبيل ليهودى أن يتعمم ألبته. والذئابة^٤ لا يرخيها إلا العلماء ، ولا يصرّفونها بين الأكتاف ، وإنما يسلونها من تحت الأذن اليسرى. وهم لا يعرفون أشكال العمامات المشرقة ، وإن رأوا على رأس مشرقي - داخل إلى بلادهم - شكلا منها أظهروا التعجب والإستظراف دون أن يحاکوه ، لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم ، وكذلك الشأن في تفصيل الثياب.

أما النساء الأندلسيات فيغلب على زيهن الأنفة والبذخ ، والتفنن في الزينة وأشكال الحلى.

^١ الذخيرة ، المجلد الأول صفحة ٣٥٨

^٢ الأدب العربي في الأندلس صفحة ١٤٢

^٣ الطيلسان : ثوب موصول به غطاء للرأس

^٤ الذئابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس

(ب) حب النظافة:

وعن النظافة يقول المقرئ " وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون ، وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطويه صائماً ويكتف بصابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها ".^١

(ج) شعار الحداد:

إذا تعارف الناس على لبس السواد شعاراً للحداد فإن الأندلسيين تعارفوا على اللون الأبيض كشعار للحداد. بقول ابن برد الأصغر:

يقولون : البياض^٢ لباس حزن
بأندلس ، فقلت : من الصواب
ألم ترني لبست^٣ بياض شعرى
لأنى قد حزنت على الشباب

(د) حسنة تذليلهم:

والأندلسيون في شعور حيائهم المعيشية أهل احتياط وتدبير ، وحفظ لما في أيديهم ، مخافة ذل السؤال. ولهذا فهم أبعد الناس عن الإسراف والتبذير . وقد ينسبهم للبخل من لا يعرف حقيقة بواعثهم لهذا السلوك ، مع أن لهم مروات على عادة بلادهم ، لو فطن لها حاتم الطائي ، كما يقول المقرئ ، لفضل دقائقها على عظامه !^٤

ولعل فيما وقع لابن سعيد " هو عبد الملك بن سعيد صاحب كتاب " المغرب في حل المغرب"^٥ ووالده في إحدى قرى الأندلس ما يفسر بواعث هذا السلوك عند الأندلسيين. قال ابن سعيد : " لقد اجتررت مع والدى على قرية من قراها - الأندلس - وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل ، فأوينا إليها ، وكنا على

^١ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٢٠٨ / ١

^٢ الأدب العربي في الأندلس صفحة ١٤٣

^٣ الذخيرة ، المجلد الثاني صفحة ٣٨

حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية ، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها ، من غير معرفة متقدمة ، فقال لنا : إن كان عندكم ما اشتري لكم فحماً تسخنون به ، فإني أمضى في حوائجكم ، وأجعل عيالى لشأنكم ، فأعطيتكم ما اشتري به فحماً ، فأضرم ناراً ، فجاء ابن صغير له ليصطلي فضريه ، فقال ، له والدى : لم ضربته ؟ فقال : يتعلم استغنان أموال الناس والضجر للبرد من الصغر.

ثم لما جاء النوم قال لابنه : اعط هذا الشاب كساك الغليظة يزيدها على كسايه ، فدفع كساه إلى ، ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي متباهاً ، ويده في الكسأ . فقلت ذلك لوالدى ، فقال : هذه مروات أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم : أعطاك الكسأ وفضلك على نفسه . ثم فكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساه خوفاً من انفالك بها وهو نائم . وعلى هذا الشئ الحقير فقس الشئ الجليل" ^١

(هـ) تراهينهم للتسلُّل:

وعادة التسلُّل مستهجنة عند الأندلسيين ، وإذا رأوا من هو قادر على الكسب ، سليم البنية وهو يتکفف الناس سبوه وأهانوه ، ولذلك قلما تجد سائلاً إلاّ صاحب عذر حقيقي.

ثالثاً: الحياة العلمية

لقد بدأت النهضة الأدبية في الأندلس منذ القرن الرابع ، إلاّ أنها آتت أكلها في عصر ملوك الطوائف حيث أصبحت قرطبة منارة للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إلى جانب مناراتها الأخرى في المشرق ، كالقاهرة وبغداد ودمشق وغيرها . لم تكن الأندلس منارة في مجال الأدب وحده ، بل كانت منارة في ميدان الحياة الإنسانية كلها . إذ بدأ الغرب المسيحي يقبل على قرطبة ، وينهل من معارفها وثقافاتها ، مما كان له أبعد الأثر في النهضة الأوروبية الحديثة . ولعل من أبرز الوسائل التي أعانت الأندلسيين في اكتساب العلم ، وتأسيس حركته في بلادهم ، أمور أربعة :

^١ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٢٠٨ - ٢٠٩ / ١

أولها: دعوة علماء المغاربة إلى الأندلس ليستفيد أهل الأندلس من علمهم الشر ، وينهلو من أدبهم الجم ، وخير مثال لذلك رحيل أبي علي القالي صاحب كتاب "الأمالى" من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة عبد الرحمن الناصر ، حيث لقى عنده كل أكرام ، واحتضن بابنه الحكم المستنصر ، وأورث أهل الأندلس علمه.^١

وبهذا تمكن أبي علي القالي من بعث نهضة علمية وفكرية لا سيما وأنه كان إماماً في اللغة حافظاً لأشعار العرب ، فروى الكثير من مختارات الأدب وأغناها بشرحه نظماً ونشرأ.

ثانية: رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق للتبصر في علوم المغاربة ، والعودة لنشرها في الأندلس ، ولعل يحيى بن يحيى الليثي خير مثال على ذلك . إذ أنه ارتحل إلى المدينة المنورة وتتلمذ للإمام مالك ، إمام دار المحرقة ، وأخذ عنه كتابه المسمى "موطأ الإمام مالك" كذلك سافر إلى مصر وأخذ من أكابر علمائها ثم عاد ونشر علمه بين أهل الأندلس.^٢

ثالثها: جمع الكتب ، وإنشاء المكتبات العامة ، التي يؤمها الدارسون والباحثون . بالإضافة إلى إنشاء دور العلم. ولقد استكثر عبد الرحمن الناصر ، وابنه المستنصر ، من إنشاء المدارس. بجانب جامعة قرطبة ، التي كانت تشع أضواؤها في العالم الغربي كله . الأمر الذي كان له أبعد الأثر في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بالأندلس ، وتحريك هم الناس ، وحفزهم للإقبال على قراءة كتب الأوائل . وتعلم مذاهبهم . فنشطت الدراسات اللغوية والفقهية والنحوية والتفسير ، وغير ذلك كثير. وما إن يظهر مؤلف في المشرق إلا نقله الأندلسيون إلى بلادهم . وما نقلوه "البيان والتبيين" و"رسالة التربيع والتدوير" للجاحظ.^٣ وديوان أبي تمام ، والمبني ، وسقط الزند والنزوميات ، ورسائل بدائع الزمان ومقاماته ، ومقامات الحريري.

^١ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٣٦٢ / ١

^٢ نفس المصدر ٢١٧ / ٢

^٣ معجم الأدباء لياقوت الحموي (طبعه فريد الرفاعي) ١٠٤ / ١٦

رابعها: أمراء الأمويين وخلفاؤهم في الأندلس. ثم من جاء بعدهم ، من ملوك الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين ، وبني الأحرر . كما أنهم اتخذوا حجاجهم وزرائهم وكتابهم من مشاهير الأدباء. وفي ذلك ميدان حديد للتنافس بين أدباء كل عصر ، في نيل حظوة الملوك ، والتقرب إليهم بالأدب والعلم. ولقد كان معظم الملوك ، أو الأمراء أدباء ، أو شعراء ، أو علماء. مما يعني أنهم ارتفوا في خضم الحركة العلمية ، والأدبية ، والفنية . بل كانوا من فرسان حلبتها ، ومن أعنوها من نتاج عقولهم وقرائحهم. فمثلاً مؤسس إمارة قرطبة - عبد الرحمن الداخل - كان شاعراً . ومن ملوك الطوائف الشعراً المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، ومنهم المعتمد بن عباد - صاحب اشبيلية وملك شعراء الأندلس . فقد كانت اشبيلية حينئذٍ مركزاً للشعر والشعراء . هذا ولما استولى النورمان على صقلية ، وخرب العرب القiroان ، رحل الشعراء من هذه وتلك إلى اشبيلية حيث الجوائز السنوية ، وحيث الخمر واللهو والغناء . فجاءها ابن حميس وأبي العرب الصقلي والمحصري ، فكان ذلك سبباً في نهضة الشعر بعاصمة بنى عباد . وجرى فيها الشعر على كل لسان . حتى لقد أجازت غسالة شطراً من الشعر للمعتمد الذي سأله وزيره ابن عمار أن يجيز الشطر ، فتلجلج ، فبادرت الغسالة لتنقذه . فأعجب بها المعتمد وتزوجها . وهي الرميكية المعروفة . وهي التي تمنت في قصره لو عجنت الطين برجلها ، كما كانت تصنع قديماً ، فنشر لها كافوراً وعنبراً كثيراً ، وصنع لها منها ما صبت نفسها إليه.^١

وكانت مجالس الأدب في الأندلس من أكبر مسارح الأفكار ، وأفخم مظاهر الجمال ، وأظهر مظاهر الحياة العقلية الإجتماعية. كانت تحفل بأنواع الأدب ، وألوان الطرف ، وأفانين اللهو والسمر ، وكان الشعر فيها نشوة الشارب ، وغناء الراقص ، ولغة الكؤوس ، وأدب النفوس.^٢ حيث كانت للمعتمد دار مخصوصة بالشعراء ، وديوان تقيد فيه اسماؤهم ، وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه ، فلا يدخل عليه غيرهم.^٣ وكذلك كان للمنصور بن أبي عامر مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل الأدب والعلم.

^١ ابن زيدون - د. شوقى ضيف صفحة (١٣)

^٢ قصة الأدب في الأندلس صفحة (٢٣٦)

^٣ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٤٦٨/٢

نهن مؤلفاتهم:

من المعروف أن العرب لم يدخلوا بلداً إلا نقلوا لأهله لغتهم العربية . وأبدلوا من لغته الأصلية لغتهم العربية . كذلك كان الحال في الأندلس . حيث أصبحت اللغة العربية وسيلة للتعبير ، عن العواطف والمشاعر . ولقد ذهب الأندلسيون في تقليد المغاربة مذهبًا بعيداً ، حتى ليقول صاحب الذخيرة إنهم " أبو إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعى بتلك الآفاق غراب ، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنمًا ، وتلوا ذلك كتاباً محكمًا " ^١

ومن مؤلفاتهم " العقد الفريد " لابن عبده ربه والذي كان مشرقياً صرفاً حتى إن الصاحب بن عباد لما اطلع عليه قال عبارته المشهورة " هذه بضاعتنا ردت إلينا " . ومن مؤلفاتهم " الفصل في الملل والأهواء والنحل " لابن حزم وفيه يتعرض لفرق الإسلامية المختلفة آراءها ومعتقداتها بصورة لم يسبقها إليها أحد . كما ألف ابن شهيد رسالته " التوابع والزواوج " وهي رحلة للشاعر في عالم الجن . كما كتب شاعرنا ابن زيدون رسالته الجديه - موضوع بحثي هذا - والمجزية . ولقد عمت الأندلس نحضة علمية وفكرية وفلسفية تميزت بها . كما تميزت الأندلس بروعة بيتها العقلية والشعرية مما أغراها أن تتميز في الشعر والفن فجاءت " المؤشحات الأندلسية " في عصر ملوك الطوائف لتزاوج بين الشعر وبين أغانيها الشعبية .

المطلب الثاني: شخصية ابن زيدون وسالته الجدية

مولده : هو ابو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي^١ الأندلسى القرطبي . فهو عربي صريح. يتتمى الى قبيلة بني مخزوم " وهى بطن من بطون قريش العشرة ، التي انتهى إليها الشرف في الجاهلية ، ووصلته في الاسلام"^٢ جاء أجداده من جهة المغرب ، وكان بيت بني زيدون من أكبر بيوتهم جاهًا ، وثقافة، وأدبًا^٣. كانت أسرتا الشاعر لأبيه وأمه منار المراكز في المجتمع الأندلسى ، فهو من أرومة ونسب كريم. فوالده كان ذا جاه عريض ، ومال وفير ، وضياع . وعده ابن الآبار من وجوه أصحاب ابن ذكوان وشيع الخليفة سليمان وشبور بقرطبة.^٤ وسليمان هو سليمان المستعين الذي ولى الخلافة هناك من سنة ٣٩٩ إلى سنة ٤٠٧ للهجرة . وابن ذكوان هو ابو العباس احمد بن محمد بن ذكوان قاضى القضاة بقرطبة حتى سنة ٤٠١ هـ . وكان يشاوره ويراجعه في فتاويه وأحكامه ، كما كان مرجع غيره من القضاة وموضع مشورتهم^٥ وأبوه كان ضالعاً في ضروب العلم ، حمّ الرواية ، من أهل المعرفة باللغة والأداب. وكانت له المشورة في قرطبة ، فقد كان قاضياً ثرياً غزير العلم والأدب. وكان ابوبكر (كنية أبيه) فقيهاً^٦ - قيل إنه توفي بالبيرة^٧ بالقرب من غرناطة ، حيث كان متوجهاً إليها ليتفقد بعض ضياعه . وحمل إلى قرطبة ، دفن فيها .

رثاه ابوبكر عبادة - شاعر قرطبة الكبير - مستهلاً بقوله^٨
أئِ رَكْنٍ مِنْ الرِّيَاسَةِ هِيَضَا *** وَجُمُونَ مِنْ الْمَكَارِمِ غِيَضَا
حَمْلُوهُ مِنْ بَلْدَةٍ نَحْوَ أَخْرَى *** كَيْ يَوَافُوا بِهِ ثَرَاهُ الْأَرِيَضَا
مِثْلُ حَمْلِ السَّحَابِ مَاءٌ طَيِّبَا *** لِيَدَاوِي بِهِ مَكَانًا مَرِيَضَا

^١ وفيات الأعيان (ابن خلكان) ١/٥٣ - فلاند العقیان ٧٠

^٢ العقد الفريد لابن عبد ربہ ٨ ، ٩

^٣ مجلة ابولو يناير ١٩٣٣ : ٥٦٧

^٤ التكميلة لابن الآبار ٤٦٦

^٥ ابن زيدون د. شوقي ضيف ١٦

^٦ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ١/١٣١

^٧ ابن زيدون د. شوقي ضيف ١٥

^٨ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٢/٤٣٠

ويعلق د. شوقي ضيف على هذه الأبيات فيقول:

(وتعبير عبادة بأنه "ركن من الرياسة " يدل في وضوح على أنه كان من رؤساء الدولة الأموية في قرطبة " بينما يقول ابن الآبار عنه : " كان أحد وجوه أصحاب ابن ذكوان وشيع الخليفة سليمان ، وشبور بقرطبة" ^١

" أما جده لأمه فهو الوزير ابوبكر محمد بن محمد بن ابراهيم صاحب الأحكام " يعني أنه اشتغل بالفقه والقضاء " ويعرف بابن المداهيد ^٢ تولى القضاء بمدينة سالم ثم أحكام الشرطة والسوق بقرطبة.

نشأته: ولد ابن زيدون في الرصافة ، وهى من أحياء قرطبة المتشابكة المبنى ، في ليلة من ليالى الخريف سنة ٥٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) ، وتقع قرطبة ، عاصمة الملك ، في الوسط في بلاد الأندلس. وقد استغرق تعداد فضائلها ، وجمالاتها في كتاب نفح الطيب للمقرئ ، ثمانى وستين صفحة كبيرة ^٣.

اهتم به أبوه ، وأحضر له العلماء والفقهاء ، فعلموه مبادئ الشعر ، واللغة ، والقرآن على الطريقة الأندلسية المتبعة . ولد أبوه في عام ٥٣٠ هـ. وتوفي في عام ٤٤٠ هـ (١٠١٤ م) وابنه لم يتعد الحادية عشرة من عمره . ولازم شاعرنا بعد وفاة أبيه صديقه أبي العباس بن ذكوان الذي توفي سنة ٤١٢ هـ (١١١٩ م).

كان ابن زيدون نبتة صالحة ، غذاها العلم ، فأنفتحت شهي الشمر ، نظم الشعر في العشرين من عمره ، وذاع صيته ، وطارت شهرته في قرطبة إثر إلقائه مرثاة بليغة على قبر القاضي الفقيه ابن ذكوان.^٤

شيوخه وأساتizه :

قلنا إن والده قد اهتم بتعليمه وأحضر له الأساتيد الذين علموه مختلف العلوم. وكان أولهم والده ذا العلم الكبير باللغة والآداب فتعهده منذ نعومة أظفاره . وفي هذا الصدد يقول د. شوقي ضيف " وظن ظناً أن ابن زيدون لزم صديق أبيه

^١ ابن زيدون د. شوقي ضيف صفحتي ١٥ - ١٦

^٢ ابن زيدون وأثر ولاده في حياته وأدبها صفة ٢٢

^٣ نفح الطيب تأليف أحمد المقرئ ٧٥/١

^٤ تاريخ الفكر الأندلسى صفة ٨٠

ابي العباس بن ذكوان ، وأفاد من علمه وفقهه ، فقد كان عالم قرطبة الأول في عصره وامتدت حياته بعد أبيه إلى سنة ٤١٣ للهجرة ^١ كذلك تلمند على يدي ابوبكر مسلم بن أحمد وهو ابن أفلح النحوى كان أديباً في علم اللغة والأدب ورواية الشعر. ^٢

كما أنه كان يتعدد إلى صحون الجماع ورحابها ، ودور الكتب وحوائط الوراقين لينهل المزيد من العلم كما لم يفته حضور الدروس التي تلقى في جامعة قرطبة الكبيرة فقد كان يؤمها ممياً نفسه أن يغذى عقله وروحه من فيضها. أما وليم الخازن فيقول " ولم يعطنا الذين دونوا حياة الشاعر أسماء أساتذته بالتابع ". ^٣

ملائته وأخلاقه: ونشأة الشاعر في قرطبة أعانته على الإنكباب على العلم والتحصيل. فقد كانت هذه المدينة موئل العلماء والأدباء. وقد أحب شاعرنا التحصيل وفي ذلك يقول مفاحراً:

" ونجّنى علم " توالٰت فنونه ^{****} كما يتولى في النظام سخاب ^٤
ويبدو أن شاعرنا قد درس علم الأصول فهو يقول لصديقه ابى حفص بن

برد:

وودادى لك نص ^{****} لم يخالفه قياس
فهو يشير في هذا البيت الى ما هو معروف بين علماء الأصول من تقديم
نص الكتاب ، والسنة المتواترة على القياس العقلى في الأحكام الفقهية . فهو يرى
أن النص والقياس كليهما يتفقان في وداده ولا يختلفان. وابن زيدون ذو ثقافة واسعة
، ولعله استقى معارفه من أكثر الكتب العلمية والأدبية الشائعة في عصره . فهو
يقول في بعض مدائحه:

" أغّرْ " متى ندرس دواوين مجده ^{***} يرقنا غريب " محمل " أو مصنف .
" والغريب المصنف " كتاب في اللغة لابن عبيد القاسم بن سلام .

^١ ابن زيدون د. شوقى ضيف صفحة ١٦

^٢ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم صفحة ٥٦٧

^٣ ابن زيدون وأثر ولاده في حياته وأدبها صفحة ٢٥

^٤ سخاب: قلادة تتخذ من أزهار عطرة

وهكذا نلمح في شعره كثيراً من الإشارات الثقافية.^١

جاء في جواهر الأدب عن سيرته " هو الكاتب الشاعر ذو الوزارتين"^٢ يقول الكاتب وليم الخازن تعليقاً على هذا.^٣ واستنتاج بعضهم أن المعنى بتسميته ابن زيدون بذى الوزارتين ، انتدبه لرئاسة الوزارة ، وأمارة الجيش ، وقد أورد ابن خلدون هذا التفسير للقب ذى الوزارتين.^٤ وقال إنه يعطى لمن ينوب عن الملك ، وليس من الضروري أن يكون نائب الملك حاملاً للسيف والقلم". كما كان ابن زيدون يلقب ببحترى المغرب.^٥

كان شاعرنا يعني به مظهره يقول الصدفى أنه كان " يخضب بالسود "^٦ كان وسيم الحياة ، قوى العارضة ، وحلو الحديث " وكان صلب العود بدليل أنه وقف يجامل الرؤساء ، والمعزين في موت ابنته ، بديهيّة حاضرة ، وفطنة بالغة ، وقيل إنه " ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد "^٧

أما عن أخلاقه ، فإن حياته في عصر احتوشه الفتن والقلائل ، أثرت على نفسه وبخاريه ، فعظم دهاؤه ، وقويت حيلته كما كان شديد الإعجاب بنفسه شجاعاً في تحجماته الأدبية ، لم يحارب إلا بقلمه. كما إنه كان يباشر الله وهو اللذات مع ولادة ، وصديقه أبي الوليد بن جهور ، وأبي بكر بن ذكوان. وجهان يناظران شاعرنا : أولهما : أنه شاعر متاثر بالجمال مشغوف بمجالس الله ، وهذا ما سيقودنا إلى الحديث عن علاقاته مع ولادة...وثانيهما : أنه شاعر سياسي طموح وهذا ما ستجلوه لنا علاقاته مع بنى جهور ، وما ناله من سجن ، ثم إنتقاله إلى بنى عباد وحظوظه عند ملوكهم وما وافق هذه الحياة المضطربة من شعر.

^١ ابن زيدون د. شوقى ضيف صفحة ١٨.

^٢ جواهر الأدب ٣١٠ : ٢ قصة الأدب في الأندلس صفحة ٣٠٦

^٣ ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه صفحة (٣٩)

^٤ المقدمة صفحة ٢٠٩

^٥ قصة الأدب في الأندلس صفحة ٣٠٨

^٦ تمام المتن صفحة ٢١

^٧ نفح الطيب ٢٨٣ / ٢

ولادة بنت المستكفي:

من هي هذه الفتاة التي هام بها شاعرنا وألف فيها من القريض ما سارت به الركبان ، وأصبح حديث الأزمان ؟ إنها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري ، الملقب بالمستكفي ، ويرجع نسبها إلى سلالة الأمويين ، وتتصل سلسلة أجدادها بعد الرحمن الناصر ، أشهر خليفة أموي في الأندلس .^١ بويع أبوها يوم قتل المستظاهر في ٣ ذى القعدة من عام ٤١٤هـ. ١٧ كانون الأول سنة ١٠٢٤م . وصفه أبوحيان مؤرخ الأندلس.^٢ بأن "الله تعالى أرسله على أهل قرطبة محنـة وبـلـية ، إذ كان مـنـذـ عـرـفـ غـفـلاًـ عـطـلاًـ ، مـنـقـطـعاًـ إـلـىـ الـبـطـالـةـ ، مـجـبـولاًـ عـلـىـ الـجـهـالـةـ ، عـاطـلاًـ مـنـ كـلـ خـلـةـ تـدـلـ عـلـىـ الـفـضـيـلـةـ مـعـرـفـاًـ بـالـتـحـلـفـ وـالـرـكـاـكـةـ ، سـقـيمـ السـرـ وـالـعـلـانـيـةـ ، أـسـيـرـ الشـهـوـةـ ، عـاـهـرـ الـخـلـوـةـ" . وأمهـاـ اـسـمـهـاـ حـورـاءـ وـهـيـ اـبـنـةـ سـكـرـىـ المـوـرـوـيـةـ ، وـهـيـ أـمـةـ حـبـشـيـةـ ، مـسـيـحـيـةـ ، اـسـتـبـدـتـ بـالـمـسـكـفـيـ .^٣ ولم تدم ولـاـيـةـ وـالـدـهـاـ طـوـيـلاًـ إذـ ثـارـ عـلـيـهـ أـهـلـ قـرـطـبـةـ ، بـعـدـ سـبـعـةـ عـشـرـ شـهـرـاًـ لـوـلـايـتـهـ فـهـرـبـ ، وـدـسـ لـهـ أـحـدـ ضـبـاطـهـ السـمـ فـمـاتـ .

كان أبوها قد عنى بتربيتها ، وأحضر لها المعلمين والملحقين ، وحدب على تربيتها بما يليق ببنات الملوك . يقول عنها المقرئ في كلامه عن ولادة : " كانت واحدة زمانها ، المشار إليها في أواها ".^٤ ويؤكد ابن بسام أنها " كانت واحدة أقرانها حسن منظر ومخبر "^٥ ونعرف أيضاً من " نزهة الأ بصار" و " سرح العيون"
أنها كانت جميلة ...^٦

واستخلاصاً لوصف ابن زيدون لها فقد كانت بيضاء البشرة ، ذات شعر أشقر... هذا ولم يتذل حجابها إلا بعد وفاة أبيها كما يقول ابن نباته " ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتلها وتغلب ملوك الطوائف"^٧ ويبدو أن نساء الأندلس

^١ ابن زيدون واشر ولاده في حياته وأدبه صفحة ٤٣

^٢ الذخيرة ٣٨٠ / ١

^٣ نفس المصدر ٣٨٠ / ١

^٤ النفع ٧٨٩ / ٢

^٥ الذخيرة ٣٧٦ / ١

^٦ سرح العيون صفحة (٧)

^٧ نفس المصدر صفحة (٥)

كن يتمتعن بحرية تفوق ما أله المشرق. يقول ابن بسام عن مجلسها.^١ وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار مصر ، وفناؤها ملعاً لجياد النظم والنشر يعشوا أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراه والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة متابتها " وما يؤكد قلة مبالاتها وبمحابرتها بلذاتها زعموا أنها كتبت على أحد عاتقى ثوبها مطرزاً بالذهب:

أنا والله أصلح للمعالي **** وأمشي مشيتى وأتىه تىها

وكتب على الآخر: وأمكن عاشقى من صحن خدى*** وأعطي قبلتى من يشتهيها وهكذا نرى أن ولادة مع ميلها للأدب ونظمها للشعر كانت مولعة بالحب مستسلمة للعب ولكنها لم تتزوج طوال حياتها وقد أولع بها شاعرنا ابو الوليد - ابن زيدون - فأعجبت بشعره وبلامته ووسامته وأخذنا يختليان بعد ذهاب الزوار ، ويتبدلان الهوى ، ويشربان الراح على صوت عتبة " مغنية ولادة المفضلة "^٢ ولقد ظهر منافسان لابن زيدون في حب ولادة هما :

ابو عامر بن عبدوس ، وأبو عبد الله بن القلاس . فنجح الشاعر في إبعاد ابن القلاس بعد زحرة عنيفة محكمة جعلته يؤثر السلامه. وبقي ابن عبدوس صلاية على رقبة شاعرنا . ويخبرنا ابن نباته أن ولادة كانت كثيرة العبث بابن عبدوس وقد نقلت قول أبي نواس من المدح إلى المحاجء عندما مرت يوماً على داره ، فرأته حالساً أمم الدار ، وإزاء بركة متولدة من كثرة الأمطار فلما رآها نشر كمية ونظر في عطفيه وحشد أعنوانه إليه ، فقالت له : أبا عامر :

أنت الخصيب ، وهذه مصر *** فتدفقا ، فكلا كما بحر
فتركته لا يحير حرفأ ، ولا يرد طرفأ.^٣

وفي منتدى ولادة تمكنت بينها وبين ابن زيدون أواصر الصداقة ووقع في اشتراك حبها وهذا هو شاعرنا يقص لنا لقاءه مع حبيبه فيقول : فلما قدم اللقاء وساعد القضاء كتبت إلى :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي **** فإني رأيت الليل أكتم للسرّ

^١ الذخيرة ٣٧٦ / ١

^٢ الذخيرة ٣٧٧ / ١

^٣ الذخيرة ٣٧٨ / ١

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا *** وبالشمس لم تطلع وبالبدر لم يسرْ
ويصف ابن زيدون هذا اللقاء بقوله:^١

" فلما طوى النهار كافوره " بياضه " ، ونشر الليل عنبره " سواده " أقبلت
بقد كالقضيب ، وردف كالكتيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل
، فملنا إلى روض مذبح " منقوش مزين بالأزهار والنوار " ، وظل سجسح " الهواء
المعتدل " ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلال أنهاره ودرّ الظل منثور ،
وجيب الراح مزروع ، فلما شبينا نارها ، وأدركـتـ فـيـنـاـ ثـارـهـاـ ، باـحـ كـلـ مـنـاـ بـجـبـهـ ،
وشـكـاـ أـلـيمـ ماـ بـقـلـبـهـ ، وـبـتـنـاـ بـلـيـلـةـ نـجـنـىـ أـقـحـوـانـ التـغـورـ ، فـلـمـ اـنـفـصـلـتـ عـنـهـاـ صـبـاحـاـ
، أـنـشـدـتـهـاـ إـرـتـيـاحـاـ :

وَدَعَ الصَّبَرَ مُحَبًّا وَدَعَكَ *** ذَائِعٌ مِنْ سَرِهِ مَا اسْتَوْدَعَكُ
يَقْرِعُ السَّنَنَ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ *** زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَّى إِذْ شَيَعَكُ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنَى *** حَفْظُ اللَّهِ زَمَانًا أَطْلَعَكُ
إِنْ يَطْلُبْ بَعْدَكَ لِيَلِي فَلَكُمْ *** بَتْ أَشْكُو قَصْرَ اللَّيلِ مَعَكُ
لَكُنْ صَفَاءَ الْحُبِّ لَمْ يَدْمِ بَيْنَهُمَا طَوِيلًا إِذْ حَدَثَ جُفْوَةٌ بَيْنَهُمَا فَكَتَبَتِ الْيَهِ
وَلَادَةً :

الـأـهـلـ لـنـاـ مـنـ بـعـدـ هـذـاـ التـفـرـقـ * * سـبـيلـ فـيـشـكـوـ كـلـ * * صـبـ بـماـ لـقـىـ
وـقـدـكـنـتـ أـوقـاتـ التـزاـورـ فـيـ الشـتـاءـ * * أـبـيـتـ عـلـىـ جـمـرـ مـنـ الشـوـقـ مـحـرـقـ
فـكـيـفـ وـقـدـ أـمـسـيـتـ فـيـ حـالـ قـطـعـةـ * * لـقـدـ عـجـلـ المـقـدـورـ مـاـ كـنـتـ أـتـقـىـ
تـمـرـ الـلـيـالـيـ لـأـرـىـ الـبـيـنـ يـنـقـضـىـ * * وـلـاـ الصـبـرـ مـنـ رـقـ التـشـوـقـ مـعـتـقـىـ
سـقـىـ اللـهـ أـرـضاـ قـدـ غـدـتـ لـكـ مـنـزـلاـ * * بـكـلـ سـكـوبـ هـاطـلـ الـوـبـلـ مـعـدـقـ
فـأـجـاجـهـاـ بـقـولـهـ :

لـهـ اللـهـ يـوـمـاـ لـسـتـ فـيـهـ بـمـلـقـ * * مـحـيـاـكـ مـنـ أـجـلـ النـوـىـ وـالـتـفـرـقـ
وـكـيـفـ يـطـيـبـ الـعـيـشـ دـوـنـ مـسـرـةـ * * وـأـىـ سـرـورـ لـلـكـتـيـبـ الـمـؤـرـقـ
لـمـ تـطـلـ هـذـهـ الـجـفـوـةـ فـقـدـ عـادـ الـحـبـيـانـ إـلـىـ سـابـقـ عـهـدـهـمـاـ يـتـشـاكـيـانـ الصـبـابـةـ
وـالـهـوـىـ.ـ غـيـرـ أـنـ وـلـادـةـ لـمـ تـلـبـثـ أـنـ تـبـدـلـتـ وـأـظـهـرـتـ مـنـ الـجـفـاـ وـالـتـمـنـعـ مـاـ جـعـلـ
شـاعـرـنـاـ يـئـنـ وـيـكـيـ وـقـدـ اـخـتـلـفـتـ الـرـوـاـيـاتـ فـيـ سـبـبـ هـذـاـ الإـزـوـرـارـ فـمـنـ قـائـلـ أـنـ اـبـنـ

زيدون أشار الى جاريتها "عتبة" أن تعيد صوتاً غنته فظنت ولادة أنه يغازلها فغضبت غضباً شديداً وكتبت إليه :^١

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا * * * لم تهُو جاري و لم تخير
وتركت غصناً مثمراً بجمالي * * * وجنحت للغصن الذي لم يشمر
ولقد علمت بأنني بدر السما * * لكن ولعْت لشقوتى بالمشتري
ومن قائل أن إنضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة قد ترك في نفسها آثراً سيئاً
وهي بنت خليفة أموى فجاءت تذكى في نفسها شتى الوساوس^٢
ومن قائل أن ابن زيدون انتقدها وكان هذا النقد سبباً في التحافي بينهما^٣
ويستمر الخصم ، ولا تلين لولادة قناة بل تميل الى الوزير ابو عامر بن عبدوس – الذي
سيق ذكره – فما كان من ابن زيدون الا أن توعده وهدده وبعث إليه بقصيدة
مطلعها:

أثرت هزير الشرى إذ رض * * * ونبهته إذ هدا فاغتمض
وما زلت تبسيط مسترسلأ * * * إليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فإن الكريم * * إذا سيم خسفاً أبي فامتعض
ثم كتب أيضاً رسالته المهزية إلى ولادة يسخر فيها على لسانها من ابن
عبدوس ويتهكم عليه ويوجهه غير أن ولادة لا ترعوى ولا تفكّر بل تسدر في
هجراتها ، أكثر من ذلك تهجوه ببيتين مقدعين فيعظم الخلاف بينهما ويختدم وتصبح
هذه العداوة سبباً من عدة أسباب أدت إلى سجن الشاعر. وتحيى قصة سجنه في
أن ابن عبدوس وبعض حصوبه نسبوا إليه أنه يشتراك في مؤامرة ثورة ضد أبي
الخزم بن جهور كما اتهم أيضاً بأنه استولى على عقار لبعض مواليه بعد وفاته .
فسيق من أجل هذا الى المحاكمة التي تولاها ابو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن
المكوى ، والذى ولى قضاء قرطبة في الحرم سنة ٤٣٢ هـ فعندما عرضت قضيته
عليه أمر بسجنه على الفور وذلك لوجدة قديمة بينه وبين الشاعر. وكان عمر
الشاعر وقتها ثانية وثلاثين عاماً. وهكذا يقضى الشاعر ما يقارب خمسماة يوم
سجينًا حائراً يستعطف ابن جهور وقد نظم عديد القصائد في الإستعطاف . ومن

^١ ابن زيدون د. شوقي ضيف ص ٢١

^٢ في الأدب الأندلسى - الركابى - صفحة ١٧١.

^٣ نفح الطيب ٥٦٤ / ٢

سجنه أيضاً أرسل ابن زيدون رسالته الجدية " موضوع بحثي هذا " إلى ابن جهور يستعطفه فيها . وقد ذهبت كل تосلات ابن زيدون أدراج الرياح. عندئذٍ عزم على الفرار وتمكن من ذلك - ليلة عيد الأضحى - حيث فر إلى اشبيلية حيث قريه المعتصد وغمره بعطفه. لكن نفس الشاعر كانت تتوق إلى قربة موطن صباحاً ومكان هواه فكتب إلى حبيته ولادة نونيته البدعة والتي سارت بها الركبان ورددتها الأزمان مستهلاً إياها بقوله:

أضحى الثنائي بدليلاً من تدانينا *** وناب عن طيب لقيانا تحافينا
وفيها يقول:

حالت لفقدكم أيامنا فغدت *** سوداً وكانت بكم ييضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تآلفنا *** ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الوصل دانية *** قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدهم عهد السرور فما *** كنتم لأرواحنا إلا رياحيننا
يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها *** والكوثر العذب زقوماً وغسلينا
حقاً لقد أدى صد ولادة عن ابن زيدون وجراحتها لكرياته إلى تدفق السحر
من الشعر ، والفن من الحرمان فجاءت نونيته التي اقتطفت أبياتاً منها وقد كثر
تعليق الأدباء عليها فأرأيت أن أشير إلى تعليق د. مصطفى الشكعة⁽¹⁾
" فكانت قصidته النونية التي تعتبر من عيون الشعر العربي مشرقيه ومغربيه على
مدى التاريخ ، إنها اليبيوع الصافي الزلال المتفجر بالمعانى والعواطف والأساليب
والموسيقى والإيقاع والنفس الطويل العذب والغوص العميق الصعب "
ثم يستطرد فيقول إن النونية أصبحت " عبرة لكل محب ، وسلوى لكل حب
، وكذراً لكل أديب ، ومثلاً لكل شاعر " ثم يذكر أن كثيراً من الشعراء قد لدواها
ويعلق على ذلك بقوله " ولكن بغير استطاعة أن يلحقوا بغارها ، وإن استطاع
بعضهم أن يستضئ بنارها ".

ومن روائع ما كتب ابن زيدون في حبيته ولاده مناجاته التي يقول فيها:
إن ذكرتك بالزهراء مشتاقاً *** والأفق طلق" ومرأى الأرض قد راقا
وللنسم اعتلال" في أصائله *** كأنه رقّ لي فاعتلى اشفاقا

من ناحية أخرى ظل ابن زيدون يضرع إلى أبي الحزم أن يغفر له ولقد استعان بastaذه أبي بكر مسلم بن أحمد وفي نهاية المطاف عفا عنه أبو الحزم وربما يعود الفضل الأول في ذلك لابنه أبو الوليد وذلك لصداقته لابن زيدون.

ولم يلبث أن توفي أبو الحزم عام ٤٣٥ هـ وخلفه ابنه الوليد فتوثقت عرى الصداقة بينه وبين ابن زيدون وعيته للنظر على أهل الذمة ثم جعله وزيراً ثم عينه سفيراً بينه وبين ملوك الطوائف لعله ينسى حبه لولاده.

ومن روائع شعر ابن زيدون فيه :

ملك لدّ جنى العيش به * * * حيث وردُ الأمان للصادى علن
يا بنى جهور الدنيا بكم * * * حليتْ أيامها بعد العطل
إنما دولتكم واسطة" * * * أهدت الحسن إلى عقد الدول
ثم إن الأيام قلبت لشاعرنا ظهر الجن فقد جفاه أبو الوليد بعد ثورة
أصدقائه من بنى ذكوان ، وأحاطت الشبهات بشاعرنا ، فانبرى في قصيده ينفيها ،
ولكن ما بينه وبين صديقه كان قد قطع . ففكرا في الرحيل إلى اشبيلية مرة ثانية
حيث المعتصم بن عباد الملك الذي كان الأدباء يجدون في كنفه عطفاً ورعاية .
احتفى به المعتصم احتفالاً رائعاً وقد ولاه الوزارة ولقبه بدبي الوزارتين . ومن خير
مدائح ابن زيدون في أميره قصيده التي قالها في عيد الأضحى سنة ٤٤٥ هـ
ومطلعها :

أما في نسيم الريح عزف معرف * * * لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
ثم إن المعتصم توفى وخلفه ابن المعتمد فحظى شاعرنا بنفس مكانته السامية رغمًا
عن مكائد الخصوم ولكن مع هذا بل بالرغم من هذا لم ينس قربة ومسرح حبه
فيها . ثم إن المعتمد زحف على قربة وملكتها إلا أن حсад ابن زيدون لاسيما
وزيريه ابن مرتين وابن عمار كادا لشاعرنا ليبعدها إلى اشبيلية ليصفو لهما الجو . وقد
تمكنا من ذلك فغادر شاعرنا بالرغم من مرضه قاصداً اشبيليه في الثالث عشر من
ذى الحجة عام ٤٦٢ هـ . ووضع ابنه ابابكر مكانه في الوزارة ثم إن ابنه لحق به في
اشبيلية . وفي اشبيلية ساءت حالة شاعرنا الصحية حيث توفي في الخامس عشر من

رجب سنة ٤٦٣هـ وكانت ملوته رنة أسى في قرطبة "إذ كان منهم متعصباً لهم"

١.

آثار ابن زيدون:

أولاً: ديوانه الذي نشره في القاهرة سنة ١٩٣٢م الأستاذان كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة.

ثانياً: رسالته الهزلية التي كتبها - كما سبقت الإشارة - على لسان ولادة لمنافسه ابن عبادوس يهزأ به وفيها طائفة من الحكم والأمثال والشعر والأحداث.

ثالثاً: الرسالة الجدية - موضوع بحثي - ولها عدة مخطوطات وقد شرحها الصدفي المتوفى سنة ٧٦٤هـ في كتابه "تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون". ولها شرح ثان للشيخ حمزة فتح الله - مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف المصرية - أسماء "المواهب الفتحية"^٢ ولها شرح ثالث للأديب المصري ابوبكر محمد عليم تحت اسم "الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون".^٣

رابعاً: رسائله الأخرى وهي رسالة إلى أبي بكر مسلم بن أحمد مستشفعاً . ورسالة للمظفر بن الأفطس في الشفاعة بصديق ، ورسالته إلى صديقه أبي عامر بن مسلمة يطلب منه أن يهد له لولوج اشبيلية. ورسالتان إلى المعتضد بن عباد يهد فيها أيضاً للدخول عليه ثم شدرات من كتاب التاريخ وهو كتاب "التبين" في خلفاء بني أمية في الأندلس . ونظرة نقدية في شعر ولادة واعتذار لهذا النقد . وأخيراً مقطوعة وصفية على اتصال الشاعر بولادة.^٤

^١ الذخيرة ٣٥٥ / ١

^٢ الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ٦

^٣ جريدة حضارة السودان العدد (٤٨) ٢٠ يونيو ١٩٢١ م

^٤ أنظر ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبها صفحة ١١٢ - ١١١

المبحث الثاني

الصفدي ، عصره وشخصيته

المطلب الأول : محمد الصفدي

دولة المماليك البحريية

البيئة العامة:

الأرض والناس

كانت دولة المماليك البحريية تحتل موقعاً مميزاً في العالم " سرة العالم القديم بين قاراته الثلاث " ^١ كما كانت تسيطر على مشرق الشمال الإفريقي ، والشرق الأدنى والمحلل الخصيب الذي يضم شمال العراق وببلاد الأرمن وشرق شبه جزيرة آسيا الصغرى وببلاد الشام والمحاجز واليمن.

تتوسط هذه البلاد مصر - تمثل قلبها النابض - بواديها الطويل الذي يعبره نهر النيل منحدراً من بلاد النوبة شمالاً ليصب بفرعيه - دمياط ورشيد - في البحر الأبيض المتوسط . وعند تفرع النيل تقع مدينة القاهرة قصبة الدولة وعاصمة المماليك.

هذه المنطقة المتميزة التي كانت ملحمة للحضارات ، ومهبطاً للديانات بما حبها الله من مناخ طيب وأنهار تعج بالخيرات ، صارت موئلاً لأجناس شتى من البشر إذ تهيأت لقاطنيها حياة سهلة ، ورزق وفير ، فعاشوا في استقرار ، أuan

¹ الأدب في العصر المملوكي تأليف د. محمد زغلول سلام صفحة (١١)

على ذلك سهولة المواصلات وطرق القوافل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب. كما عبرت السفن التجارية البحرين "المتوسط والأحمر". هذه الحضارات "التي قامت في كل من مصر والشام والعراق" فتحت للبشرية آفاق التقدم والعمان.

وجاء المماليك وورثوا هذه المنطقة بخيراتها الوفيرة ، وحضارتها المتعددة ، ووديannya لمدى ثلاثة قرون كاملة كانوا إبانها يتحكمون في سياستها وحياتها وحضارتها. قال عن هذه المنطقة العموى : " هي مملكة واحدة كبيرة ، وهى من أجل ممالك الأرض لما حوت من الجهات المعظمة ، والأرض المقدسة والمساجد التي هي على التقوى مؤسسة بها المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا إليها ، وقبور الأنبياء صلوات الله عليه ، والطور ، والنيل ، والفرات ، وهم من الجنة "^١

كانت مصر هبة النيل ، وقد أثر تأثيراً بالغاً في تكيف حياتها ، فأثر بإنتظام فيضانه كل صيف في ضبط حياة المصريين ، وأعانهم على التعرف على التقويم وضبط حركة الزمان من أيام وأسابيع وشهور وسبعين ، كما تتبعوا حركة أجرام الفلك.....وعرفوا إرتباط السماء بالأرض ... وأن هناك قوة عظمى تتحكم في مسيرة الحياة فقدتهم ذلك إلى اليمان بالبعث بعد الموت. كذلك تعلموا كيف يزرعون ويحصدون وأبدعوا في إختراع الآلات الزراعية كما أبدعوا في بناء القصور والدور والمعابد والصروح ف تكونت آلاف القرى منبئة على ضفاف النيل قامت عليها حضارتها وأنشطتهم الزراعية.

ولقد تعاقبت المجرات والغزوات على مصر فاختلطت بها الأجناس " من عرب وببر وسريان وعبريين وفرس ويونان ورومان وأتراك ، وترك هذه الأجناس بصماتها على أرض مصر ، وفي دماء شعبها وتبقى روح مصر والنيل وسمات البيئة على شعب مصر تطبعه بصفات ذاتية."^٢

ثم جاءها العرب يحملون الدين الإسلامي وقد كانت وقتذاك تدين بالنصرانية على مذهب اليعقوبة "الارثوذكس" ثم توصلت هجرات القبائل العربية من اليمن والحجاز والشام واحتلطن بالمصريين ، وتمازحت الدماء ، مما أسرع بتعریب مصر ، إذ

^١ راجع مسالك الأنصار "دولة المماليك الأولى" صفحة (٧٩)

^٢ الأدب في العصر المملوكي صفحة (١٦)

أصبحت اللغة العربية هي لغة التخاطب والإدارة والعلم والأدب. أعن على ذلك الدين الإسلامي. هذا وقد انتكست اللغة العربية في عصر المماليك إذ شاعت ألوان في النظم - في مجال الأدب - تغلب عليها العامية كالزجل والموال واليليق وما شابه كما " شاعت العامية في كتابات أمثال ابن تغرى بردى وابن اياس من المؤرخين المصريين كما تسربت بعض التراكيب والألفاظ العامية إلى الشعر الفصيح".^١

أما أرض الشام فقد شاهدت مصر في الحياة والكفاح إذ ربطهما التاريخ المشترك ومصائر الحياة وإن اختلفت طبيعتهما. فبلاد الشام جبلية صحراوية في معظمها ، يجري نهر الفرات في شمالها كما تحدوها وتنخللها جبال متفاوتة الإرتفاع ، كما تجري فيها أنهار صغيرة مثل : العاصي وبردى والأردن . وهى بلاد تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وتولى دبرها للصحراء ووادي الراشدين ، وتصل بينها وبين الشرق طرق قديمة سلكتها قوافل التجارة والغزارة منذ فجر التاريخ كما عبرتها هجرة الأنبياء من الشرق إلى أرض كنعان وفلسطين.

ساعدت طبيعة البلاد التضاريسية على تأسيس دوليات صغيرة منذ فجر التاريخ كالحيثيين والعموديين والفينقيين ودولة الكنعانيين واسرائيل والأنباط . وكان بين هذه الدول ومصر علاقات متقلبة فتارة تحالفها ، وأخرى تخضع لها ، وثالثة تعارضها. لقد ساعدت طبيعة الشام على قيام نظام إقطاع عسكري في عهد الأيوبيين ، والمماليك ، نواته الحصون والقلاع التي يسكنها أمراء الإقطاع العسكريون ، ويجمعون حولهم قواهم من الفرسان والمحاربين الذين يكونون دائمًا على أهبة الإستعداد للقتال إذا دعا داعي الجهاد. كذلك ساعدت طبيعتها هذه على أن تكون خط الدفاع الأول عن الإسلام ، بعد سقوط بغداد مركز الخلافة الإسلامية . كما أغرت هذه الطبيعة شعوب المنطقة بمحاولات للانفصال كما شهد ذلك عصر الأيوبيين والمماليك.

والإقليم الثالث الذي تتكون منه دولة المماليك هو الحجاز ، وبخاصة أهميته بما يحوي من الأماكن المقدسة البيت الحرام بمكة ، والمسجد النبوى بالمدينة ، ووفود الحجيج التي تغص بهم المنطقة كل عام . وأرض الحجاز فقيرة إذ ما قارناها بمصر

^١ المصدر نفسه صفحة (١٧)

والشام ، إذ أنها جزء من صحراء الجزيرة العربية ، ويحدها البحر الأحمر غربا ، وسهل تهامة ، الذي تعتمد منطقته الجنوبيّة على الأمطار الموسمية ، ومياه السيول ، بينما يعيش معظم أهله على الآبار وتنتشر الواحات في وادي القرى وجبال السروات .

حرص المماليك على الإهتمام بأهل الحجاز ، سكان وطن الإسلام الأول فأمدواهم بالحبوب من مصر ، وأكرمواهم حرصاً على المظهر الإسلامي .

أولاً: الحياة السياسية

قامت دولة المماليك بعيد سقوط الدولة الأيوبية في عام ٦٤٨هـ يوافق ١٢٥٠ م. ولقد تضافرت عِدة عوامل لسقوط الدولة الأيوبية ، من أهمها تكالب الصليبيين ومن عاونهم من الأوربيين ، زد إلى ذلك تورط الأيوبيين في نزاعات داخلية ، كما أثمن استكثروا من الاستعانة بالمماليك لنصرتهم ، خاصة السلطان الصالح نجم الدين آخر سلاطينهم . ومنها تدهور الأحوال الاقتصادية ، وسوء معاملة ماليكيهم للناس ، وإهمالهم لشئون الرعية ، وغير ذلك كثير.

سقطت الدولة الأيوبية في مصر واستولت شجرة الدر على الملك بعد مقتل السلطان تورانشاه "ابن زوجها" من الأمراء المماليك ، بعد موقعة المنصورة ، بوصاية الملوك قطز . وقد خطب لشجرة الدر أم خليل على المنابر. واستطاعت بحنكتها ودهائها أن تحكم لفترة غير طويلة ، إذ أن المعارضة على حكمها قد اشتدت ، لاسيما من قبل الخلافة العباسية التي كانت تتربّح ولم يبق لها من نفوذ سوى النفوذ الأدبي والديني . إذ لم يقبل الخليفة العباسى تولي امرأة شئون مصر فبعث إلى أمرائها رسالة يتحجّ فيها ويقول كيف تولون عليكم امرأة ، إذا لم يكن بينكم رجال بعثنا إليكم بوحد من عندنا.

وتعزى قوة المماليك للصالح نجم الدين الذي استكثر منهم قال ابن تغري بردى : " الملك الصالح هذا هو الذى أنشأ المماليك الأتراك ، وأمّرهم بدبار مصر وفي هذا المعنى يقول بعضهم^١ :

الصالح المرتضى أیوب أكثر من *** ترك بدولته ياشرجلوب
قد آخذ الله أیوباً ب فعلته *** فالناس كلهم في ضر أیوب

كما بني لهم الصالح نجم الدين مساكن بجزيرة الروضة ، لذلك عرفوا بالمماليلك البحريّة بدبار مصر . وذلك أنه لما مر به ما مر ، ذكره في الليلة التي زال عنه ملكه بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه لم يثبت معه سوى مماليكه ، رعى لهم ذلك ، فلما استولى على ملك مصر أكثر من المماليك وجعلهم معظم

عسكره.... فصاروا بطناته المحيطين بدهليزه ، وسماهم البحريه لسكناتهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل".^١

ولقد كان يتم شراء المالك من الأمم التركية التي فرت مذعورة من أوطانها أمام زحف التتار في بلاد القوقاز وحول بحر قزوين كما كان يتم شراؤهم من أسواق النخاسة في القاهرة ودمشق وغيرها من عواصم البلاد العربية والإسلامية . كذلك كان يتم شراؤهم من أصقاع أوروبا الشمالية ، فمنهم من ينتمي إلى أصل رومي ، أو صقلی ، أو من التتار الذين أسرهم المصريون . ويتحدث عن تربيتهم المقريزى فيقول: "إذا قدم بالملوك تاجره ، عرضه على السلطان ، ونزله في طبقة حسنة^٢ ، وسلمه لطواشى برسم الكتابة . فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم ، ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ، ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار.

" وكان الرسم إذ ذاك (أوامر السلطان) أن لا تجلب التجار إلا المالك الصغار ، فإذا شب الواحد من المالك ، علمه الفقيه شيئاً من الفقه وأقرأه فيه مقدمة . فإذا صار إلى سن البلوغ ، أخذ في تعليمه أنواع الحرب : من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه . فينتقل إلى الخدمة ، وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من النساء . فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تحذبت أخلاقه ، وكثرت آدابه ، وامتنج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده في رمي النشاب ، وحسن لعبه بالرمي ، ومن على ركوب الحيل.

" ولم أزمة من الخدام ، وأكابر من رؤوس النوب ، يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي . ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عشر أحد من مؤديه الذي يعلمه القرآن ، أو الطواشى الذي هو مسلّم اليه ، أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه ، على أنه اقترف ذنباً ، أو

^١ السلوك ٣٣٩/١

^٢ محل الإقامة وتشبه الشكبة في عصرنا الحاضر

أخل برسم ، أو ترك أدباً من آداب الدين ، قابله علي ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه.

استند المالكى إلى القوة في الوصول إلى الحكم ، وفي تدعيم ملکهم ، مستظلين في دولتهم بظل الإسلام ، وما يدعوه له من مساواة بين المسلمين جميعاً سادة أو عبيداً الأمر الذي مكن العناصر غير العربية من أتراك وروم من التسلط على الخلفاء ، والإمساك بأزمة الأمور ، حتى صاروا الحكام الحقيقيين ، وصار الخلفاء لعباً في أيديهم ، يحركونها كيف شاءوا. مهتمين بالشكل الظاهري من الإسلام ، ولهذا السبب " سعى الظاهر بيبرس - رابع سلاطين المالكى - لإحضار أحد أبناء خلفاء العباسين ليقيمه خليفة في مصر يمثل السلطة الدينية ، ويجمع شمال العالم الإسلامي العربي حول ملوك مصر الذين آلت إليهم تبعه الدفاع عن الإسلام بعد سقوط بغداد ومقتل آخر خلفائها ٦٥٦هـ على أيدي التتار بقيادة هولاكو.^١"

ولقد كانت القوة هي أساس الحكم المملوكي ، وقانونها الأعلى ، فمن كان يملك القوة يملك السلطة ولو كان عبداً. قال الأفمن نائب السلطنة بدمشق مخاطباً أمراء الشام ، عند سقوط أحد سلاطين المماليك بالقاهرة وقيام آخر: " إعلموا أن هذا الأمر انقضى ، ولم يبق لنا ولا لغيرنا فيه مجال ، وأنتم تعلمون أن كل من يجلس على كرسى مصر كان هو السلطان ، ولو كان عبداً حبشياً ، فما أنتم بأعظم من أمراء مصر".^٢.

استمرت دولة المالكى الأولى ما يقارب القرن ونصف ، وتولى الحكم خلالها خمسة وعشرون سلطاناً ، منهم من طالت مدة حكمه سنوات ، ومنهم من لم يتول السلطة إلا لشهر ، ومنهم من تولى الحكم صبياً أو طفلاً لم يبلغ الحلم. وكان من أشهر سلاطين الدولة الأولى ، وأبعدهم أثراً في الحياة والأدب ، السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى ، الذي اغتصب السلطة بعد قتله صديقه السلطان قطز، عقب عودتهم ظافرين من معركة عين جالوت الشهيرة ضد المغول. في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ. واستمر حكمه من ٦٧٦هـ خاض

^١ الأدب في العصر المملوكي صفحة (٢٧)

^٢ نفس المرجع صفحة (٢٧)

أثناءه الكثير من الحروب ضد التتار والصلبيين في الشام والعراق وأرمينيا وجنوباً في النوبة وشمال السودان وقد كان حازماً انتشرت الطمأنينة أثناء حكمه.

"كان السلطان الظاهر على قدر من الديانة ، وكان ملزماً للخمس في أوقاتها ، وألزم حاشيته بها ، وحکى أنه ما شرب خمراً قط ، ومنع كل منكر . وكان يحصل من المنكر بمصر كل يوم ألف دينار فأبطله ، ولما حج رؤى بباب الكعبة محرماً ، يأخذ بأيدي ضعفاء الرعية ليصعدوا ، وعمل ستور الديباج للكعبة وللحجرة النبوية"

ومن بعد بيبرس جاء خلفاؤه من أبناءه الذين لم يعمروا في السلطنة كثيراً . وانتقلت السلطنة من بيته إلى المنصور قلاون ، مؤسس الأسرة القلاونية الشهيرة. وكان من المالك ، الذين اشتروا كباراً ، لذلك لم يتقن اللغة العربية فكان أعمجياً في حديثه ، لا يفهم العربية إلاّ بصعوبة . ولكنه قام بأعمال جليلة في مصر والشام حيث شن غارات على الصليبيين وفتح طرابلس سنة ٦٨٨هـ وأعاد بناءها كما صد هجمات التتار.

وكان أهم ما خلفه في دنيا الفكر والحضارة ، القبة المنصورية التي اتخذت مدفناً له ولبعض أبنائه ، ومكاناً لتعليم القرآن ، وتلاوته ، وللعلوم الدينية ، كما بني المارستان^١ المنصوري الكبير ، الذي ظل يقصده الناس من كل الطبقات للاستشفاء ، ويدذكر أن ابن نباته المصري دخله للإستشفاء في أخيرات أيامه.

ثم أعقبه الأشرف خليل بن المنصور قلاون ، الذي قام بتصفيه جيوب الصليبيين بالشام . قال صلاح الدين الصfdi " واستفتح الملك بالجهاد ، وسار ونازل عكا وافتتحها ونظف الشام كله من الفرنج . ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوماً وافتتحها"^٢

رغم مآخذ المالك الكثيرة ، الاّ أنهم اتبعوا نظاماً حفظ للبلاد تمسكها ، كما حفظ بالتالي قوتها أمام الأعداء . فقد قسموا البلاد إلى تسع ممالك ينوب عن السلطان في كل منها نائب للسلطنة ، يعاون هذا النائب أربعة قضاة ، ونائب للقلعة ، وأمير كبير . ونائب السلطنة في كل المالك يعينه السلطان ، استطاع

^١ فارسي مركب يعني المستشفى.

^٢ الوفي في الوفيات ٣٩٩/١٢

السلطان أن يكلف من يريده من نوابه الآخرين بالمسير إليه وإخضاعه ، أو أن يسير إليه بنفسه . ومهما يكن من أمر فان النائب الخارج عن الطاعة ، يعد في نظر الجميع متمرداً ولا يقوم له أمر ، كما أنه ليس بصاحب حق وهو الملوك ، كما كان الحال عند الأمراء الأيوبيين ، مما سبب في حينه تمزق البلاد إلى مدن وقلاع يسود التناحر والخذر علاقتها.

وعلى كل حال فإن العلاقة بين المالكين باعتبارهم حكامًا وبين الشعب لم تكن مستقرة دائمًا ، لاعتقاد الناس عدم أهلية وشرعية المالكين . وكما أسلفت وبالرغم مما ارتكبه دوله المالكين من مظالم وسوءات إلا أن حسناهم والإنجازات التي تمت في عهدهم ، كانت كثيرة ، لعل من أبرزها ارتباط الشعوب التي كانوا يحكمونها ، في كل من مصر والشام في الثقافة والعادات والتقاليد.

ثانياً: الحياة الإجتماعية

طبقات المجتمع:

يرى المقريزى أن المجتمع المملوکي ينقسم إلى سبع طبقات وفي هذا الأمر يقول " " إعلم - حرسك الله بعينه التي لا تنام - أن الناس بإقليم مصر في الجملة على سبعة أقسام : القسم الأول أهل الدولة ، والقسم الثاني أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية ، والقسم الثالث الباعة ، وهم متواسطو الحال من التجار ، ويقال لهم أصحاب البز ، ويلحق بهم أصحاب المعاش وهم السوقه ، والقسم الرابع أهل الفلاح ، وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف والقسم الخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ، والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم . والقسم السادس أرباب الصنائع والأجراء ، وأصحاب المهن ، والقسم السابع ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتکففون الناس ويعيشون منهم " ^١ يؤخذ من تقسيم المقريزى أن الحكام أى المالكين هم أهل الطبقة الأولى وهم أصحاب السيف والسلطة والثروة. فالحق كل الحق في خيرات البلاد وأموالها

للعسكر من المالك . ولقد كانوا أجناساً - أكثرهم - من الترك وفيهم من الجراكسة والأكراد ، والتار ، والروم واليونان والفرنجة من أبناء أوروبا.

واعتاد المؤرخون على تقسيم المالك إلى طائفتين بحرية وبرجية . فالبحرية " كما سبقت الإشارة إلى ذلك " هم سكان جزيرة الروضة في النيل وكانوا من مالك الصالح نجم الدين الأيوبي . والبرجية هم سكان القلعة بجبل المقطم وينسبون إلى قلاوون وأبنائه وأحفاده .

وقد كان السلاطين من المالك يشترون المالك لتكوين فرق الجيش والفرسان والحرس الخاص " الخاصكية " كذلك كانوا يشترونهم لغرض المتعة والخدمة . ومن هؤلاء المالك من وصل إلى سدة الحكم " ومنهم من وصل للسلطة أمثال كتبغا التترى الأصل ، ولاجين الرومى الأصل "^١

كانت الرابطة القوية التي تشدهم هي رابطة الإستقراطية الحاكمة التي تجعلهم كلاً قائماً بذاته منفصلاً عما عداه فهم ما عرفوا العلاقة العائلية الصحيحة فإذا مات أحدهم ترك لسيده جميع ممتلكاته (نساؤه ومالكه) .

وكان للسلطان زوجات من المالك ، وهن من بنات الأمراء ونواب السلاطين ، أو من الرقيق التترىات السبايا ، أو بنيات الملوك فقد " تزوج السلطان الناصر حسن بنت أخي أزيك ملك التtar "^٢

في سبيل هذا الشراء العريض نكل المالك بالناس وكانت القسوة هي الطابع المميز لحكمهم . سلط الله بعضهم على بعض ، وابتدعوا أصنافاً من التعذيب .

ثم نأتى للحديث عن الخليفة فقد كان الخليفة في المجتمع يختار من العباسين ، الذين جاء بهم بيبرس من العراق ، بعد سقوط بغداد ، ويلى الخليفة في الترتيب كبار القضاة ، وكان قاضياً واحداً في عهد الأيوبيين . ثم صاروا أربعة ، واحداً لكل مذهب في دولة المالك ، ويتقىدهم قاضي الشافعية ، وكانوا يلبسون العمامات والفرجيات التي تلائم كلاً منهم في هيئة وزركشتها . كما كان الخليفة يلبس فرجية سوداء بطرز ، وعمامة كبيرة بعزبة ، ويتقلد سيفاً عريضاً محلى .^٣

^١ تاريخ ابن الوردي ٢٢٤/٢

^٢ تاريخ ابن الوردي صفحتي ٣٠٣/٣٠٢

^٣ الدرر الكامنة ١٤٣/٢

وتمثلت الطبقة الثانية من كبار التجار وهم مثل الحكماء سكنوا القصور الفارهة وتمتعوا بالعيش الرغيد وكانوا يعرفون باسم "بياض الناس" وكانت العلاقة بينهم وبين المالك أئمّة كانوا يشاركونهم في تجارتكم أو يقتضون منهم أو يصادرون أموالهم.

أما الطبقة الثالثة فهم البايعة وهم متوسطو الحال من التجار ، ومن ضمن هؤلاء أصحاب الحرف ، والعطارون والكمالون "وهم أطباء العيون" وكان الشاعر محمد بن دانيال كحالاً . ومنهم الوراقون ، الذين يبيعون الورق ، واشتهر منهم الشاعر سراج الدين الوراق ، أحد شعراء العصر المشهورين ومنهم الجزارون الذين كانوا يكسبون من عملهم مالاً يعينهم على حياة مريحة ، وعرف من بينهم أبو الحسين الجزار الشاعر المشهور.

أما الطبقة الرابعة فهم الفلاحون وكانوا على قدر كبير من الإنبعاث ، لكنهم انتكسوا بسبب ما فرض عليهم من ضرائب ، ولقلة الماء ، ولشح النيل.

أما الطبقة الخامسة فهم طلاب العلم والفقهاء والصوفية وقد كانت أموالهم قليلة لضعف مكانهم في الدولة.

أما الطبقة السادسة والسابعة فهم أرباب المهن الصغيرة والأجراء من عمال الصناعة والخدم ، وأصحاب المسكنة من لا يملكون شيئاً من المال ، ولا يشغلون وظيفة ، وهم يعيشون عالة على غيرهم من أرباب الحرف والصناعات أو يحصلون الأجر لقاء ما يقدمون من عمل أو خدمة.

أما عامة الناس فكانوا محرومين من جميع الإمتيازات يقول إبرا لابدوس " فلم يكن العامة ليحوزوا على منصب ، أو تعلم أو ثراء بل كانوا بالنسبة للخاصة دافعي الضرائب ، وغالباً ما كانوا ، بالنسبة للناس ، مجرد غوغاء ".^١

^١ مدن اسلامية في عهد المالك صفحه ١٤١

المرأة في المجتمع المملوكي

أول ما يقال إنها لم تكن في الموضع اللائق .. وقد فرض الحجاب على المرأة الحرة وتركت الجارية سافرة تتجول في الأسواق وإن وضعت لها بعض القيود في اللباس والسلوك. وقد اشتغلت كثير من النساء بالعلم وتصدرن للتدريس مثل زينب بنت مكى ، وزينب بنت الكمال " توفيت سنة ٧٤٠هـ " وذكر ابن حجر أنها روت كثيراً ، وتزاحم عليها الطلبة ، وقرأوا عليها الكتب الكبار.^١ وكانت نساء بعض الطبقات الفقيرة يشتغلن بالغزل والتطريز و " الزركاش " بخيوط الفضة والذهب.

وذكر ابن كثير أن نائب السلطنة بدمشق أمر بأن ينادى في البلد بأن النساء يمشين في تستر ، ويلبسن أزرهن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهرن زينة أبداً . قال ابن كثير : " فافتعلن ذلك ، والله الحمد والمنة " .^٢

مع كل ما ذكر عن المرأة ، بل بالرغم من كل ما ذكر فقد أسهمت المرأة في الحياة . وكان لها دور كبير ، ولعل أبرز حادثة تساق لتؤيد هذا الرأى ما أقدمت عليه نساء دمشق سنة ٦٠٧هـ ، إذ عمدن إلى شعورهن فقصصنها ، وضفرنها حالاً للجهاد ضد الصليبيين وبعثن بها إلى سبط الجوزى عالمة الشام وواعظها . فبكى لرؤيتها وتأثر " وكان عدتها ٣٠٠ حبل غليظ ، فحملت على الأعناق خلال خطبة الجمعة في المسجد الأموي من قبل ابن الجوزى . فضج الناس وتقاسموا على القتال حتى الموت ، وتزاحمت جموعهم ، وكروا على الصليبيين فانتصروا

٣ "

للهم عاداً لهم : اتصف المجتمع بعادات حسنة ، وأخرى سيئة ، فمن مفاسد المجتمع السائدة السرقة و شرب الخمر و تدخين ومضغ الحشيش . وقد تكونت عصابات تنهب الأموال بينما كان المالك مشغولين حيث يختل الأمن . قال ابن الوردي : " ولهم أتباع حرامية كانوا يخطفون العمام ، فامسکوا وسمروا بعضهم " .^٤

^١ الدرر الكامنة ١٦٧/٢

^٢ البداية والنهاية ٢٨٠/١٤

^٣ النقد الأدبي في القرن التاسع الهجري صفحة ٥٠

^٤ تاريخ ابن الوردي ٢٩٠/٢

ويبدو أن الناس تهاونوا في أمر الخمر ، فأمر السلطان ثانية سنة ٦٦٩هـ " بإراقة الخمور من سائر بلاده ، وتحدد من يعصرها أو يعتصرها بالقتل ، وأسقط ضمان ذلك وكان بالقاهرة وحدها ألف دينار في اليوم.^١

وكان أكل الحشيشة شائعاً ، بخاصة في جماعة القلندرية. وقد أشار إليه الشاعر شمس الدين التلمساني سنة ٦٨٨هـ في محاولة للتنفير فيقول :^٢

ما للحشيشة فضل" عند آكلها * * لكنه' غير' مصروف إلى رشدة صفراء' في وجهه خضراء' في فمه* * حمراء' في عينه سوداء' في كبده

ومن غرائب ذلك المجتمع إيمانه بالتنجيم ، والذى لم يطل عامه الناس فقط ، بل طال الخاصة من السلاطين والملوك والأمراء ، وكانت له آثاره السيئة على النساء خاصة. جاء في البداية والنهاية " في حوادث سنة ٧٣٣هـ في نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والي القاهرة ، فضربوا وحبسوا لإفسادهم النساء ، فمات منهم أربعة تحت العقوبة ثلاثة من المسلمين ونصراني.^٣

وفي أفراحهم كانوا يشعرون الشموع الكثيرة ، وكذلك كانوا يفعلون في استقبال الفاتحين والمنتصرین من سلاطين المماليك ، وفي المناسبات والمواسم . كما كانوا يهتمون بإقامة الأعياد الدينية والقومية كعيد وفاء النيل ، وكان المولد النبوى أهم المواسم الدينية عند المسلمين ، وكان المماليك يهتمون به اهتماماً كبيراً ، ويصرفون في بذخ .^٤

وكذلك اهتموا بموالد الأولياء كمولد السيد البدوى بطنطا ، ومولد الشيخ الإنباى بإنبابة.

كذلك كانت للنصارى أعيادهم مثل عيد النيروز قال المقرىزى : " وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتتصافع بالجلود وغيرها إلى أن كانت أعواام بضع وثمانين وسبعمائة ، فمنع السلطان من لعب النوروز".^٥

^١ البداية والنهاية ٢٦٠،/١٣

^٢ نفس المصدر السابق ٣١٥/١٣

^٣ نفس المصدر السابق ١٦١/١٤

^٤ تاريخ ابن اياس ٦٤/٢

^٥ خطط المقرىزى ٢٦٩/١

ثالثاً: الحياة العلمية

كانت مصر أهمية خاصة في العالم الإسلامي باعتبارها قلعة الإسلام والمسلمين . و موئل العلم والثقافة لاسيما بعد سقوط بغداد ، على أيدي التتار ، واحراق الكتب والمكتبات التي ضمت النفيس من الفكر الإسلامي ، حيث أُلقيت في نهر دجلة . فقد " روى أن مياه دجله جرت سودا من كثرة ما ألقى فيها من الكتب والصحائف " ^١ قال ابن خلدون في القرن التاسع في ظل دولة المماليك: " واحتضن العلم بالأمسار الموفورة الحضارة ، ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر ، فهى أم العالم ، وإيان الإسلام ، وينبئون العلم والصنائع " ^٢ . ولقد عمل صلاح الدين بعد سقوط الدولة الفاطمية على إنشاء المدارس ، ودور الحديث في مصر والشام. كما انقلبت طبيعة الثقافة من اللون الشيعي إلى اللون السني. وقد استمرت سياسة المماليك في نشر مذهب أهل السنة ، والتمكين لها في مصر والشام ، وذلك ببناء المدارس والمساجد الكبيرة التي تقوم بهذه المسئولية.

هجرات العلماء إلى مصر:

ولقد اكتظت مصر بمجاميع العلماء ، الذين هاجروا إليها من الشام والمغرب وببلاد الأندلس وغيرها. ونذكر على سبيل المثال الخطيب القاضي جلال الدين القزويني ، وسعد الدين التفتازاني والبريزى وصفى الدين الحلبي وغيرهم. كما جاءها ابن دحية المحدث ، الذي أقام بالقاهرة أيام الكامل الأيوبي ، وتولى تدريس الحديث بالكاملية ، وتوفي عام ٦٣٤هـ . وهو صاحب كتاب " المطرب من شعر أهل المغرب " وأثير الدين أبو حيان العالم النحوى الأديب المشهور ومنهم العالم الأديب ابو سعيد على بن موسى توفي سنة ٦٧٣هـ الذي جاء من المغرب ، وطاف الديار المصرية والشام والعراق وجمع ، وصنف ، وقابل الكثيرين من علماء مصر الأجلاء

^١ مصادر التراث العربي صفحة ٢٤

^٢ الأدب في العصر المملوكي صفحى ١٢٤

، ونقـل عـنـهـم في كـتابـهـ المعـروف "المغرب في حلـى المغرب" ولهـ عـدـةـ كـتبـ أـخـرىـ . وـمـنـهـ اـبـنـ جـابرـ الـضـرـيرـ صـاحـبـ الـبـدـيـعـةـ الـمـشـهـورـةـ ، وـآخـرـ فيـ نـقـدـ الشـعـرـ . وـمـنـهـ اـبـنـ عـصـفـورـ عـلـىـ بـنـ مـؤـمـنـ النـحـوـيـ الـحـضـرـمـىـ الـإـشـبـىـلـىـ ، حـاـمـلـ لـوـاءـ الـعـرـبـيـةـ بـالـأـنـدـلـسـ ، وـالـذـيـ أـقـامـ فيـ حـلـبـ بـالـشـامـ . وـابـنـ سـرـاقـةـ الشـاطـبـىـ الـأـنـدـلـسـىـ " قـدـمـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ وـولـىـ الـمـشـيخـةـ لـدـارـ الـحـدـيـثـ الـكـامـلـيـةـ إـلـىـ حـينـ وـفـاتـهـ سـنـةـ ٦٦٢ـ هـ ، وـكـانـ أـحـدـ الـأـئـمـةـ الـمـشـهـورـينـ بـغـزـارـةـ الـفـضـلـ وـكـثـرـ الـعـلـمـ وـالـجـالـلـةـ ، وـتـفـقـهـ عـلـىـ مـذـهـبـ مـالـكـ " .^١

وـمـنـهـ الشـرـيشـىـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ النـحـوـيـ الـمـالـكـىـ الـأـنـدـلـسـىـ . تـوـفـىـ سـنـةـ ٦٨٥ـ هـ جـاءـ مـنـ الـمـغـرـبـ وـطـافـ الـبـلـادـ وـسـمـعـ الـحـدـيـثـ بـيـغـدـادـ وـدـمـشـقـ وـأـرـبـيلـ وـحـلـبـ وـالـقـاهـرـةـ ، وـجـمـعـ وـدـرـسـ بـمـدـارـسـ تـلـكـ الـبـلـادـ ، فـفـىـ دـمـشـقـ بـالـرـيـاطـ الـنـاصـرـيـ وـالـنـورـيـةـ ، وـفـيـ الـقـاهـرـةـ بـالـفـاضـلـيـةـ . ثـمـ اـسـتـقـرـ بـيـنـ دـمـشـقـ وـبـيـنـ الـمـقـدـسـ ، وـتـلـمـذـ عـلـىـ اـبـنـ تـيمـيـةـ ، وـأـلـفـ شـرـحـاـ جـلـيلـاـ لـابـنـ مـعـطـىـ ، وـكـتـابـاـ فـيـ الـإـشـتـقـاقـ .^٢

وـكـذـلـكـ اـبـوـ القـاسـمـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ الشـرـيفـ الـحـسـيـنـيـ تـوـفـىـ سـنـةـ ٧٦١ـ هـ . وـقـالـ الـمـقـرـئـ الـمـغـرـبـ الـمـتـأـخـرـ فـيـ كـتـابـهـ " تـعـرـيفـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ فـيـ ذـكـرـ مـشـايـخـ لـسانـ الـدـينـ بـنـ الـخـطـيـبـ " : " كـانـ هـذـاـ الشـرـيفـ آـيـةـ اللـهـ الـبـاهـرـةـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ ، وـالـبـيـانـ ، وـالـأـدـبـ . قـالـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـىـ بـنـ الصـبـاغـ الـعـقـيلـيـ : " كـانـ آـيـةـ زـمـانـهـ ، وـأـزـمـةـ الـبـيـانـ طـوـعـ بـنـانـهـ ، لـهـ " شـرـحـ الـمـقـصـورـةـ الـقـرـطـاجـنـيـةـ " .^٣

المدارس ودور العلم :

هـذـاـ وـقـدـ كـانـتـ مـصـرـ وـالـشـامـ حـافـلـتـينـ بـدـورـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـمـكـتـبـاتـ الـضـخـمـةـ ، عـامـرـتـينـ بـمـجـالـسـ الـعـلـمـ وـالـأـدـبـ . فـالـقـاهـرـةـ وـدـمـشـقـ وـغـيـرـهـماـ ، غـصـتاـ بـالـكـتـبـ وـعـجـتـاـ بـالـعـلـمـاءـ . قـالـ الـمـقـرـىـزـىـ : " إـنـ سـوقـ الـكـتـبـيـنـ اـحـتـرـقـتـ بـدـمـشـقـ سـنـةـ ٦٨١ـ هـ وـاحـتـرـقـ فـيـهـاـ لـواـحـدـ مـنـ الـكـتـبـيـةـ وـهـوـ شـمـسـ الـدـينـ اـبـرـاهـيمـ الـجـزـرـىـ خـمـسـ عـشـرـ أـلـفـ بـجـلـدـةـ سـوـىـ الـكـرـارـيـسـ .^٤ كـمـ أـحـبـ النـاسـ الـعـلـمـ ، وـأـقـبـلـوـاـ عـلـيـهـ ، يـقـوـلـ أـحـدـ شـعـرـائـهـمـ :

^١ فـواتـ الـوـفـيـاتـ ٢٠٦/٢

^٢ بـغـيـةـ الـدـعـاـةـ صـ ٨٥

^٣ شـدـرـاتـ الـذـهـبـ ٣٨٤/٦

^٤ السـلـوكـ ٧٠٩/١

هذب النفس بالعلوم لترقى *** وترى الكل وهو للكل بيت
 إنما النفس كالزجاجة وال *** عقل سراج وحكمة الله زيت
 فإذا أشرقت فإنك حي *** وإذا أظلمت فإنك ميت

وقد انتشرت المدارس في عواصم دولة المماليك ، وأمها طلاب كثرا ، دون أن ترهقهم مادياً ، إذ قام الحكام والسلطان بتكميل المدارس ، ورواتب العلماء والفقهاء وأحياناً يجرون لهم رواتب. كذلك تخصصت بعض المدارس في علوم بعينها كتعليم القرآن أو الفقه أو الحديث أو التفسير. كما ورثت القاهرة تراثاً عاماً من دور الكتب في العصر الأيوبي ، من أضخمها مكتبة القاضي الفاضل التي ألقها بالمدرسة الفاضلية ، واحتوت من مكتبة القصر الفاطمي مائة ألف كتاب .^١
 والمدرسة الفاضلية التي بنيت في عهد الأيوبيين غير أنها لا زالت عامرة في عصر المماليك ولقد تولى التدريس فيها كبار العلماء من أمثال عثمان بن الحاجب صاحب كتابي "الكافية" و "الشافية" في النحو والعربية. وفي العهد الأيوبي بنيت دار الحديث الكاملية يقول عنها المقريزي : "أنشأ الكامل بن العادل المدرسة الكاملية بخط بين القصرين من القاهرة سنة ٦٢٢ هـ . وتعرف بدار الحديث الكاملية وهي ثانية دار عملت للحديث ، فإن أول من بني داراً للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق . وبني الكامل هذه الدار ووقفها على المستغلين بالحديث النبوى . ثم بعدهم لفقهاء الشافعية " وكان طلبة هذه الدار يتلقاون أجراً كما اشترط الواقف المبيت فيها. والمدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ هـ بمنطقة بين القصرين ورتب فيها دروساً أربعة لفقهاء المذاهب الأربعة وأنشد عند افتتاحها الشاعر ابو الحسين الجزار قصيدة مطلعها:

الآ هكذا يبني المدارس من بني : ومن يتعالى في الثواب وفي البناء
 والمدرسة العزية بناها عز الدين أبيك التركمانى مطلة على النيل بمصر القديمة.
 ولعل من أضخم المدارس وأفحتمها مدرسة السلطان حسن بالقلعة والتي قيل إن إيوانها بني على قدر إيوان كسرى انوشروان في الطول والعرض وهي تشتمل على

^١ الخطط ٢٥٥/٢

^٢ الدرر الكامنة ٣٥٠/٣

أربع مدارس ، لكل شيخ مذهب مدرسة تختص به وبناسبة بناء هذه المدرسة قال ابن حجلة:

لستنا وإن كرمت أوائلنا * * * يوماً على الأنساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * * * تبني ونفعل فوق ما فعلوا
والمدرسة الظاهرية التي بناها السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى في بين القصرين
وأكتمل بناؤها عام ٦٦٢هـ " وجعل بها خزانة كتب جليلة ، وبنى بجانبها مكتباً
للسبيل ، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز كل يوم ، والكسوة في فصلى
الشتاء والصيف " ^١ وتولى التدريس بها من العلماء الحافظ الدمياطى ، ودرس بها
الحديث ابن العجمى . ومدرسة الشيخونة بناها الأمير شيخون " توفي سنة ٧٥٦هـ .
وهي مدرسة هائلة جمع فيها المذاهب الأربع ، وداراً للحديث ، وخانقاه للصوفية
، وقف عليها كثيراً ^٢.

كانت أقدم مدارس القاهرة العامرة جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، تعقد
فيه حلقات الدرس للمذاهب الأربع ، وكانت له مكانة خاصة في نفوس الناس ،
وحرص السلاطين على الإهتمام به وتجديده ^٣ . ثم من بعد جامع عمرو بن العاص
يجيء جامع ابن طولون ، الذي اهتم به المماليك وقام في عام ٦٩٦هـ السلطان
لاجين بتجديده.

يقول المقريزى : " وتقديم السلطان الى علم الدين سنجر الدوادرى بعمارة
الجامع الطولونى ، وعين لذلك عشرين ألف دينار عيناً ، فعمره و عمر أوقافه ،
وأوقف قرية منية أفدونة من الأعمال الجيزة عليه ، ورتب فيه درس تفسير وحديث
نبي ، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربع ، ودرساً للطب ، وشيخ ميعاد ،
ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن " ^٤

ولميا أمر المعز لدين الله الفاطمى جوهر الصقلى ببناء الجامع الأزهر أصبح
قلعة متينة للعلم ، ومنارة سامقة يقصدها الطلاب من مناحى العالم الإسلامي

^١ البداية والنهاية ٢٤٢/١٣

^٢ البداية والنهاية ٢٥٨/١٤

^٣ إرشاد الأريب ٢٨٩/٤ - معجم الأدباء-

^٤ النجوم الراحلة ١٠٧/٨

المختلفة ، تغذى أدمغتهم ، وتنير قلوبهم . كما كان منبراً لجهازه العلماء إذ ألقى به ابن عطاء الله السكندرى مواضعه وحكمه المشهورة.

ثم قبة الشافعى بالقرافة الملحة بضریحه ، وهى مدرسة فسیحة ، اشتهرت في عهد الممالیک.

ذكرت فيما مضى بعضاً من المدارس الهامة التي أنشئت في العصر المملوکي في القاهرة ، ولقد عممت المدارس مدنأً أخرى في مصر : مثل القوص وأسيوط وغيرها ، مما لا يتسع المجال للحديث عنها. أما في دمشق - عاصمة بلاد الشام ومقر نائب السلطنة - فقد كانت المدارس الكبرى حية ، حيث يؤمها العديد من العلماء من كل الأصقاع من المشرق والمغرب ، ولعل من أشهر مدارسها دار الحديث الظاهرية ، ودار الحديث الأشرفية ، بجوار قلعة دمشق ، والتي قام ببنائها الأشرف موسى بن العادل الأيوبي . ومن أحسن المدارس من حيث جمال وغرابة المبني الناصري البراني بسفح جبل قاسيون ، والناصري الجوانية داخل باب الفراديس . جاء في البداية والنهاية أن الأمير جمال الدين أقوش النجبي وقف داراً عامرة للشافعية أقام بها المؤرخ المشهور ابن كثير ودرّس.^١

أما الجامع الأموي بدمشق فقد كان جامعة كبيرة تلقى فيها الدروس^٢ في شتى العلوم والفنون من جانب فطاحلة العلماء وكبارهم من كانوا يتنافسون لينالوا حظوة التدريس به . ولقد درس به عدد من كبار العلماء أمثال الخطيب القزويني ، وتقى الدين السبكي ، والعلامة الحليل والمفسر الكبير عماد الدين بن كثير . كما كان رواد الجامع الأموي من الطلاب والمعلمين والمدرسين يعطون رواتب شهرية . ولا ننسى أن نذكر أن مدنأً أخرى في الشام كانت تزدهم بالمدارس والعلماء أمثال حلب وغيرها.

من هذا الاستطراد يتضح الإهتمام البالغ الذي أولاه الممالیک للعلم والعلماء وخزائن الكتب . وحسبنا أن نقول : إن كل مدرسة ومسجد ومارستان ... وغير ذلك مما أنشأه الممالیک ، كانت تلحق به خزانة عامة تضم الأهمال من الكتب القيمة ، والمصنفات النافعة ، في كل فن ومطلب مما أدى إلى نشاط الحركة العلمية والثقافية وساهم بقدر كبير في تقدم ورقي البلاد.

^١ البداية والنهاية ٢٨٠/٦

ولعل هيمنة المالك على مقايد الأمور وبسطهم لنفوذهم على كل طبقات المجتمع ، اكتسبت المجتمع الأمن ، وأعانتهم على سياسة شئون البلاد وحكمها . يقول الأستاذ الجامعي ابراهيم لابدوس : " إن هذه الصلات المباشرة التي كانت تربط المالك بالطبقات جميعاً أحدثت نمطاً للعلاقات حكم المالك المجتمع بواسطتها وما كان المالك قد استخدموها تعاون الأعيان ، وفتوا عامة الشعب ، واحتوا عنف الكتل البروليتارية تمكنوا منطق هذه العلاقات من المؤهل دون تكوين أنماط بديلة للحكم " ^١

في هذا الجو المشحون بالتحصيل العلمي ، والذى لم يضن المالك فيه بمال من أجل العلم حتى غدا عصرهم درة في جبين الثقافة الإسلامية. قلت في هذا الجو نشأ أديبنا الكبير - صلاح الدين الصفدي - ابناؤ لأحد أمراء المالك ، وكاتباً في دواوين الإنماء ، معاصرًاً لعديد الواقع ، مما أثر على تكوينه ، وشخصيته ، وفتح موهبه ، وأصبحت له " همة عالية في التحصيل " ^٢ مما سيتضح بصورة جلية عند الحديث عن شخصيته.

المطلب الثاني: شخصية الصفدي

اسم ونسبه: هو صلاح الدين ابو الصفا خليل بن أبيك بن عبد الله - الألبكي. ^٣ الصفدي الشافعى ^٤ ، مؤرخ ، أديب ، ناشر ، ناظم ، لغوی ^٥ ، إمام ، كاتب ، شاعر. وديوان شعره مشهور بأيدي الناس وهو من المكتشين.

مولده ونشأته: (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ ، ١٢٩٧ - ١٢٦٣ م)

ولد بصفد ^٦ سنة ست وتسعين وستمائة ^٧ ، وقرأ يسيراً من الفقه والأصولين ، وbreve في الأدب نظماً ونشرأً وكتابة وجمعأً ، وعنى بالحديث ، وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها ثم حبب إليه الأدب فولع به وكتب الخط الجيد ، وشارك في الفنون .

^١ مدن اسلامية في عهد المالك صفحة ٣١٦

^٢ طبقات الشافعية ٩٤/٦

^٣ النجوم الراحلة ١٩/١١

^٤ شذرات الذهب ٢٠٠/٦

^٥ معجم المؤلفين ١١٤/٢

^٦ معجم المؤلفين ١١٤/٢

^٧ طبقات الشافعية ٩٤/٢

" وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة فطلب بنفسه^١ .

فقد هيأه ولو عه بالرسم وتعلقه به ، لأن يكون خطاطاً بارعاً ، كما أطلق هذا الولوع خياله وأغناه ليجيد التعبير بالتصوير في الشعر والثر ، وهو في الشعر وسليته الأصيلة^٢ .

أعماله:

أول عمل تولاه بعد أن حفظ القرآن ودرس اللغة والأدب ، وبرع في الخط أنه تولى كتابة الدرج^٣ وديوان الإنشاء في صفد . ونذكر أن ديوان الإنشاء كان يتتألف من ناظر الديوان ويسمى كذلك كاتب السر ، وتحته كتاب الدست وعددهم أربعة ، ويسمون كذلك الموقعين ، لأنه يحق لأحدhem التوقيع على الكتب الواردة في غياب ناظر الديوان ، ويأتي بعد ذلك كتاب الدرج ويغلب أن يكونوا أربعة.^٤ وكان من بين أعمال ديوان الإنشاء : النظر في المظالم ، وكل من يتولى ديوان الإنشاء لابد أن يكون ملماً بأعمال الكتابة ، وكان منهم من يعرف - بالضرورة - اللغات الأجنبية ، وتعريب الكلمات الأعجمية.^٥

ثم نقل الصFDى إلى القاهرة ، للعمل نفسه " أى كاتباً للدرج في ديوان الإنشاء " لكنه بطبيعة الحال وهو في عاصمة البلاد آنذاك أسمى مما كان - وهو في صفد - درجة وأرفع مكانة . ويبدو أن المقام طال به في القاهرة إذ استمر حتى عام ٧٦٠ هـ وكان قد بلغ من العمر الرابعة والستين .

^١ الدرر الكامنة ٤٩/٢

^٢ النقد الأدبي صفحة ٧٤

^٣ الدرج: الورق المستطيل ، المركب من عدة أوصال متلاصقة ، يكتب فيه ويلف .
وسموا كتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دروج الورق . وهم الذين يكتبون ما يقع به كاتب السر ، أو إشارة النائب ، أو الوزير ونحو ذلك .

^٤ البداية والنهاية . ٢٧٥/١٤

^٥ انظر نظم دولة سلاطين المماليك د. عبد المنعم ماجد ٥٥/١

ثم انه ولی كتابة بيت المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها أيضاً ويقول صديقه تاج الدين السبکی وقد كان يومها قاضی قضاة الشام " وقد ساعدته آخر عمره ، فولی كتابة الدست بدمشق "

وكاتب الدست في الطبقة الأولى من كتاب دیوان الإنشاء أيضاً ، وسموا كتاب الدست ، إضافة إلى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه للكتابة بين يديه.

ثم ولی كتابة السر بحلب ، ثم ناظر دیوان الإنشاء بالرحبة" من بلدان الشام " يقول السبکی " ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال ، وكتابة الدست .. وكان لا يلی نظر بيت المال إلا من هو من ذوى العدالات المبرزة " فكان لمرکزه الجليل مكانة بين موظفى القصر ، وتحت يده الصيارة والكتب والشهود. ^١

ويذكر القلسقندی أنه لا يتولى هذه الوظيفة إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والدين.

ويذكر ابن تغري بردى بعد أن عدد هذه الوظائف أنه تصدى للتدريس بالجامع الأموي بدمشق.

قال عنه السبکی : " وكانت بيني وبينه صدقة منذ كنت صغيراً فإنه يتتردد إلى والدى فصحبته ولم يزل مصاحباً لي إلى أن قضى نحبه وكانت قد ساعدته آخر عمره فولی كتابة الدست بدمشق ، ثم ساعدته فولی كتابة السر بحلب ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدست واستمر بها إلى أن مات بالطاعون ليلة عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة وكانت له همة عالية في التحصيل" ^٢ ودفن بالصوفية قال ابن قاضى شهبة ^٣ . وكان في الآخرة قد ثقل سمعه. ^٤

^١ الدرر الكامنة صفحة ٤٩ رسالة في علم الموسيقا تأليف صلاح الدين الصفدي صفحة ٧٨.

^٢ طبقات الشافعية ٩٤/٦

^٣ شدرات الذهب صفحة ٢٠١/٦

^٤ الدرر الكامنة ٤٩/٢

أخلاقه:

يجمع الذين ترجموا له على الإشادة بما تخلّى به من أخلاق حميدة ، وصفات طيبة ، جعلته محباً لكل من عرفه. يذكر ابن تغري بردى نقاً عن الذهبي : أنه كان إماماً ، عالماً ، صادقاً ، ماهراً حسن الأخلاق والمحاضرة. ويذكر ابن حجر أنه كان محباً إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المؤودة.

١

وقال عنه الحسيني - شيخه - "كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم" ^٢ وأنه من الرؤساء الأخيار ، وقد كان عطر السمعة ، طيب الذكر في كل ما تولاه من مناصب ، رغم ما يصيب أمثاله من الإهانة. وكان بينه وبين علماء عصره ، وأدبائه ، مكتبات ومراسلات.

قال عنه ابن حبيب - المؤرخ المصري - عندما ترجم له ^٣ أنه اجتمع به في القاهرة ، وسمع من فوائده ، وانتفع بأدبه ، ووقف الصدفي على كتاب لابن حبيب ، وسمه بـ (نسيم الصبا) في الأديبيات ، فكتب عليه نحو ثلاثين سطراً تقريراً له منها:-

وقلت لأهل النثر والنظم قابلوا : ترائيها مصقوله كالسجين
وميلوا بأعطااف التعجب إنها : (نسيم الصبا) جاءت برياً القرنفل
وكم من مجلس علم وأدب ضمه وأصدقاءه ، يتداولون في مسائل علمية ، وأدبية
، بروح الود والحبة.

هذا وقد نقل إلينا ابن كثير جانباً من هذه المجالس العلمية.^٤

ومن دلائل حبه للناس : عفة لسانه لمن يترجم لهم ، وابتعاده عما يسى إليهم ، فلم يتعرض لغضبهم ، وما أثار حفاظ الملوك ولا الأمراء ، ولم يكن ذلك على حساب الحقيقة ، بل لعدم اعتنائه كثيراً بتاريخ السياسة أو تدوين وقائع الملوك.

^١ المصدر السابق ٤٩/٢

^٢ طبقات الشافعية ٩٤/٢

^٣ تذكرة النبيه ٢٦٨/٣

^٤ البداية والنهاية ٢٩٥/١٤

شيوخه:

لم يجد الصفدي في علماء بلده ما يرضي موهبه ، ويُسبر غور طموحه ، ويشبع نهمه ، " وقد كانت له همة عالية في التحصل " ^١ فرحل إلى دمشق يقرأ على علمائها الأجلاء.

وكان من أشياخه الذهبي وابن كثير والحسيني وغيرهم ^٢ كما أنه قرأ عن القاضي بدر الدين بن جماعة الفقه على المذهب الشافعى وقرأ عن أبي الفتح ابن سيد الناس والتقي السبكي والحافظين أبي الحجاج المزى وأبي عبد الله الذهبي وغيرهم . وأخذ النحو عن أبي حيان النحوى ، والأدب عن ابن نباته والشهاب محمود ولازمه ومهر في فن الأدب والخط المليح ^٣ كما أخذ التاريخ عن أبي عبد الله الذهبي ^٤ . كذلك قرأ على الشيخ الإمام رحمه الله جميع " شفاء السقام في زيارة خير الأنام " عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولازم الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس وبه تهر في الأدب وصنف الكثير في التاريخ والأدب ^٥ حتى برع في الأدب نظماً ونشرأً وكتابة وجمعأً . وقد أثر اهتمامه البالغ بالأدب وتحصيله وما يتصل به بسبب ، على تحصيله لبقية العلوم ، والتي لم تجد كذلك هوى من نفسه ، فكأنما أدرك سوء تأثيرها في خيال الأديب ، وفي تعبيره الشعري . وقد قرأ بنفسه شيئاً من الحديث. ^٦

والنقد ، منذ أن كان يقرأ عليهم ، يقول الصفدي في معرض حديثه عن شيخه ابن سيد الناس " وكتبت له استدعاء اجازته لي ، بما صورته بعد الحمدلة والصلة....(فكان مما أجابه به الشيخ): وأذنت لك في إصلاح ما تعثر عليه من الزلل والوهم ، والخلل الصادر عن غفلة اعتبرت النقل أو وهلة اعترضت الفهم ، فيما صدر عن قبحي القرحة من التحرر والنظم ، وفيما تراه من إستبدال لفظ بغيره

^١ طبقات الشافعية ٩٤/٦

^٢ الدرر الكاملة ٤٩/٢

^٣ شذرات الذهب ٢٠٠/٦

^٤ طبقات الشافعية ٢١٦/٥

^٥ طبقات الشافعية ٩٤/٦

^٦ الدرر الكاملة ٨٧/٢

، مما لعله أنجحى من المرهوب ، أو أبشع في نيل المطلوب ، أو أجرى في سنن الفصاحة على الأسلوب^١

آثاره العلمية :

كان صلاح الدين ابو الصفا أديباً ، برع في الأدب ، نظماً ، ونثراً ، وكتابة ، وجمعأً. فقد قال النظم الرائق ، وألف المؤلفات الفائقة . وباشر كتابة الإنماء بمصر ودمشق ، ثم ولى كتابة السر بحلب . قال عنه ابن حجر العسقلاني : " وقال الشعر الحسن ثم أكثر جداً من النظم والنشر والتسلل والتواقيع .^٢ كما قال عنه الذهبي : " الأديب البارع الكاتب شارك في الفنون وتقدير في الإنماء وجمع وصنف . وقال أيضاً : سمع مني وسمعت منه وله تواليف وكتب وبلاعه "^٣" وقال في المعجم المختص الإمام العالم الأديب البلوي الكامل طلب العلم وشارك في الفضائل وساد في الرسائل وقرأ الحديث وجمع وصنف".

وقد كان من أنشط أدباء عصره ، كتب الكثير في التاريخ واللغة والأدب . " قوله الأشعار الفائقة والفنون المتعددة"^٤

مؤلفاته وآثاره العلمية:

خلف الصفدي ثروة ضخمة من المؤلفات التي تنوّعت أغراضها وتبينت موضوعاتها فقد كتب في التاريخ والسير والبلاغة والأدب والموسيقى والشعر والنقد وغير ذلك

من فنون العربية ، وعن مؤلفاته يقول السبكي في طبقات الشافعية " قيل أنه كتب أزيد ٦٠٦ مجلد تصنيفاً " ونحو هذه العبارة وجدت بخط الصفدي إذ يقول : " كتبت بيدي خمسماه مجلدة " وقال " لعل الذى كتبه في الإنماء ضعفاً ذلك " ^٥ ويروى أيضاً عنه السبكي " قال لي : إنه كتب أزيد من ستمائة مجلد تصنيفاً وكان بيبي وبينه صداقة ". كما قال عنه أيضاً " كانت له همة عالية في التحصيل

^١ الباقي بالوفيات ٢٨٩/١

^٢ الدرر الكامنة ٤٩/٢

^٣ النجوم الزاهرة ١٩/١١

^٤ البداية والنهاية ٣٠٣/١٤

^٥ الدرر الكامنة ٤٩/٢

فما صنف كتاباً إلا وسألني فيه عما يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو لاسيما أعيان العصر فأنا أشرت إليه بعمله ثم استعن بي في أكثره. ولما أخرجت مختصرى في الأصلين المسمى جمع الجوامع كتبه بخطه وصار يحضر الحلقة وهو يقرأ على ولذ له التقرير وسمعه كله على وربما شارك في فهم البعض منه رحمة الله تعالى^١.

لا ضير ! بل لا غرابة في حديث السبكي عن الصفدي فهو صديقه الصدوق الذى يصغره بثلاثين عاماً. ولقد بدأت صداقتهما عندما كان الصفدي يتعدد على والده (تقى الدين) ليأخذ عنه. ولقد استمرت إلى أن قضى الصفدي نحبه. وذكر ابن العماد الحنبلي " وقفت على ترجمة كتبها لنفسه نحو كراسين ذكر فيها أحواله ومشائخه وأسماء مصنفاته وهى في نحو الخمسين مصنفاً منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله^٢ " وقال ابن كثير : " مصنفاته بلغت المئين من المجلدات ولعل الذي كتبه في ديوان الإنشاء ضعف ذلك "^٣

أما الزركلى فقد ذكر بأنه "كثير التصانيف الممتعة له زهاء مائة مصنف "

٤

وفيما يلى أقدم ثبتاً بما وقفت عليه من مؤلفات الصفدي مع إيراد بعض البيانات عنها:

(١) الواقي بالوفيات.

^١ شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ م - بيروت - ٦ /

٢٠٩

^٢ المصدر السابق ٢٠١ / ٦

^٣ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع العلامة شيخ الإسلام محمد بن على الشوكاني المتوفى ١٢٥٠ هـ - المجلد الأول - دار المعارف للطباعة والنشر - بيروت - لبنان . ١ / ٢٤٣

^٤ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٦ / ٢٠١

وهو أشهر كتبه ، ويقع في نحو ثلاثين مجلداً على حروف المعجم ، قال عنه ابن تغري بردى:

" وتاريخه المسمى الواقي بالوفيات في غاية الحسن وفدت عليه وانتقائه ونقلت منه أشياء كثيرة في هذا المؤلف وفي غيره " ^١ ويعزى ابن تغري بردى تسمية صلاح الدين ابو الصفا كتابه " الواقي بالوفيات " إشارة على تاريخ ابن خلkan انه يوفى بما أخل به ابن خلkan. فلم يحصل له ذلك " . ^٢ وتقدير صلاح الدين ابو الصفا هو عين السبب الذي جعل ابن تغري بردى يعدل اسم كتابه " المستوفى على الواقي " إلى " المستوفى بعد الواقي " خوفاً من أن يقع في التقصير الذي وقع فيه أبو الصفا الصدفى.

ويعد " الواقي بالوفيات " أكبر المعاجم التاريخية المعروفة من نوعه " جمع فيه تراث الأعيان ، ونجباء الزمان ، مما وقع عليه اختياره . فلا يغادر أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال القراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء والأولياء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب النحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ، من اشتهر أو أتقن إلا ذكره.

وذكر كل من فتح فتحاً يسره ، أو خيراً قرره ، أو جوداً أرسله ، أو رأياً أعمله ، أو حسنة أسدتها ، أو سيئة أبداتها ، أو بدعة سنها وزخرفها ، أو كتاباً وضعه ، أو تأليفاً جمعه ، أو شعراً نظمه ، أو نشراً أحكمه ، فازداد النفع به للمحدث والأديب". ^٣ دخل الكتاب في ثلاثين مجلداً " معظمها مخطوط " افتتح الصدفى كتابه بن اسمه محمد ، فاستهل حديثه بالرسول عليه الصلاة والسلام ثم تحدث عن اسمه محمد من الأعيان ثم ساق الترجم بأسلوب مرسل رقيق على حروف المعجم.

^١ النجوم الراherة ١٩/١١

^٢ النجوم الراherة ١٩/١١

^٣ انظر كشف الظنون ٤١٠/٢

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر.

وقد استله الصفدي من كتابه "الوافي بالوفيات" وهو تراجم أهل عصره وقد طبع في ست مجلدات بتحقيق الدكتور على أبوزيد وآخرون.

(٣) اختراع الخرائط في مخالفته النقل والطبع.

وهو شرح مفصل لأشعار مع تعليقات في علوم اللغة والعرض ، ورد عند بروكلمان 29 S 11 GAL 1133 ليرن ٣٢١ وقد طبع أخيراً بمصر.

(٤) الأرب من غيث الأدب: ورد في فهرس الخزانة التيمورية ١٧٧/٣ دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ أشار صاحب معجم المؤلفين ١١٤/٤ إلى أن كتاب (الأرب من غيث الأدب) هو نفسه (الغيث المسجم) بينما جاء في كتاب (رسالة في علم الموسيقا) أن الكتابين مختلفان .

(٥) الحان السواجع من المبادئ والمراجع : (مخطوط) وهو رسائله إلى بعض معاصريه . ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ والأعلام ٣١٤/٢ بينما ورد عند بروكلمان GAL 1132 S1128 باسم : "الحان السواجع من النادي والراجع برلين ٨٦٣١ باريس ٢٠٦٧ المتحف البريطاني ١٠١٦ وغير ذلك.

(٦) تحفة ذوى الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب: (مخطوط) وهو ارجوزة لكتاب ابن عساكر وقد نشر صلاح الدين المنحد كتاباً للصفدي باسم (أمراء دمشق في الإسلام) ارجوزة ، لعلها جزء من "تحفة ذوى الألباب" وأورده بروكلمان.

(٧) التذكرة : (مخطوط) وهو مطول في الأدب والشعر ، تقع في ثلاثة مجلداً ، مرتب حسب الموضوعات ، ويقسم إلى أبواب في أنواع الفضائل والرذائل ، وفيه كثير من الفوائد التاريخية والإجتماعية ، وكثير أيضاً من تراجم الشعراء والأدباء . ومن المرجح أنه صنف التذكرة ليعود إليها عند الحاجة.

ورد في الأعلام ٣٦٤/٢

(٨) تصحيح التصحيح وتحريف التحريف :
ورد في معجم المؤلفين ٤/١١٤ وفي هدية العارفين ١/٣٥١ وهناك نسخة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة المكتبة الزكية ٣٧ لغة .^١ وقد طبع سنة ١٩٨٧ م بتحقيق السيد الشرقاوي .

(٩) تشنيف السمع بإنسكاب الدمع: وورد كذلك باسم "لذة السمع في صفات الدمع" . جمع فيه ما قاله الشعراء في الدمع ووصفه ، فبدأ بالبكاء منذ قول أمرئ القيس فيه ، حتى جرى كالأنهار وطمئن كالبحور في عصره. مع مقدمة حسنة في النقد وهو مطبوع في القاهرة سنة ١٣٢١هـ.

(١٠) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (الجدية): وهو موضوع يختي هذا ، صدر بترجمة مطولة لابن زيدون ، مع انتقاءات شعرية ، ونوادر تاريخية . وهو مطبوع . وقد أورده ابن حجر في الدرر الكامنة ٢/٨٧.

(١١) جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة : (مخطوط) في الخزانة التيمورية ، وصفه محمد كرد على في مجلة المجمع ١٦/٣٨ وورد في الدرر الكامنة ٢/٨٧ والأعلام ٢/٢٦٤

(١٢) جر الذيل في وصف الخيل : (مخطوط) ورد في الدرر الكامنة ٢/٨٧ . والبدر الطالع ١/٢٤٣ .

^١ انظر (لحن العامة والتطور اللغوي) د. رمضان عبد التواب - ٢٦٨ - ٢٧٣

- (١٣) جنان الجناس: وورد تحت اسم "جنان الجناس في علم البديع" ^١
ومنه نسخة موجزة بعنوان "نזהة الخلاص في علم الجناس" وهو
مطبوع.
- (١٤) الحسن الصريح في مائة مليح: (مخطوط) مجموعة أشعار في الغلمان .
منه نسخة في دار الكتب الظاهرية رقم عام ٥١٥٧ .
- (١٥) حلى النواهد على ما في الصلاح من الشواهد : (مخطوط) مفقود .
ذكره البغدادي في هدية العارفين ٣٥١/١ .
- (١٦) الروض باسم والشغر الناسم :
ورد في الدرر الكامنة ٣٦٤/٢ والأعلام ٨٧/٢ ويشير بروكلمان إلى أن
منه نسخة في الأسكوريال ١٨٤٨ انظر Gal 1133 وقد طبع سنة ٢٠٠٥
بتحقيق الدكتور محمد عبد الحميد لاشين .
- (١٧) ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء : (مخطوط) وهو منتخبات من الشعر
والنشر - ألفه للسلطان الأشرف الأيوبي ويشير بروكلمان إلى أنه بخط المؤلف
Gal 1132 فيينا ٣٨٩ .
- (١٨) رصف الزلال في وصف الملال: (مطبوع)
ورد عند بروكلمان باسم (كشف الزلال) وعند زيدان في تاريخ آداب
اللغة العربية (رشف الزلال) كذلك في رسالة في علم الموسيقا. والرشف والرصف
أكثر قبولاً.
- (١٩) رصف الرحيق في وصف الرحيق: (مخطوط) وهو مقامة أورده
بروكلمان بعنوان (كشف الرحيق) وزيدان (رشف) وكذلك في رسالة
في علم الموسيقا. وكلاهما أقرب إلى حسن الأداء من (كشف) في
الاسكوريال .
- (٢٠) رموز الشجرة النعمانية : (مخطوط) ذكر في هدية العارفين ٣٥١/١ وفي
دار الكتب الظاهرية بدمشق ورد باسم (شرح الشجرة النعمانية) رقم
عام ٨٧٣١ و ٦٢٣٢ و ٧٣٣٠ .

^١ (رسالة في علم الموسيقا) تأليف صلاح الدين الصفدي صفحة ٦٢
(48)

- (٢١) الشعور بالعور: منه نسخة في المكتبة الخالدية في ١٩٠ صفة وصفها سامح الخالدي في الرسالة (مصر) ٨ / ١٩٤٠ : ١٤٠١ وقد طبع سنة ١٩٨٨ م بتحقيق عبد الرزاق حسين.
- (٢٢) صرف العين عن صرف العين في وصف العين: ورد في طبقات الشافعية ٩٦/٦ وهدية العارفين ٣٥١/١ وقال بروكلمان إن بعض أوراقه بخط الصفدي، وقد طبع سنة ٢٠٠٥ م بتحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين.
- (٢٣) طوق الحماماة: مختصر شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرؤن ، وقد أورده بروكلمان في كتابه GAL 11 33 .
- (٢٤) طرد السبع عن سرد السبع: ورد في هدية العارفين ٣٥١/١ .
- (٢٥) العرف الندى في شرح قصيدة ابن الوردى: (مخطوط) في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم عام ٥٨١٩ .
- (٢٦) عبرة الليب بعثرة الكئيب: وهو عند بروكلمان : عبرة الليب بمصر الكئيب أو (المقامة الأبيكية) كذلك في رسالة في علم الموسيقا.
- (٢٧) الغيث المسجم في شرح لامية العجم: أثبتت فيه تمكنه من علوم العربية ، وقد أورد فيه شيئاً من المحون ، وفيه فوائد تاريخية هامة وقد طبع في مجلدين.
- (٢٨) غواض الصلاح في اللغة: في هدية العارفين .
- (٢٩) فض الختم عن التورية والإستخدام: (مخطوط) ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بلاغة ٤٨ .
- (٣٠) قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة: (مطبوع) .
- (٣١) القصيدة اللامية: عند بروكلمان 29 GALS11 في برلين ٧٩٧٢ وورد في رسالة في علم الموسيقا.
- (٣٢) قصيدة تائية ليبخ ٤٧٥ في بروكلمان 1129 GALS
- (٣٣) قصيدة برلين ٨٧٦٠ GAL1133

(٣٤) كشف الحال في وصف الحال : (مخطوط) مجموعة شعرية ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ عند بروكلمان GAL1133 في هافانا ٢٩٣ ومنه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم عام ٦٩٢٧.

(٣٥) كشف السر المبهم في لزوم ما لا يلزم : (مخطوط) منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧١٥١.

(٣٦) الكشف والتبيه على الوصف والتشبيه : (مخطوط) ورد بعنوان (التبيه على التشبيه) في الدرر الكامنة ٨٧/٢ وبعنوان (الوصف والتشبيه) في طبقات الشافعية ٩٦/٦.

(٣٧) لوعة الشاكي ودمعة الباكي : منه نسخة خطية في مخطوطات جامعة الرياض الرقم المتسلسل ٣٢٩ والرقم العام ١٤٣٦ . وهو مطبوع.

(٣٨) منشآت الصفدي: مجموعة مقالات وسائل وتوقيع وتقاویر رسمية.

(٣٩) المنتقى في المحارة والمجازاة: (مخطوط) ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ باسم المحارة والمجازاة في محارة الشعراء.

(٤٠) المحاورة الصلاحية في الأجاجي الإصطلاحية : بروكلمان GALS1129 في الاسكوريال ٤٣٢.

(٤١) نُكت الهميان في نكت العميان: ترجم فضلاء العميان وأخبارهم. وهو منسق ، ويتحلى بمقدمة حسنة في موضوعه وهو مطبوع متداول.

(٤٢) نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهرى من الوهم: (مخطوط) في اللغة ورد في هدية العارفين ٣٥١/١.

(٤٣) نصرة الثائر على المثل السائر : مطبوع بتحقيق المؤلف .

(٤٤) المول المعجب في القول الموجب : عند بروكلمان في القاهرة GALS1129 ، وقد طبع سنة ٢٠٠٥م بتحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين.

(٤٥) التبيه على التشبيه : (مخطوط)

(٤٦) حقيقة الحجاز الى الحجاز: نظم ونشر . صور رحلته الى الحجاز.

- (٤٧) ديوان الصدري.
- (٤٨) رسالة في علم الموسيقا.
- (٤٩) زهر الخمائل في ذكر الهدایل.
- (٥٠) طراز الألغاز.
- (٥١) غرة الصبح في اللعب بالرمح.
- (٥٢) الفضل المنيف في المولد الشریف.
- (٥٣) لذة السمع في وصف الدمع.
- (٥٤) المثانی والمثالث: مقاطع ونظم.
- (٥٥) المقترح في المصطلح.
- (٥٦) نجم الدياجی في وصف الأجاجی.

٥: شعر

كثير الشعر غزيره ، وهو مبثوث في ثنايا كتبه ، " وقد أودع منه في شرح لامية العجم ما يعرف به مقداره " ^١ وديوان شعره مشهور بأيدي الناس وهو من المكترين ^٢ ولقد كتب الكثير من الشعر منه الغث ومنه الثمين . وما يؤخذ عليه أن له العديد من السرقات قال عنه الشوکانی : " ولكرة ملاحظته للمعنى البديعية صار الغث من شعره كثيراً وينضم الى ذلك ما يطربه به من المبالغة في حسنه فيزداد ثقلأً". ثم واصل بقوله " كما أنه كان يختلس معانٍ شعر شيخه ابن نباته وينظمها لنفسه وقد صنف ابن نباته في ذلك مصنفاً سماه " خبز الشعیر المأکول المذموم " وبين سرقاته لشعره ^٣ كما ذكر ابن تغري بردى لفيفاً من شعره نورد بعضاً منه على سبيل المثال والاختصار .

فمن شعره بسندها إليه أنسدنا مسنداً عصره ابن الفرات الحنفي إجازة أنسدنا الشيخ صلاح الدين خليل الصدري إجازة^٤ .

^١ البدر الطالع ٢٤٣/١

^٢ البداية والنهاية ٣٠٣/١٤

^٣ انظر البدر الطالع صفحة ٢٤٤/١

^٤ النجوم الزاهرة ج ١١ / ص ٢٠-٢١

السريع:

المقلة السوداء أجفانها : ترشف في وسط فؤادي نبال
وتقطع الطرق على سلوتي : حتى حسنا في السويدا رجال
قال وله أيضاً رحمة الله تعالى
الوافر:

محياه له حسن بديع غدا : روض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشى : مذهبة فزمكها وشعر
وله عفا الله عنه

البسيط:

بسهم أحاظه رمانى : فذبت من هجره وبينه
إن مت مالي سواه خصم : فإنه قاتلى بعينه
وقال:

المتقارب:

كعوس المدام تحب الصفا : فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها : فأحسن ما ذهبت بالطلا
وله

الطوبل:

أقول له ما كان خدك هكذا : ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجي
 فمن أين هذا الحسن والظرف قال لي: تفتح وردي والعذار تخروا
وله

الكامل:

أنفقت كنزة مدائحي في ثغره : وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة : فأبى وراح تغلى في البارد
وله

المنسرح:

أفديه ساجى الجفون حين رنا : أصاب مني الحشا بسهمين

أعدمني الرشد في هواه ولا
وله
البسيط:

سألتم عن منام عيفي : وقد يراه جفا وبين
والنوم قد غاب حين غبتكم : ولم تقع لي عليه عين

آراء العلماء عنه: قال عنه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى " وكانت له همة عالية في التحصيل " ^١ كما قال عنه ابن حجر العسقلاني : " وكان محبياً إلى الناس حسن المعاشرة جميل المودة " ^٢ كما قال في المعجم المختص عنه " الإمام العالم الأديب البلigh الكامل طلب العلم وشارك في الفضائل وساد في الرسائل وقرأ الحديث وجمع وصنف وله تواليف وكتب وبلاعنة وقد ترجم له السبكي في الطبقات ومات " ملحوظة بياض بالأصل".

كما قال عنه الحسيني : " كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم " وقال ابن كثير " كتب ما يقارب مئتين من المجلدات " وقال ابن سعد " كان من بقایا الرؤساء الأخيراء " وقال ابن رافع " قرأ بنفسه شيئاً من الحديث وكتب بعض الطباقي وقرأ الأدب على شیخنا الشهاب محمود ولازمه مدة " ^٣ وكتب عنه الذهبي من شعره وذكره في معجمه . وأنشد عنه ابن رافع عدة مقاطيع من نظمه منها:

بسهم أجهان رمانى : وذبت من هجره وبينه
إن مت مالي سواه خصم : لأنه قاتلى بعينه
كما قال عنه الإمام الشوكاني : " وكان حسن المعاشرة جميل المروءة وكان
إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم " ^٤

كان يرضى في شعره بالأشیاء الرخيصة ذكر ابن حجة قال : " إن الشيخ
صلاح الدين - ساحمه الله - كان من المكترين ، وكان هو والشيخ شهاب الدين

^١ طبقات الشافعية ٩٤/٦

^٢ الدرر الكامنة ٤٩/٢

^٣ المصدر السابق ٤٩/٢

^٤ البدر الطالع ٢٤٣/١

ابن أبي حجلة يرضيان لرغبتهم في الكثرة بالأشياء الرخيصة ".^١
اتسم أديينا الكبير - صلاح الدين الصفدي - بسمو مختاراته ، ورفعة كتاباته
، مما يدل على عمق في المعرفة ، ودقة وسعة في الإطلاع ، خاصة على تراث
الأدب العربي الغزير . ولقد كثرة الإشادة بكتاباته ولم أقف على نقد له إلا في
شعره خاصة سرقاته كما سبقت إلى ذلك الإشارة.

^١ خزانة الأدب صفحة ٣٠٩

المبحث الثالث

ابن علیم عصره وشخصيته

المطلب الأول: عصره ابنه علیم أولاً: الحياة السياسية

لما تربع الأتراك على دست الحكم في السودان ، تزايد سخط الشعب السوداني للقسوة التي انتهجوها في جمع الضرائب. فساقت أحوال السودانيين نتيجة للكبت وقمع الحريات^١ مما أعاذه على نجاح الثورة المهدية والتي تميز قيادتها الإمام محمد احمد المهدى بثقته في نفسه وقوته إيمانه بربه وعزمها على تخلص الشعب السوداني من ظلم الأتراك . فالتف الشعب حوله مما كان له أبلغ الأثر في انتصاراته المتتالية والتي انتهت بموت غردون وسقوط الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥.

اتخذ المهدى أم درمان عاصمة لحكمه مما أدى إلى ازدهارها^٢

عقب الثورة الصناعية تكالبت الدول الأوروبية على استعمار الدول رغبة في تسويق منتجاتها وتنمية اقتصادها فطمعت بريطانيا في استعمار السودان حماية مصالحها في إفريقيا وحماية لوجودها في مصر ومنطقة البحر الأحمر وما يتمتع به السودان من خيرات. فتمكنـت من القضاء على الدولة المهدية وتم رفع العلمين المصري والإنجليزي في سماء البلاد ابتدأـنا ببداية مرحلة الاستعمار التي عرفت باسم - الحكم الثنائـي - وتم التوقيع على الاتفاقية في يناير ١٨٩٩ وأصبحـت دستوراً لـحكم البلاد.

وأصبحـ كتشـنـر باشاـ الحـاـكـمـ العـاـمـ ورـغـمـ تـذـمـرـ الجـيـشـ المـصـرـىـ إـلـاـ أنـ الحـكـوـمـ المـصـرـىـ كـانـ رـاضـيـةـ عـنـ ذـلـكـ لأنـهاـ اـعـتـبـرـتـ مـوـقـفـ بـرـيطـانـياـ تـأـمـيـنـاـ لـلـحـدـودـ الجنـوـبـيـةـ إـضـافـةـ إـلـىـ ضـمـانـ حـصـةـ مـصـرـ مـنـ مـيـاهـ النـيـلـ وـتـحـسـينـ اـيـرـادـاتـهاـ مـنـ السـوـدـانـ^٣

^١ تاريخ الحركة الوطنية في السودان بروفسور محمد عمر بشير صفحة ٢٠

^٢ السودان بين عهدين - سعد ميخائيل صفحة ٨٢

^٣ التجانى يوسف بشير الشاعر السودان (دراسة نقدية في تجربته الشعرية) تأليف د. بدر الدين هاشم ابو القاسم -طبعة أولى- المطبعات العربية للتأليف والترجمة ١٩٨٧ هـ ١٤٠٧ صفحـتـيـ ١١ وـ ١٢

وبمرور الزمن استندت كل المهام للحاكم العام الانجليزي وجردت مصر من أي سلطة إذ رأت بريطانيا ضرورة تدريب الأهالي من السودانيين على إدارة بلادهم فأنشأت الإدارة الأهلية التي شاركت في الإدارة والقضاء عام ١٩٢٢م وكانت بريطانيا ترمي إلى جعل القبائل السودانية أكثر التصاقاً واتصالاً ببريطانيا على نية الاستغناء عن الموظفين المصريين إضافة إلى أنها هدفت إلى خلق أمة سودانية لها كيانها بإشراك الشعب في مختلف قطاعاته لكنها عجزت عن التنفيذ^١

تطورت الأحداث بعد نشوب الحرب العالمية الأولى بعدما دخلت تركيا الحرب ضد بريطانيا ، فمهدت نهاية الحرب لنمو نشاط سياسي يختلف في أغراضه واتجاهه عن حركات المقاومة السابقة ونمث في مصر الحركة الوطنية - بعد نشر الميثاق الفرنسي - فنادت بضرورة استقلال مصر. كما قدم سعد زغلول قضية مصر أمام مجلس السلام لكنه منع وقبض عليه ونفى في جزيرة مالطة^٢.

وفي عام ١٩٢٢م اصدرت الحكومة البريطانية اعلاناً بالإعتراف باستقلال مصر. أما السودان فقد جعل في محل التحفظ المطلق. ولما عاد سعد زغلول إلى مصر نادى مرة أخرى بضرورة الاستقلال الكامل لمصر والسودان. اعتبرت الإدارة البريطانية نفسها الوصية على مصالح السودان ولم تتنازل عن السلطة التي اكتسبتها بموجب قانون الحكم الشائي ، الأمر الذي جعل السودانيين يسخطون على الحكم البريطاني.

هذا وقد تأثر السودان بكل المراحل العصبية التي مرت بها مصر في تلك الفترة ، إضافة إلى التأثير المباشر للحرب ولقد تركت الأحداث التي مرت بها مصر صدى عميقاً على السودان كقانون منع التجمهر في ١٨/١٠/١٩١٤م وإعلان الأحكام العرفية ، ووضع الرقابة على الصحف ، وإعلان الحماية البريطانية على مصر وكانت ثورة ١٩٢٤ وليدياً شرعياً لثورة ١٩١٩م فبدأ الوعي الوطني المنظم في السودان^٣.

^١ التجانى يوسف بشير الشاعر السودانى (دراسة نقدية في تجربته الشعرية) تأليف د. بدر الدين هاشم أبو القاسم - طبعة أولى - المطبعات العربية للتأليف والترجمة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م صفحى ١١ و ١٢

^٢ تاريخ الحركة الوطنية في السودان بروفسور محمد عمر بشير صفحات ٨٢-٨٤

^٣ التجانى يوسف بشير الشاعر السودانى صفحة ١٤

ففي عام ١٩١٩ خرج المصريون العاملون بالسكة حديد ببورتسودان من معسكراً لهم وساروا في شوارع المدينة منادين باستقلال مصر فشاطرهم السودانيون بعطرية . وتواترت المظاهرات في المدن السودانية تطالب باستقلال مصر . وقد دعا محمد أمين هديب في خطبة بجامعة أمدرمان السودانيين بالاتحاد مع مصر لإنجاء البريطانيين^١

ولما حاول الوفد المصري السفر إلى بريطانيا لعرض قضيته على الحكومة أعلنت حالة الطوارئ في مصر ودخل الزعماء السجن وتم نفيهم إلى جزيرة مالطة . مما أدى إلى قيام المظاهرات . ثم إن بريطانيا أحست بقوة الوفد المصري فدعته للتفاوض معها وفي المفاوضات أصر الوفد أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر فاعتراضت بريطانيا واصرت أنه جزء منفصل على أساس الاتفاقية تحت الرعاية الإنجليزية فيجب أن يتطور بعيداً عن مصر.

في هذه الأثناء تبلور الوعي الوطني عند المثقفين السودانيين من خريجي كلية غردون فنشأت التنظيمات السرية ونشأت جمعية الاتحاد السوداني بام درمان عام ١٩٢٠ على يد عبيد حاج الأمين " ولم يلبث على عبد اللطيف ان اتفق مع عبيد حاج الأمين على ترك صفوف الجمعية وتأسيس جمعية اللواء الأبيض عام ١٩٢٣ ، والانتقال من الأقوال إلى الأفعال . وقد اخذ النضال السياسي في البداية شكل الجمعيات الأدبية والمناشط الثقافية في ام درمان والحواضر السودانية ، تلقى فيها قصائد وأغانى وطنية"^٢

أصبح السودانيون ينشدون شعر شوقي في الوعود الإنجليزية :

اليوم أخلفت الوعود حكومة ***** كنا نظن عهودها الانجليزا
وهكذا " شهدت الأعوام من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٣ نمو الوعي السياسي في بلادنا وذلك أن المرحلة الأولى للدعائية السياسية عن طريق الأوراق والمنشورات تطورت وأضحت المرحلة الثانية هي مرحلة التنظيمات والجمعيات السياسية"^٣

^١ تاريخ الحركة الوطنية في السودان محمد عمر بشير صفحة (٨٩)

^٢ تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر - دراسة في التطورات والإتجاهات السياسية د. أحمد طربين (استاذ في كلية الآداب جامعة دمشق) مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٩٤ صفحة ٣٦٣ وتأريخ السودان الحديث-ضرار صالح ضرار-صفحة ٢٥١

^٣ تاريخ الحركة الوطنية في السودان بروفسور محمد عمر بشير صفحة (٩٦)

ثم تمحضت عن الإتحاد السوداني جمعية اللواء الأبيض كما ذكرنا وبعد سجن قائدتها على عبد اللطيف التهبت المظاهرات التي تنادي بسقوط الإنجليز . كما سارت مظاهرة طلبة الكلية الحربية المسلحين إلى منزل الزعيم على عبد اللطيف مطالبة بالإفراج عنه^١

هذا السيل من المظاهرات جعل بريطانيا تحكم الحصار على حركة الوطنيين وتتدخل في إدارة البلاد.

في هذا الجو العاصف ارسل السودانيون مذكرة تطالب بحق تقرير المصير " رأى المؤتمر أن اشتراك السودان في الحرب بجانب الحلفاء لابد له من ثمن ولا أقل من أن يمنح استقلاله لتضحياته في جانب الديمقراطيات ، ومساندته لها. لذلك بعث المؤتمر بمذكرة في ٣ أبريل ١٩٤٢م إلى حاكم عام السودان مطالباً بإصدار تصريح مشترك في أقرب وقت من الحكومتين المصرية والبريطانية بإعطاء السودان بحدوده الجغرافية الكاملة حق تقرير المصير"^٢

ويتضح مما تقدم أن الصفة الوطنية في السودان وقتذاك توزع على الكتل التالية:

- كتلة التقليديين والموالين ، وهى تقف بجانب حكومة السودان ، وتناهض مصر وتدعو للحفاظ على الوضع القائم.
- كتلة المعتدلين ، وهى موالية للإنجليز ، ولكن تطالب بالإصلاح والتقدم التدريجي نحو الحكم الذاتي فالاستقلال.
- كتلة الوطنيين . وهى معادية للإنجليز ، ومؤيدة لمصر والسودان ، وتطالب بالتعاون مع مصر للحصول على استقلال السودان.^٣

وفي تطور لاحق للنضال السوداني ضد الاستعمار بشقيه الانجليزي والمصري. أصبح واضحاً أن الحركة الوطنية في بلادنا دخلت مرحلة جديدة تتميز بالإصالة والصلابة معاً^٤ ونتيجة لذلك " شعرت مصر بأن القومية السودانية

^١ تاريخ السودان الحديث - ضرار صالح ضرار - الدار السودانية للكتب ١٩٧٥ طبعة ثالثة .

^٢ المرجع السابق - صفحة ٢٥١

^٣ تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر صفحة ٣٦٦

^٤ تاريخ الحركة الوطنية في السودان صفحة ٢٢٥

قد نضجت بسرعة فائقة فأدركت أن السودان المستقل إنما هو درع للأرض الكنانة — فلما اتصلت بها حكومة الأزهرى معلنة رغبتها في أن ينال السودان استقلاله الكامل عن طريق التصويت في داخل البرلمان أبدت الحكومة المصرية موافقتها على ذلك دون اللجوء إلى استفتاء عام كما نصت على ذلك إتفاقية سنة ١٩٥٣ م. ولم تعترض الحكومة البريطانية على هذا الإجراء^١

" لذلك لم تجد بريطانيا بدأً من الموافقة على ما تم الاتفاق عليه . وفي ١٢ فبراير ١٩٥٣ وقعت في القاهرة اتفاقية بين الحكومتين المصرية والبريطانية بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان"^٢ .

" في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ انعقد البرلمان وصوت أعضاؤه في جانب استقلال السودان ، وفي ٢٢ ديسمبر أقر مجلس الشيوخ هذا القرار.

وأتخذت الخطوات النهائية في قرار الاستقلال في صبيحة اليوم الأول من يناير ١٩٥٦ ، وفي احتفال مهيب أُنزل العلمان البريطاني والمصري ، كما رفع العلم السوداني كل من اسماعيل الأزهري رئيس الحكومة ومحمد احمد محجوب زعيم المعارضة ، ودخل السودان في عهد جديد هو عهد الاستقلال^٣

ثانياً: الحياة الاجتماعية والثقافية

دان السودان بالعقيدة المسيحية قبل أن يعرف الإسلام ، فلما دخل الإسلام انتشر عن طريق التصوف ، إذ كان ملائماً للجميع . فأصبحت المفاهيم الدينية عنصر وئام بين رؤساء القبائل فتقديم الهبات والعطايا تشجيعاً لحفظة القرآن^٤ أشاع اعتناق السودانيين للإسلام العديد من الصفات التي أدت إلى ترابط المجتمع وألفته كما أن السودان حمل هذا الدين إلى القبائل المتربدة التي جاءت بها الوثنية^٥ .

^١ تاريخ السودان الحديث ضرار صالح ضرار ص ٢٦٣

^٢ تاريخ الحركة الوطنية ص ٢٣٣

^٣ تاريخ السودان الحديث ضرار صالح ضرار ص ٢٦٤

^٤ جذور الوحدة الوطنية في السودان د. الطاهر محمد على الخرطوم ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ صفحة ٢٢

^٥ انتشار الإسلام في القارة الإفريقية د. ابراهيم حسن مكتبة النهضة الإسلامية طبعة ثانية ١٩٦٣ ص ٥٩

كانت بداية التعليم في السودان التعليم المسجدى والخلاؤى فكثير من المشايخ لهم خلاوى يعلمون فيها النشاء. وكان الناس يأمونهم أكثر من المدارس التي لم يعرفها المجتمع إلاّ بعد الفتح المصرى وكان الناس يعتقدون أن المدارس بئر فساد لأنها جاءت على أيدي المبشرين^١

أقوى العامل الدينى والتمسك به بظالله على المجتمع السودانى فحفه بكثير من القيم والمثل الأصيلة التي يتسم بها السودانى فطرياً. فكانت العادات والتقاليد إسلامية المنشأ. فقد عرف السودانى بالكرم والشهامة والشجاعة والمرءة والتعاون إذ تمازج فيه الدم العربى بالدم الزنجى فأفضى إلى ذاتية خاصة وتركيبة متميزة. هذه الشخصية السودانية تأثرت بالحضارة الغربية في معنى ما تأثرت بالغزو البريطانى ، والأفكار والمعاهيم الثقافية التي كان يحملها.

فالتكيف الحضارى نتيجة طبيعية في البلاد بسبب الاستعمار الذى اثر على الثقافة. فإنه لما تعرف المثقفون على اللغة الإنجليزية أصبحت جزءاً من لغة التخاطب اليومى في بعض الكلمات والمصطلحات ، إلى جانب ذلك نجد أن المثقفين المتحضرين منهم تكيفوا مع الأسلوب الاجتماعى الجديد بحكم تقريرهم من السلطة الحاكمة آنذاك . فدخلت بعض الأساليب الاجتماعية في طريقة حياتهم فمثلاً قسمت وجبات الطعام إلى ثلاث وجبات . وفي مواعيد ثابتة ودخلت الأطعمة الجيدة بأساليب حديثة للطهى والاهتمام بحفلات الشاي والكокتيل^٢

كذلك تأثر المجتمع السودانى بالحضارة الغربية إلى حد ما في طريقة لبس الشياط ونوعيتها ونجد أن المثقفين يلبسون الملابس الأفريقية المعروفة^٣ وإن لم يتخلوا عن الزى الشعبي الذى يرتدونه في المناسبات والأعياد الوطنية وأيام الجمع.

ومن الناحية الصحية نجد أن الحكومة تبذل جهداً في سبيل إنشاء المستشفيات^٤ . كما يقوم الخيريون بإنشاء المنشآت الصحية ، ويعملون على توعية المواطنين وإرشادهم إلى ضرورة الإعتناء بالصحة العامة ، وصحة الأطفال ، والمحافظة على سلامة البيئة.

^١ انتشار الاسلام في القارة الافريقية ص ٦٧

^٢ الشعر الحديث في السودان ، عبده بدوى ، رسالة ماجستير المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب صفحة ٥٣٢

^٣ السودان بين عهدين - سعد ميخائيل - صفحة ٧٧

^٤ نفس المصدر صفحة ٧٤

أما من ناحية الأمان فأمر يدعو للإعجاب إن لم نقل للدهشة لتميزه بالهدوء والشمولية الأمنية في بلد متراحم الأطراف ، كبير المساحة ، متعدد الأجناس ، مختلف الطباع ، هجرات الناس إليه مفتوحة ، وهو يرافق الكثير من دول الجوار إلا أن أصالة الطباع السودانية المشبعة فطرياً بحب الدين لها الأثر الكبير في إسدال ستار من الراحة الأمنية رغم تعدد الأعراق واللغات والأديان في السودان.^١

وللمجتمع السوداني سماته المميزة في العادات والتقاليد وسمو الأخلاق – الذي اتصف به السوداني - أما المرأة السودانية فقد تميزت بجمال طبعي. واكتسبت الكثير من الاحترام لما تتسنم به من عفة نفس ، وصون عرض ، وقلة خروج إلا في المناسبات الضرورية . أما دورها في المجتمع فقد اسهمت في الحياة الإجتماعية فكان لها دور واضح في الكفاح والعمل الوطني وكان لها دور في حركة الشعر والأدب فشجعت الوطني والجندي المناضل في ساحات الوعى مما أكسبها احترام الرجل وتقديره^٢

ونسبة لقلة التعليم فقد ظهرت بعض العادات والتقاليد المعيبة في المجتمع السوداني منها الاعتقاد في الجن والسحر. وأكثر الناس شهرة بذلك الفلاتة حيث اشتهروا بالرمل وضرب الودع ، وكشف الدفائن^٣

ومن العادات ما أثر على جسد الإنسان وعلى بعض أعضائه مثل فصد جسم المرأة وقطع بعض الأجزاء ومن ذلك الوشم والختان والتسلیخ.

" إن وشم اللثة والشفة السفلية في النساء عادة عامة في جميع قبائل السودان ماعدا بعض القبائل"^٤

أما الختان فنوعان فرعوني وسني والختان الفرعوني تمسكت به الأسرة السودانية بالرغم من جهود الحكومة للتخلص منه . أما عادة التسلیخ فهي حدیثة جاء بها العرب بعد دخولهم السودان بقصد الحافظة على نسلهم من الاختلاط بالنوبة والاندماج فيهم. وقد تميز العرب منذ القدم بشدة الحافظة على

^١ نفس المصدر صفحة ٧٤

^٢ انظر موت دنيا ص ٢٨ - ٢٩ سنة ١٩٨٣

^٣ انظر تاريخ الثقافة العربية في السودان ، عبد الجيد عابدين ، ص ١١٤

^٤ تاريخ الثقافة العربية في السودان - عبد الجيد عابدين ص ١٦٨

أنساجهم وعاداتهم بالرغم من جهود المثقفين المضنية إلا أن هذه العادات لا تزال إلى يومنا هذا.

كما اثرت الطبيعة والبيئة السودانية على السودان وأكسبته العديد من الصفات مثل الصبر في تحمل المصاعب والشدائـد التي تواجهـه في مواقف الحياة وتقلباتـها اليومية أعاـنه على ذلك تمـسكـه بمبادـئ الدين الحنيـف.

غـنى عن القـول أن نـقول أن السـودانـي امتـاز بـعـدـيد من الصـفات الـكريـة مثل الـكرـم ، وـطـيـة النـفـس ، وـصـفـاء الـقـرـيـحة ، وـاحـترـام الـجـار ، وـالـمـروـءـة ، وـصـونـ العـرـض وـغـيرـهـاـ ماـ يـدـلـ عـلـى أـصـالـة الـطـبـعـ السـودـانـي وـنـقـائـهـ وـسـمـوهـ.

المطلب الثاني: شخصية ابن علـيم:

الحمد للـلهـ أـنـ تـيسـرـتـ لـيـ هـذـهـ الـمـعـلـومـاتـ عنـ هـذـاـ الـأـدـيـبـ الـكـبـيرـ.

اسمه ونسبـهـ:

يـقـولـ أـديـنـاـ عـنـ اـسـمـهـ وـنـسـبـهـ^١

"يـقـولـ العـبـدـ الـمـفـتـقـ إـلـيـ رـيـهـ الـكـرـيـمـ عـبـدـ الـلـهـ الـمـعـرـوفـ بـأـبـيـ"

بـكـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـشـمـانـ بـنـ عـلـيمـ تـصـغـيرـ عـلـمـ الـمـصـرـيـ الشـرـقاـويـ الـحـسـينـيـ نـسـبـاـ"

موـلـدـهـ وـنـشـأـهـ: ١٨٨٧ - ١٩٣٥^٢

ولـدـ أـديـنـاـ الـكـبـيرـ أـبـوبـكـرـ مـحـمـدـ عـلـيمـ بـمـحلـةـ روـحـ بـمـصـرـ.ـ كـمـاـ أـنـهـ نـشـأـ وـتـرـعـرـعـ بـمـدـيـنـةـ كـسـلاـ بـشـرقـ السـوـدـانـ "ـ وـأـسـرـتـهـ تـنـحدـرـ مـنـ أـصـوـلـ مـصـرـيـةـ"^٣ـ أـمـاـ وـفـاتـهـ فـقـدـ كـانـتـ فـيـ أـمـ درـمانـ^٤ـ بـعـدـ سـنـ عـالـيـةـ قـضاـهـاـ فـيـ خـدـمـةـ وزـارـةـ

^١ الدر المخزون صفحة ٣٨٤

^٢ رواد الفكر السوداني - محجوب عمر باشرى صفحة ٣٥٠

^٣ نفس المصدر ونفس الصفحة

^٤ ديوان الشاطئ الصخرى - حسين منصور صفحة ٥٨

الحرية المصرية - وقد قضى فترة يعمل في جنوب بلاد النوبة بالسودان - وقد أصيب بالحمى التي جعلته يسخط على تلك البلاد جاء في مقدمة كتابه الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون^١ " هكذا كان شأني وتلك عادتى حتى دعنتى صروف الزمان إلى الخدمة في البلاد الجنوبية من جبال النوبة بالسودان مرغماً بضرورة المعيشة فلم يمهلني ذلك البلد المشئوم لرداة مناخه إلا قليلاً حتى ألقاني في أحضان صخوره عليلاً أسمع نعييب الغربان وانظر أشخاص الغيلان في زى الإنسان فاعتبرتني المهموم وتكاثفت على غيوم الغيم لفرق الأهل والولد وعدم النصير والغضد وتمثلت فيما كنت أكتبه ساعة الإشتياق ولوعدة الفراق بقول الشاعر:

إذا ما اشتقت يوماً أن أراكِم **** وحال بعد بينكم وبيني
بعثت لكم سواداً في بياض **** لأبصركم بشئ مثل عيني
على أن لم أجده صديقاً أو خلاً شفيقاً يخفف من لوعتي ويرثى لسوء
حالي إلا ذلك الحليس الأن sis الذى وصفه الجاحظ بقوله نعم الأن sis لساعة
الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرین والدخليل والوزير والتنزيل كتاب مليء
علمًا وظرف" حشى ظرافاً وإناء شحن مزاهاً وجداً إن شئت كان أبین من
سحبان وائل وإن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت ضحكت من نوادره وإن
شئت عجبت من غرائب فرائده.

لا يعجب السامعون من صفتى *** كذلك الثلج بارد" حار"
ولست مبالغأ إذا قلت إننى قطعت أيام محنى والأم مرضتى في المطالعة صباح
ومساء ولو لا تسلية نفسى بها لما عدلت اليوم في الأحياء.
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى *** فإن أهمت تافت وإلا تسللت
استغفر الله إذ العمر محدود وحبل الأمل ممدود فقد أتاح الله عودتى إلى
الخرطوم محمولاً على عربة يجرها ثوران ضخمان يمحضانى مخض الزيدة ويضيفان الى
شدتى شدة إلى أن وصلت إلى التوبيخة ومنها ركبت النيل إلى الخرطوم والله يخلق
من التعب راحة ومن الراحة تعباً فتذكرت الحديث الشريف سافروا مرضى يشفيكم
الله فأخذت في الإبلال بعد أن كنت على شفا ومن الله على إتمام الشفاء.

^١ الدر المخزون صفحة (٣)

وضاقت خطة" فخلصت منها *** خلوص الماء من نسج الفِدام وقد حصلت على عطلة (اجازة) انقطعت فيها عن الأشغال ثلاثة أشهر متواتلة لترويح النفس من عناء الأمس شاكراً الله على ما أولانى من نعمة العافية وخلاصى من الضيق إلى السعة".

كذلك عمل الأديب عليم بعد خروجه إلى المعاش من وزارة الحربية المصرية في خدمة صاحبة الجلالة الصحفة فتولى تحرير جريدة الحضارة. يقول الأديب الأستاذ حسين منصور^١ " وعلى اثر مشادة حادة انفصل الأستاذ القباني من الجريدة ، فتولى أمرها صديقنا المرحوم ابوبكر أفندي عليم بعد تقاعده من خدمة الحكومة". ثم يقول عنه " وكانت روحه الأدبية روحأً رياضية بعيدة عن الحقد والحسد والدعوى الكاذبة".

وعن ارتقائه بالجريدة يقول الأديب حسين منصور " استلم الأستاذ عليم تلك الجريدة الهزيلة ١٩٣١ م فسمها " ملتقى النهرین " وارتفاع بمستواها الأدبي ارتفاعاً محسوساً ولكن ما لبث أن وافته المنية ".

جهوده الأدبية :

- (١) راجع شوامخ الأدب العربي ، واكتنز الروائع ، وعمد على تفسيرها وشرحها ومقارنتها.
- (٢) كان يكتب في حضارة السودان ، وينشر بعض التصححات في جريدة الأهرام.
- (٣) حقق بعض رسائل أبي العلاء المعري ، ونقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين .
- (٤) نظر في كتاب زكي مبارك ومداعع العشاق ، ونقد كثيراً من مختاراته.
- (٥) إن إعجابه وافتتانه باللغة العربية حدا به أن يكون عالماً في فقهها ومتناها، فهو يتلقى المترادفات ويحذف منها ما يراه غير مناسب ومتافق.
- (٦) كاتب الأستاذ وحيد الأيوبي ، ومحمد النشاشيжи الإبراهيمى في الجزائر والألونسى في بغداد ، ونقد معجم فيشر ، المستشرق الألماني ، وأثار حملة

^١ ديوان الشاطئ الصخرى - حسين منصور - صفحة ١٠٨

على المستشرق الفرنسي مانسيون مقارنته الألفاظ العربية باللغات السامية ، وأبيان الفروق في ذلك.

(٧) التف حوله حواريون يقرأون عليه كتب الأدب كالبيان والتبيين ، وجمهرة أشعار العرب ، والعقد الفريد ، وأدب الكاتب ، واللآلئ لابن على القالى ، ولم يعن في تدرисه هذه الكتب بال نحو والصرف والبلاغة لأنه أدرك أن هذه الفنون المستحدثة في اللغة العربية لا تنمو ملكة الأديب بل تقف به عند القشور.

أسلوبه وبعنه آراءه:

كان أسلوبه مفخماً بالألفاظ العربية ، والفواصل ، والوقفات ، تشبه في أسلوبه بكتاب العربية في القرن الرابع الهجرى .^١ ولكن ذوقه اختلف عن ذوق اللغوى الباحث، لأنه كان أدياً مطبوعاً ، وحافظاً

- كان يعجب بأسلوب محمد عبد القادر حمزة ، ومحمد توفيق دياب ، وقد استهجن أسلوب جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمه ، لما تخلله من عجمة وغموض.
- لم يجد في الشعراء المحدثين غير شاعرين هما محمود سامي البارودى ، وAhmed Shawqi . أنكر الشعر على كثير من الشعراء السودانيين المعاصرين لأنهم لم يلتزموا بسمت الشعر العربي.
- أعجب بكتابين هما عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعى ، والنشر الفنى للدكتور زكي مبارك .
- كان كاتبه الفضل في الأدب العربي هو ابوحيان التوحيدى ، وقد نقد الجاحظ لاسترساله واعتراضه ، وشك في رسائل ابن المقفع ، وأيقن أنها نحلت له ، فهو لم يكتبها.
- نشبت بينه وبين الشيخ الطيب السراج مساجلات في أصول الشعر العربي ، والسراج عمل على اتخاذ بيت الشعر كشاهد لغوى ولكن ابن عليم نظر لبيت الشعر لجماله وروعته ، واحتللت السبل بين السراج وبين عليم ، ولكنها لم تصل للقطيعة.

^١ رواد الفكر السوداني - محجوب عمر باشري - صفحة ٣٥١

- كان يرى أن اللغة الصوفية ليست غريبة على متن اللغة العربية ، بل هي مستمدّة من المعجم العربي ، فكلمة التوهم . والجذب والوصول ، والوجود والبصر وال بصيرة لها مدلولاً لها و معانيها المحددة في اللغة العربية ، فليست هناك لغة خاصة منفصلة عن اللغة الأم في اللغة العربية ، فتفسير الكلمات من مدلولها الواقعي هو المشكلة في فهم اللغة العربية ، وميزة اللغة العربية أنها لغة محددة ، وإن وجدت فيها المتزدفات ، فالسيف له أكثر من خمسين اسما
- كل اسم يختلف مع المدلول الذي وصف به ، والأسد له مائه اسم ، ليس هو الأسد الذي نعرفه ، فالحضارة العربية لم تستفد من لغة البداوة ، ولم تعرف الفرق بين الأسماء . وله نظرية غريبة في أن الأسماء هي في الفصل مستندة من الأفعال ، فالاسم هو أصل الكلمة في العربية .
- قام بشرح ضاف للرسالة الجدية لبحترى المغرب ابن زيدون. - موضوع بحثى هذا - . وكما يقول عنه حسين منصور^١ " توفى وهو يشرح أساس البلاغة للزمخشري ، وقد اطلع على هذا الشرح ".

الشعر :

كان شعره نبعاً من الوطنية والحرية ، وقد أحكم صوره ، ونقح خيالاته ، وراجع رويه وأوزانه ، وحذف من قصائده كل ما كان يراه حشوأ.^٢

آراء العلماء والأدباء عنه:

يقول عنه الأستاذ محمد عبد الرحيم^٣

" الاَّ رحم الله عليماً " فلقد كان الشاعر الذي يعرف فنون القريض على أوضح مذاهب ، مستهدياً بما ثقف من صور الشعر والنشر في عصورهما الزاهرة متوفراً على دراسة الأدب العربي ورجاله حتى أوجد بينه وبينهم الصلة في هذا البيان وهذه القوة.

ويقول عنه الأديب حسين منصور^٤

^١ ديوان الشاطئ الصخري - حسين منصور - صفحة (٥٨)

^٢ رواد الفكر السوداني - محظوظ عمر باشري - صفحة ٣٥٢

^٣ نفحات اليراع في الأدب والتاريخ والإجتماع - الجزء الأول صفحة ١٥٧

" وكان رحمة الله واسع الإطلاع متمكناً في اللغة وشاعراً حسن الديباجه " ولما فرغ أديبنا ابن علیم من تأليف شرحه للرسالة الجدية أهدى نسخاً منها بعض العلماء والأدباء والكتاب فجاءت تقاريظ شتى أثبتت بعضها: رأى الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتى السودان وكان قد توفي قبل طبع الكتاب يقول^٢ " أما بعد فقد سرحت طرف في الشرح المسمى بالدر المخزون على رسالة ابن زيدون للأديب الكاتب الماهر المصقع والناثر البارع الواضح المهيغ الشيخ أبي بكر بن محمد بن علیم نجاح الله تعالى من كل ضيم فوجدته شرحاً وافياً واضحاً جامعاً للاقداد ولسيرة الأدباء " ثم يقول وقد قلت شعراً :

زالت شواغل قلب كان مخزوناً *** لما رأيت كتاب الدر مخزوناً
 فحين سرحت طرف في محسنه *** در نفيس بجيده ظل مكنونا
 فذاك شرح أبي بكر العليمى على *** رسالة الفاضل الحبر ابن زيدونا
 لما تصفحته ثافت^٣ من سبقوا *** نظماً ونشرأً وآداباً وتبيننا
 شرح به غدر التاريخ واضحة *** وكل فن به جاد المجيدونا
 شرح حوى جملأً من كل شاردة *** فكان فلكا بكل العلم مشحونا
 فهو الوسيط بلا طول ولا قصر *** تراه في سائر الحالات موزونا
 فكان عقداً فريداً لا نظير له *** وكان كنزأً عن الأ بصار مدفونا
 أحسنت يا ابن علیم في تنمقه *** فزادك الله إحساناً وتحسيناً
 أودعت شرحك هذا كل نادرة *** وزنته بعظات الدهر تزيينا
 جلبت فيه نقول السابقين وما *** ألوت جهداً وما قصرت تدوينا
 دامت فضائلك الالاتي كملت بها *** ودام شرحك مقبولاً ومخزوناً

وكتب اليه الشاعر صالح أفندي بطرس من موظفى المصلحة القضائية السودانية بقصيدة يقول فيها^٤
 إن كنت لا ئمتى بآية ما *** عطلت جيدك من حل الشذر

^١ ديوان الشاطئ الصخرى - حسين منصور - صفحة (٥٨)

^٢ الدر المخزون صفحة .٣٨٦

^٣ جالست ولا زمت

^٤ الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ٣٨٧

هاتى فزنى العطل واستغنى *** بعقود (در) من أبي بكر
 واستعرض (المخزون) منه ترى *** ما شئت من نظم ومن نثر
 قد رام في الخمسين^١ أن يجرى *** فشأى^٢ وأحرز نابه الذكر
 واستوجب المدح المضاعف ما *** اوتيته من جد ومن صبر
 وسعى إلى تلك العجوز^٣ وقد *** شابت وانفتها يد الدهر
 ما زال يرتاد الثمين لها *** من خير زخرف صاغه الشعر
 ويحوك من وشى البلاغة ما *** ينسى الثياب السنديس الخضر
 حتى أعاد لها زمان صبا *** ولـي بقـوة ذلك السحر
 فغدت تـحرـ الذيل من مـرح *** تـروـ حـكـاـية سـالـفـ العـصـر
 حتى إذا وافتـكـ تـخـطـرـ في *** برـدـيـ فـتـاةـ غـضـةـ العـمـر
 ورأـيـتهاـ أـهـلـاـ لـاـ يـرـضـيـ *** طـبـعـ (الأـدـيـبـ) مـدـدـتـ بـالـعـشـرـ

كما كتب إليه الشيخ محمد أمين قرائعه السيوطي المصري قاضى قضاة
 السودان يقول^٤ " ولكن لم اتمكن إلا من إلقاء نظرة بسيطة تيسـرـ ليـ بهاـ مـعـرـفةـ
 أنـكـ بـذـلتـ جـهـداـ مشـكـورـاـ فيـ سـبـيلـ شـرـحـ هـذـهـ الرـسـالـةـ الـبـدـيـعـةـ وـالـإـتـيـانـ بـالـقـصـصـ
 الـتـيـ يـشـيرـ إـلـيـهـ صـاحـبـهـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـأـكـمـلـ وـإـنـكـ بـالـغـتـ فـيـ أـنـ تـكـوـنـ عـبـارـاتـكـ لـهـ
 رـقـيـقـةـ رـقـةـ الرـسـالـةـ الـتـيـ تـصـدـيـتـ لـشـرـحـهـ مـعـ دـمـ تـقـصـيـرـ فـيـ إـظـهـارـ ماـ اـسـتـرـ فـيـ
 زـوـاـيـاـهـاـ فـصـدـقـ المـثـلـ (وـافـقـ شـنـ طـبـقـهـ وـافـقـهـ فـاعـتـنـقـهـ).

كما كتب إليه الشيخ أبو القاسم بن احمد بن هاشم شيخ علماء السودان
 وكان مما قال في كتابه^٥ " ولـعـمـرـ الحـقـ لـقـدـ كـانـ ذـلـكـ الـمـؤـلـفـ كـنـزاـ مـخـبـوـاـ تـحـ
 طـيـلـسـانـ مـهـنـتـهـ وـلـمـ يـعـرـفـ إـلـاـ بـعـدـ اـبـراـزـهـ لـدـرـهـ الـمـخـزـونـ وـهـكـذـاـ الرـجـالـ تـعـرـفـ بـأـعـمـالـهـ
 وـلـعـلـ فـيـ تـسـمـيـتـهـ لـشـرـحـهـ بـذـلـكـ تـلـمـيـحـاـ لـهـذـاـ الـعـنـىـ.
 وقد ذـيـلـتـ تـقـرـيـظـيـ لـهـذـاـ الشـرـحـ بـعـدـ سـبـرهـ بـهـذـهـ الـأـبـيـاتـ فـقـلـتـ:

^١ يريد بالخمسين سن عمر الشارح

^٢ شـأـىـ سـيـقـ

^٣ العجوز الرسالة

^٤ المصدر نفسه صفحة ٣٨٨

^٥ المصدر نفسه صفحة ٣٩٠

اللَّهُ دَرْ أَبِي بَكْرٍ وَفَطْنَتْهُ *** قَدْ نَظَمَ الدَّرْ فِي عَقْدٍ مِنَ الْكَلْمِ
 شَرْحًا بَدِيعًا مَفِيدًا ثُمَّ أَلْبَسَهُ *** رِسَالَةً لَابْنِ زِيَادِهِ فِي الْقَلْمِ
 أَجَادَ فِي شَرْحَهَا شَرْحًا أَبَانَ بِهِ *** مَا قَدْ حَوَتْهُ مِنَ التَّلْمِيْحِ وَالْحَكْمِ
 فَالْأَذْنَمْ قِرَاءَتْهُ يَعْنِيكَ عَنْ كَتَبِ *** شَتِيْ وَاعْرَضْ عَنِ الْعَدَالِ فِي صَمْ
 دَلَلَتْنَا يَا أَبَابَكْرِ الْعَلِيمِيْ عَلَى *** مَا فِي أَدِيمَكَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ هُمْ
 وَجَاءَ شَرْحَكَ عَنْوَانًا وَتَذَكَّرَةً *** عَلَى اِنْفَرَادِكَ بِالْآدَابِ وَالشَّمْ
 أَرْقَتْكَ هَمْتَكَ الشَّمَاءَ لِشَرْحِ كَتَبِ *** بَ لَا يَدَانِيكَ غَيْرَ الْحَادِقِ الْفَهْمِ
 أَوْضَحَتْ مَشَكَلَهُ بَيْنَتْ مَجْمَلَهُ *** بَسْطَتْ تَارِيْخَ مَا يَحْوِي مِنَ الْأَمْمِ
 جَوْزَيْتَ عَنَا بَنِي السُّودَانَ قَاطِبَةً *** خَيْرًا وَكَوْفَتَ بِالْإِحْسَانِ وَالنَّعْمِ
 لَكَ الثَّنَاءُ وَلَكَ الشَّكْرُ الْجَزِيلُ عَلَى *** جَيْلَ صَنَعَكَ فَاسْلَمَ لِلْعُلَى وَدَمْ

كَمَا جَاءَهُ كِتَابٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِ الْكَبِيرِ الْمُسْتَرِ سُ. هَلِيلِسُونْ مَدْرِسُ الْلُّغَاتِ
 وَالتَّارِيْخِ بِالْقَسْمِ الْعَالِيِّ بِكُلِّيَّةِ غَرْدُونْ بِالْلُّغَةِ الْأَنْجَلِيزِيَّةِ بِنَحْتِرَيِّ مِنْ تَرْجِمَتِهِ^١
 "أَمَّا الرِّسَالَةُ الَّتِي أَرْجَى بَهَا إِلَى اِبْنِ جَهْوَرٍ وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَدْ طَبَعَتْ عَامَ
 ١٨٨٩ مِيَلَادِيَّةً مَعَ تَرْجِمَتِهَا الْلَّاتِينِيَّةَ بِقَلْمِ بَسْتَهُورُونَ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَصْبِحْ عَلَى مَا أَظَنَّ إِلَى
 الْيَوْمِ شَرْحًا وَافِيًّا مِنَ الْعَرِيْقَةِ وَلَهُذَا كَانَ مِنْ بَوَاعِثِ السُّرُورِ أَنْ تَنَاوَلَهَا عَبْدُ اللهِ ابْوَبَكْرِ
 أَفْنَدِي عَلِيمَ بِالشَّرْحِ الْوَافِيِّ مِيَطًا الْقَنَاعَ عَنْ شَوَاهِدِهَا التَّارِيْخِيَّةِ وَمِبَيْنًا مَا غَمَضَ مِنْ
 مَعَانِيهَا الْلُّغُوِيَّةِ لَسْعَةَ اِطْلَاعِهِ وَغَزَارَةَ مَادِتِهِ وَهُوَ أَهْلُ هَذِهِ الْعَمَلِ الشَّاقِ فِي هَذِهِ
 الْمَبْحَثِ الْخَطِيرِ".^٢

كَمَا وَرَدَتْهُ أَبِيَّاتٍ مِنْ شَاعِرِ الْعَرَبِ الْكَبِيرِ الشَّيْخِ فَؤَادِ الْخَطِيبِ يَقُولُ فِيهَا^٣
 قَلْ يَا أَبَابَكْرِ فَأَنْتَ مَصْدَقٌ *** مَلِكُ النُّفُوسِ يَبْانِكَ الْمَتَدْفَقِ
 وَالشَّرْحُ مِنَ الْأَدَبِ الْعَتِيقِ خَرِيدَةً *** عَصْمَاءَ يَشْرُقُ نُورُهَا الْمَتَّلِقُ
 أَوْحَى اِبْنِ زِيَادِهِ إِلَيْكَ بِسَرِّهِ *** فَشَرَحَتْ مِنْ مَكْنُونِهِ مَا يَغْلُقُ
 وَجَعَلَتْ مِنْ تَلْكَ الرِّسَالَةِ جَنَّةً *** غَنَّاءَ تَأْرِجَ بِالْعَبِيرِ وَتَعْبِقُ
 أَنْضَرَتْهَا وَرَوَيْتَ غَرْسَ بِيَانِهَا *** فَتَكَادُ أُورَاقُ الرِّسَالَةِ تُورَقُ

وجلوت من ألفاظها فكأنما **** في كل لفظ عبرة تترقرق
 وذكرت شجو حديثها فكأنما *** في كل معنى منه قلب يخنق
 جددت للأدب القديم عهوده **** ومضيت في مضماره لا تلحق
 الله درك شارحاً ومحقاً *** ما ان يفوقك شارح ومحقق
 فاسلم وعش كنز البيان فكلنا *** طرب" إلى (مخزون درك) شيق

للله للنعمه:

قال رحمه الله ينصح إلى الشباب بالانصراف عن التعليق بأعمال الحكومة ويشير
 إليهم بطرق ابواب الأعمال الحرة^١

الجد في القول حل الشاعر *** والماجن الحال كالفاجر
 مالي وللتشبيب في غادة *** أو في عقار الكرة العاشر
 هل الموى إلّا جنون جنى *** على نفيس النفس والخاطر
 وهل جليل في هوى بشنة *** إلّا كمجنون بني عامر
 كلامها ضل سبيل الهدى *** وعاش كالغمون والحاسر
 عدمت نفسها أخطأت رشدتها *** تبكي دروس الطلل والغابر
 وتعتلّى متن الكميّت الذي *** يرمي بها في التيه والغامر
 بل مركيي صهوة أوج العلى *** مرقياً بالنسب الفاخر
 وشيمتي الصدق وبذل الندى *** وهمني أمضى من البار
 وما اثنى عودي لدى غامز *** أو هصرت غصني يد الماشر
 أبناء قومي كلّكم عدتى *** لعاً لكم من كبوة العاشر
 مالي أرى أكثركم تائباً *** عن الطريق الجدد الظاهر
 جدوا كاسلاف كرام مضت *** أيامهم كالقمر الباهر
 وعلموا الأبناء ما يرفع الـ *** ذكرى لهذا الوطن العamer
 فالقطر تحتاج لأيد تقيم *** الوزن في المعمور والبائر
 من صادق النهضة ذي ميعة *** والحاذق الصنعة والكافر

^١ نثاثات البراع في الأدب والتاريخ والمجتمع بقلم محمد عبد الرحيم - الجزء الأول - صفحة (١٥٧)

من لم تعن همته نفسه *** فما له في العون من ناصر

وبزرة التعليم للمبتدى *** وسيلة لا غاية البازر
وإنما الغاية ما يجتنبه *** الفكر من يانعه الناضر
ترى ثراء المال في زارع *** أو متقن الصنعة أو تاجر
ولم تجد مستخدماً مثرياً *** ما بين مأمور إلى أمر
إلا كفاف العيش في زبرج *** كزبرج الحباشب الطائر

خير لهذا النشاء أن يعدلوا *** عن خدمة ترهق بالناظر
إلى طلاب العيش في غيرها *** بجمة المجهد الساهر
فالحر لا يخشى عناء السرى *** كالسيل في القيعان والغائر
من يستطيع نفعاً ويخل به *** فذكره كالمربع الداير
من يشتري الحمد بمحرونه *** ينل وغير الريح من شاكر

وقال رحمة الله:

في وصف خزان سنار

الا هل رأت عيناك مكوار بعد ما *** اقامت يد الإصلاح في نهره السدا
كأن سليمان الحكيم أقامه *** بتخمير جن يسردون الصفا سردا
بناء يضل الفكر في تيه كنهه *** كطود رسا لم تره عن له ندا
يصادم تياراً يهد إذا طفت *** اواذيه فوق اليم الذرى هدا
كأن دوى الموج مرتطماً به *** دوى ثقال السحب اذا أرسلت رعدا
كأن مرور الماء بين ثقوبه *** مرور سهام لا تتكل ولا تهدأ
يظل زمام النيل طوع مراده *** يكلفه جزراً ويرسله مدا
وعاج غير ينساب عنوة *** على المرج حتى جلل المضب والوهدا
وصير من أرض الجزيرة روضة *** تحال بساطاً سندسياً بها امتدا
كأن نسيم الروض باكرة الندى *** اثار على أرجائها المسك والندا

كأن مكاء الطير بين جنانها **** حديث العذارى أحكمت صوغه نشدا
 لقد عد فرعون الكنانة نفسه **** لها لأن النيل من تحته انقدا
 ولو عاشر حتى شاهد اليوم ما أرى **** ما أثمر الخزان ازرى بما عدا

لكم يا بني السودان وجهت دعوتي **** لا كشف من أسياف همتكم غمدا
 فأنتم نواة الحى انتها الشرى **** ثرى أرضكم لا غزو ان اثرت سعدا
 اثيروا خبيء الرزق بالحرث وادأبوا **** على الزرع إن الأرض قد مهدت مهدا
 فإن الشراء الحال في باطن الشرى **** مقيم ولكن النجاح لمن كدا
 ولا يشغلن حب التوظف بالكم **** فلا خير في رزق يقييدكم قيدا
 وفي ساحة الكسب الجزيل مناهل **** عذابٍ لحر مطلق يبذل الجهد
 نظيرك من تستغرن عن فضل ماله **** عفافاً فإن تحتاج إليه تكن عبدا
 وقد تختنى من يعاديك خبرة **** تجنبك الفخ الذى مده رصدا
 وتدرك بالحلم الأمور موفقاً **** وتخطئ بالحمق الحزامة والرشدا
 ومن جانب الم Hazel استفاد كرامة **** لأن فضول القول شأن الفتى الجعدا
 وخازن مال لم يصن عرضه به **** تخطفه الوراث إن وسدا اللحدا
 ومن سالم الناس اتقى شر ختلهم **** وعاش سليم الصدر من ترك الحقدا

وقال في رثاء الشيخ محمد الجذوب ابن الشيخ الطاهر الجذوب:
 أمطرتني المهموم طلاً ووبلاً **** وسقطني الأرzaء نحلاً وعلا
 ورأيت الخطوب عمداً تباغى **** فهي لم تبق لي رفيقاً وخلا
 لا رعى الله عهدها افقدتني **** سلفي الطاهرين فرعاً واصلا
 سادة العالمين فضلاً ونبلاً **** وليوث الحمى إذا البأس حلا
 فرعوا النجوم مظهراً وعلوا **** وأقاموا للدين فرضاً ونفلا
 لم تحد عنهم المنايا فراحوا **** وكذا الدهر يوسع الكون تيلا
 عجباً للأيام كيف أطمأنوا **** اتراهم هن المنية أم لا
 فإذا ما سألت شيئاً تفاني **** هل سئمت البقاء بها قال كلا
 هو حب الحياة أحدث ضعفاً **** في نفوس الورى وأورث ذلا

وإذا الموت لا يوقى بدفع **** كان جبناً خوف الممات وجهلا
 أنا وحدى الشجاع ودعت نفس **** فإذا الموت جاء اهلاً وسهلا
 لا أريد البقاء في ظل عيش **** زائل قد مللت بقياى ملا
 كيف ت هنا لى الحياة وشيخى **** وصفى المجنوب غاب وولى
 لحق الطاهر السجايا أبا **** لم يدنس بالشين رDNA وذيلا
 كان بحر العلوم في كل فرع **** وقديراً إن اشكل الأمر جلى
 وتقىا كجده الأكابر المجنوب **** ذى الجاه والمقام المعلى
 وادياً وشاعراً لا يجارى **** ينشر اللفظ فوه در تللا
 كنت تلميذه ومنه تتفقفت **** ومن بحره تناولت سحلا
 وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلا الأقلاء
 فرق البين بيننا وتمادى **** زمن في سعيه اتقلى
 طلما رضت للزيادة عنسى **** جاهداً ان اراه كى اتملا
 لكن الدهر حاكم **** سل في منتوى العزيمة نصلا
 بت حبل الرجاء من قبل أن القاه **** يا سوئتا لدهرى وويلا

اى حبيب فدىك نفسى انى **** لم أزل حافظاً لودك الا
 ولكن صار للبلى جسمك الطهر **** فليست آثارك البيض تبلى
 هل درى قبرك الموارى بان قد **** ضم في دفتيه علماً ونبلا
 قد بكتك العيون حزناً ووجداً **** مرسلات بالدموع تطر سيلا
 هاك مني الرثاء عليه فكر **** شارد نال منه فقدك نيلا
 ولو أن التوفيق أسعف نطقى **** لرثى الشيخ كابي أرس وأجلى
 فسقى الغيث بالتوالى ضريحاً **** ضم منك العلا وابقاه خضلا

للشيوخ:

ذكر أديبنا الكبير أنه تتلمذ على يدى الشيخ محمد الطاهر المجنوب إذ يقول عند رثائه^١

كيف تهنىء الحياة وشيخي *** وصفى المجنوب غاب وولى
لحق الطاهر السجايا أباه *** لم يدنس بالشين ردنا ذيلا
كان بحر العلوم في كل فرع *** وقديراً إن أشكل الأمر جلى
وتقياً كجده الأكبر المجنوب **** ذى الجاه والمقام المعلى
وأديباً وشاعراً لا يجارى **** نشر اللفظ فوه در تالألا
كنت تلميذه ومنه تثقفت **** ومن بحره تناولت سجلا
وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلا الأقلاء

والشيخ محمد الطاهر المجنوب ولد بضاحية سواكن في ذى القعدة ١٢٥٧هـ : ١٨٤٢م. تعلم على يد والده الفقيه الطاهر . وتلقى فقه الشافعية والعلوم العقلية عن الشيخ محمد مدنى السواكنى . وحج سنة ١٢٩٧هـ

للرثاء ؟

(أ) رثاء الشاعر التجانى يوسف بشير بقصيدة عصماء يقول فيها^٣
إلى بكر محمد عليم

رثاء فقيد الأدب والصحافة

اسف مرّ وآهات أمر *** والتياع ملأ القلب شرر
وعصى مائز منهم *** يتدلّى زمراً بعد زمر
كم عظيم مشت الدنيا به *** في جلال ومشى فيه القدر
زهت الغبراء من وطائه *** ونحي ما شاء فيها وأمر
مثل الكون بناء شامخ *** يتداعى حمراً بعد حجر

^١ نفحات الرياح في الأدب والتاريخ والمجتمع بقلم محمد عبد الرحيم - الجزء الأول صفحة ١٦١

^٢ المصدر نفسه صفحة ٩٣

^٣ ديوان اشراقه للتجانى يوسف بشير - بيروت لبنان - الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م صفحة (٩٤)

إذا ما انقض عن آخره **** قضى الأمر عليه فاندثر
انظر الأيام في دورتها **** نظر الثاقب ، رأياً وفكراً
واعرض الأمس وأمسا قبله **** وتقلب بين أحضان العصر
تجد الأيام في كثرتها **** اخوات بعضها شبه الآخر
ليس إلا صورة واحدة *** كررت حتى تراءت كالصور
هي كف الدهر والدهر بها *** يوسع العادة أخذناً بالطرر
اسرعت دون "عليم" فمضى *** مسرعاً دون سعيكatas الستر
لله الموت على مدرجة *** ورماه الدهر في كف الغير
خفقت أثداء واضطربت ** يا لهول اليوم اكباد البشر
كل من قيل له(مات) انزوى *** يعصر القلب بكف من حجر
لا يقوم الدمع بالدموع له **** كيما انساب ومهما ينهمر
أمة تفقد فيه امة *** وبالد ثكلت منه الابر
شاعر الفصحي وما عودها *** هذر القول وما عم المذر
ينفث السحر ومن منطقه*** طالما اهتزت متون وغدر
وصحاف مشينا خلفه *** واقتفيانا في المواضيع الاثير
كتم كالآى في مقطعها ** صعبها سهل وبمغاغها عسر
احكمت رصفاً ومعنى مثلما **** احکم البناء مصقول الجدر
تتراءى كشعاع مدمن *** قدرة الله على سطح الزبر
إنما موت "عليم" عظة *** ليس كل الموت للناس عبر

أيها الثاوي على بلقعة *** والموارى بين هاتيك الحفر
أين صوت سامه الموت البلى **** ويراع بين كفيك عشر؟
جره الموت على شقته *** فتشني وعلى الأخرى انكسر
كنت يابن النفر البيض فتى *** جاء للكون به أى نفر
عزمات دونها برق الدجى *** ومضاء دونه لمح البصر
للك آثار النبيين الأولى *** ملأوا العالم ذكرى وأثر

أنت سباق ولكن للعلى **** أنت جبار ولكن في الفكر
 أنت باق خالد مذكر **** حيث لا تبقي مع الموت الذكر
 رفعته الناس في هاماتهم **** واعتلى عرش حياء وخفير
 عبشاً حاول أن يخضه **** مقنع القول ووضع السير
 كلما مد يداً رعاشة **** نحو ذاك العرض شاكتها الابر
 إن أحري الناس بالخلد الأول **** وهبوا العلم شباباً وكبر
 أخلصوا السعى له واستزفوا **** كل ما في ذرعهم من مصطبر

قم " عليهم " انظر نفاثات الأسى **** كيف تشتق وروداً وصدر
 توسع الأفكار قتلا كلما **** حال بعض الشئ منها وخطر
 هذه عبرة خل صادق **** في وداد والأخلاق غدر
 عصر القلب ملياً فأنى **** بالتي تعثر في ثوب الحصر
 كم وفي لك لا يلوى على **** زخرف السلوى ويأبى ان يسر
 يلبس الليل وأما سطعت **** غرة الفجر فسوداء الخبر
 يا لودى لك ما أujebe **** من وداد لم يطل حتى قصر
 شد ما كان رهيباً إنما **** طوى اليوم وبالأمس نشر
 أنت في ذمة من صاغ الورى **** وتعالى عن ذهول وخور
 نحن أودعناك في جوف الثرى **** ودفناك على ظهر القمر
 فوداعاً للمعالى للنهى **** للغوالى من قوافيك الغر
 الوداع اللانهائي وفي **** كنف الله وفي حفظ المقر

(ب) كما رثاه أيضاً الشاعر حسين منصور بقصيدة يقول فيها
(كانت وفاته في عيد الأضحى)

أفي العيد تتعى الناعيات أبا بكر **** ويسخر فيه الدهر ما شاء من سحر
 فيفجعنا في الألمعية والحجى **** وسحر القوافي وهو ناهيك من سحر
 ويفجعنا في جملة من فضائل **** تخلت بها نفس الأديب أبي بكر
 كثير من الأيام والله فعلة **** أطاحت بها عندى بفاعلها الكثر

وقد كنت عيداً يوم ألقاك عن عفر
 وصيّرت نحو العيد فينا محققاً *** فكل فؤاد فوقه مدية النحر
 قسوت علينا حين رحت مبادراً *** وما كنت ذا ظلم وما كنت ذا جور
 فلا نظرة تحى بها لـ ذكرة *** ولا كلمة أشفى بها غلة الصدر
 فداك أناس لا تزال قلوبهم *** عليك - كما كانت - كمتقد الجمر
 فداك إذا كان الفدا لك نافع *** حياتي ! فما لي غير نفس من وفر
 ولو كان هذا الموت يدفعه أمرؤ *** ولو خطة كانت سوى خطبة الصبر
 لضاربت جيش الموت حتى أفله *** وأنفذ في أحشاء عسكره البحر
 وبصدمة مني فتى ذو عزيمة *** كلث شرى^١ جهنم المحيأ أبي أجر^٢

نعاء أبي بكر إلى كل كاتب *** وكل عليم بالنظام وبالنشر
 وكل محب للنوابغ معجب *** بما خلدوه في الطروس على الدهر
 نعاء أبي بكر إلى كل سيد *** كريم السجايا طيب الفرع والنحر
 فما كان مجھولاً ولكن مشهراً *** كما سطعت في الليل دائرة البدر
 وما أمسه إلاّ كيوم حليمة *** وما كان يوم من حليمة بالسر
 فكم حال في الآداب جولة باحث *** وصال على ثثارة وأخي هذر
 وغاص كما غاص الأوائل قبله *** فاض إلينا باللالئ و " الدر"^٣
 ورامي عن الأداب أطيش فتية *** فصادف منهم سعيه ليلة النحر
 يدافع عن خير اللغات ولا يرى *** قريناً له في ذلك العدو الدّثر
 مما فيهم كفاء ولا فيهم فتى *** أصابته في قسم الحجى نعمة الفكر
 فللله شيخ عاش للعلم وحده *** وأنهى على أبحاثه زهرة العمر
 وناضل عن هذا اللسان مجاهداً *** جهاد شهيد خالد طيب الذكر
 أبي أن يرى في القاعدين فلم يزل *** يناضل حتى زل في حفرة القبر
 فألقى عن الأكتاف سين حجّة *** تلاؤً من طهر على مفرق العصر
 وما مات حتى صار نسراً بشاهق *** ومن ذا الذي يرقى إلى مرأة النسر

^١ طريق

^٢ أجر: جمع جرو وهو الشبل

^٣ اشارة إلى كتاب الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون

رثيتك لما أَنْ عصى الدمع مقلتي *** وجاش فؤاد قدّ من أصلب الصخر
أبَد بالشعر الرصين غليله *** ليهدا ! فلا يقضى على ولا يزري
فما كان قلبي وهو يطلب العلا *** زماناً! ويغنى عيشة النهى والأمر
ويهزا في هذه الحياة بكل ما *** يمر به منها من الحلو والمر
ليجذع من فقد وإن كان مؤملاً *** ويفرق من غدرات دهر أخي غدر
ولما أبْت عيني سماحاً بدمعها *** بكيرتك يا خير الإخلاء بالشعر
وما جئت استقصى خلالك إنها *** خلال وافضال تخل عن الحصر
عليك سلام من أَخْ شدّ ازره *** يذبك عنه في السرار وفي الجهر

كل اسم يختلف مع المدلول الذي وصف به ، والأسد له مائه اسم ، ليس هو الأسد الذي نعرفه ، فالحضارة العربية لم تستفد من لغة البداوة ، ولم تعرف الفرق بين الأسماء . وله نظرية غريبة في أن الأسماء هي في الفصل مستندة من الأفعال ، فالاسم هو أصل الكلمة في العربية .

● قام بشرح ضاف للرسالة الجدية لبحترى المغرب ابن زيدون موضوع بحثي هذا. كما أنه كما يقول حسين منصور^١ " توف وهو يشرح أساس البلاغة للزمخشري ، وقد اطلعت على هذا الشرح ".

للعدوه:

كان شعره نبعاً من الوطنية والحرية ، وقد أحكم صوره ، ونقح خيالاته ، وراجع رويه وأوزانه ، وحذف من قصائده كل ما كان يراه حشوأ.^٢
آراء العلماء والأدباء عنه:

يقول عنه الأستاذ محمد عبد الرحيم^٣ " الاّ رحم الله عليماً " فلقد كان الشاعر الذي يعرف فنون القريض على أوضح مذاهب ، مستهدياً بما ثقف من صور الشعر والنشر في عصورهما الزاهرة متوفراً على دراسة الأدب العربي ورجاله حتى أوجد بينه وبينهم الصلة في هذا البيان وهذه القوة . ويقول عنه الأديب حسين منصور^٤ :

" وكان رحمه الله واسع الإطلاع متمكناً في اللغة وشاعراً حسن الديباجه " ولما فرغ أدبيانا ابن عليم من تأليف شرحه للرسالة الجدية أهدى نسخاً منها بعض العلماء والأدباء والكتاب فجاءت تقاريره شتى أثبتت بعضاً منها:

^١ ديوان الشاطئ الصحرى - حسين منصور - صفحة (٥٨)

^٢ رواد الفكر السوداني - محجوب عمر باشري - صفحة ٣٥٢

^٣ نفائس اليراع في الأدب والتاريخ والإجتماع - الجزء الأول صفحة ١٥٧

^٤ ديوان الشاطئ الصحرى - حسين منصور - صفحة (٥٨)

رأى الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتى السودان وكان قد توفي قبل طبع الكتاب يقول^١ " أما بعد فقد سرحت طرف في الشرح المسمى بالدر المخزون على رسالة ابن زيدون للأديب الكاتب الماهر المصقع والناثر البارع الواضح المهيع الشيخ أبي بكر بن محمد بن عليم نجاح الله تعالى من كل ضيم فوجده شرحاً وافياً واضحاً جامعاً للآداب ولسيرة الأدباء " ثم يقول وقد قلت شعراً :

زالت شواغل قلب كان مخزوناً *** لما رأيت كتاب الدر مخزوناً
 فحين سرحت طرف في محاسنه *** در نفيس بجيد ظل مكتونا
 فذاك شرح أبي بكر العليمى على *** رسالة الفاضل الخبر ابن زيدونا
 لما تصفحته ثافتٌ من سبقوا *** نظماً ونثراً وأداباً وتبيينا
 شرح به غدر التاريخ واضحة *** وكل فن به جاد المجيدونا
 شرح حوى جمالاً من كل شاردة *** فكان فلكا بكل العلم مشحونا
 فهو الوسيط بلا طول ولا قصر *** تراه في سائر الحالات موزونا
 فكان عقداً فردياً لا نظير له *** وكان كنزًا عن الأ بصار مدفونا
 أحسنت يا ابن عليم في تنمقه *** فرادك الله إحساناً وتحسيناً
 أودعت شرحك هذا كل نادرة *** وزنته بعظام الدهر تزيينا
 جلبت فيه نقول السابقين وما *** ألوت جهداً وما قصرت تدوينا
 دامت فضائلك الالاتي كملت بها *** ودام شرحك مقبولاً ومخزوناً

وكتب اليه الشاعر صالح أفندي بطرس من موظفى المصلحة القضائية السودانية
 بقصيدة يقول فيها^٢

إن كنت لا ئمت بآية ما *** عطلت جيدك من حلى الشذر

^١ الدر المخزون صفحة .٣٨٦

^٢ جالست ولا زمت

^٣ الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ٣٨٧

هاتى فزبني العطل واستغنى *** بععود (در) من ألى بكر
 واستعرض (المخزون) منه ترى *** ما شئت من نظم ومن شر
 قد رام في الخمسين^١ أن يجري *** فشأى^٢ وأحرز نابه الذكر
 واستوجب المدح المضاعف ما *** اوتته من جد ومن صبر
 وسعى إلى تلك العجوز^٣ وقد *** شابت واحفتها يد الدهر
 ما زال يرتاد الثمين لها *** من خير زحرف صاغه الشعر
 ويحوك من وشى البلاغة ما *** ينسى الثياب السنديس الخضر
 حتى أعاد لها زمان صبا *** ولـى بقـوة ذلك السحر
 فغدت تجر الذيل من مرح *** تروى حكاية سالف العصر
 حتى إذا وافتـك تخـطرـ في *** بـرـى فـتـاةـ غـضـةـ العـمـرـ
 ورأـيـتهاـ أـهـلـاـ لـماـ يـرـضـىـ *** طـبعـ (الأـدـيـبـ) مـدـدـتـ بـالـعـشـرـ

كما كتب إليه الشيخ محمد أمين قرائعه السيوطى المصرى قاضى قضاة
 السودان يقول^٤ " ولكنى لم اتمكن إلا من إلقاء نظرة بسيطة تيسـرـ لـىـ هـاـ مـعـرـفـةـ
 أنـكـ بـذـلتـ جـهـداـ مشـكـورـاـ فيـ سـبـيلـ شـرـحـ هـذـهـ الرـسـالـةـ الـبـدـيـعـةـ وـالـإـتـيـانـ بـالـقـصـصـ التـيـ
 يـشـيرـ إـلـيـهاـ صـاحـبـهاـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـأـكـمـلـ وـإـنـكـ بـالـغـتـ فـيـ أـنـ تـكـوـنـ عـبـارـاتـكـ لـهـ رـقـيقـةـ
 رـقـةـ الرـسـالـةـ التـيـ تـصـدـيـتـ لـشـرـحـهاـ معـ عـدـمـ تـقـصـيرـ فـيـ إـظـهـارـ ماـ اـسـتـرـ فـيـ زـوـاـيـاـهـاـ
 فـصـدـقـ المـثـلـ (وـافـقـ شـنـ طـبـقـهـ وـافـقـهـ فـاعـتـنـقـهـ).

كما كتب إليه الشيخ ابو القاسم بن احمد بن هاشم شيخ علماء السودان وكان
 مما قال في كتابه^٥ " ولـعـمـرـ الـحـقـ لـقـدـ كـانـ ذـلـكـ الـمـؤـلـفـ كـنـزاـ مـخـبـوـءـاـ تـحـ طـيـلـسـانـ

^١ يزيد بالخمسين سن عمر الشارح

^٢ شـأـىـ سـبـقـ

^٣ العجوز الرسالة

^٤ المصدر نفسه صفحة ٣٨٨

^٥ المصدر نفسه صفحة ٣٩٠

مهنته ولم يعرف إلا بعد ابرازه لدره المخزون وهكذا الرجال تعرف بأعمالهم ولعل في
تسميته لشرحه بذلك تلميحاً لهذا المعنى.

وقد ذيلت تفريطي لهذا الشرح بعد سبره بهذه الأبيات فقلت:

الله در أبي بكر وفطنته *** قد نظم الدر في عقد من الكلم
شرعاً بديعاً مفيداً ثم ألبسه *** رسالة لابن زيدون فتى القلم
أجاد في شرحها شرعاً أبان به *** ما قد حوتة من التلميح والحكم
فالزم قراءته يغريك عن كتب *** شتى واعرض عن العذال في صمم
دللتنا يا أبابكر العليمى على *** ما في أديبك من فضل ومن همم
وجاء شرحك عنواناً وتذكرة *** على انفرادك بالآداب والشمم
أرقتك همتك الشما لشرح كتاب *** باليادينيك غير الحاذق الفهم
أوضحت مشكلة بيت بمحمله *** بسطت تاريخ ما يحوى من الأمم
جوزيت عنا بنى السودان قاطبة *** خيراً وكوفشت بالإحسان والنعم
للك الثنا ولنك الشكر الجزيء على *** جميل صنعتك فاسلم للعلى ودم

كما جاءه كتاب من المستشرق الكبير المستر س. هيليسون مدرس اللغات
وال التاريخ بالقسم العالى بكلية غردون باللغة الانجليزية بتحرير من ترجمته^١
" أما الرسالة التي أرجحى بها إلى ابن جهور وهى التي بين أيدينا فقد طبعت عام
١٨٨٩ ميلادية مع ترجمتها اللاتينية بقلم بستهورن ولكنها لم تصب على ما أظن إلى
اليوم شرعاً وافياً من العربية ولهذا كان من بواعث السرور أن تناولها عبد الله أبو بكر
أفندي عليم بالشرح الوافى مميطاً القناع عن شواهدها التاريخية ومبيناً ما غمض من
معانيها اللغوية لسعة اطلاعه وغزاره مادته وهو أهل لهذا العمل الشاق في هذا
المبحث الخطير".

^١ الدر المخزون صفحة ٣٩٢

كما وردته أبيات من شاعر العرب الكبير الشيخ فؤاد الخطيب يقول فيها^١

قل يا أبابكر فأنت مصدق **** ملك النفوس بيانك المتدق
 واشرح من الآدب العتيق خريدة *** عصماء يشرق نورها المتألق
 أوحى ابن زيدون إليك بسره **** فشرحت من مكنونه ما يغلق
 وجعلت من تلك الرسالة جنة *** غناءً تأرج بالعبر وتعقب^٢
 أنضرتها وروبت غرس بيانها **** فتكاد أوراق الرسالة تورق
 وجلوت من ألفاظها فكأنما *** في كل لفظ عبرة تتفرق
 وذكرت شجو حديثها فكأنما *** في كل معنى منه قلب يخفق
 جددت للأدب القديم عهوده *** ومضيت في مضماره لا تلحق
 الله درك شارحاً ومحقاً *** ما ان يفوقك شارح ومحقق
 فاسلم وعش كنز البيان فكلنا *** طرب ”إلى (خزون درك) شيق

لله للدعوه:

قال رحمه الله ينصح إلى الشباب بالإنحراف عن التعليق بأعمال الحكومة ويشير إليهم بطرق ابواب الأعمال الحرة^٣

الجد في القول حل الشاعر **** والماجن الحال كالفاجر
 مالي وللتسيب في غادة *** أو في عقار الكرمة العاقر
 هل الهوى إلا جنون جن *** على نفيس النفس والخاطر
 وهل جميل في هوئ بشنة *** إلا كمحنون بني عامر
 كلامها ضل سبيل الهدى *** وعاش كالمغبون والحاسر
 عدمت نفسها أخطأت رشدتها *** تبكي دروس الطلل والغابر

^١ الدر المخزون ٣٩٢

^٢ نفاثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع بقلم محمد عبد الرحيم – الجزء الأول – صفحة (١٥٧)

وتعتلی متن الکمیت الذى *** يرمى بها في التیه والغامر
 بل مرکبی صھوة أوج العلی *** مرتقیاً بالنسب الفاخر
 وشیمی الصدق وبذل الندى *** وھمی أمضی من الباتر
 وما انتی عودی لدی غامز *** أو هصرلبستفقت بھت غصني ید الماھر
 أبناء قومی کلکم عدتی *** لقا لكم من کبواة العاشر
 مالی أرى أكثرکم تائباً *** عن الطريق الجدد الظاهر
 جدوا کاسلاف کرام مضت *** أيامهم کالقمر الباھر
 وعلموا الأبناء ما یرفع ال *** ذکری لهذا الوطن العاشر
 فالقطر يحتاج لأید تقيم *** الوزن في المعمور والبائر
 من صادق النھضة ذی میعة *** والحاذق الصنعة والکافر
 من لم تعن همتھ نفسه *** فما له في العون من ناصر

وبزة التعليم للمبتدی *** وسیلة لا غایة البازار
 وإنما الغایة ما یجتنيه *** الفکر من یانعه الناضر
 ترى ثراء المال في زارع *** أو متقن الصنعة أو تاجر
 ولم تجد مستخدماً مثرياً *** ما بين مأمور إلى آمر
 إلاّ کفاف العیش في زیج *** کزیج الحباجب الطائر

خیر لهذا النشیء أن یعدلوا *** عن خدمة ترهق بالناظر
 إلى طلاب العیش في غيرها *** بهمة المحتهد الساهر
 فالحر لا یخشى عناء السری *** كالسیل في القیعان والغائر
 من یستطع نفعاً ویدخل به *** فذکرہ کالمراجع الداشر
 من یشترا الحمد بمقرونھ *** ینل وفیر الریح من شاکر

وقال رحمه الله:

في وصف خزان سنار

الا هل رأيتك مكوار بعد ما **** اقامت يد الإصلاح في نهره السدا
كان سليمان الحكيم أقامه **** بتسيير جن يسردون الصفا سدا
بناء يصل الفكر في تيه كمه **** كطود رسا لم تره عن له ندا
يصادم تياراً يهد إذا طفت **** اوذيه فوق اليم الذرى هدا
كان دوى الموج مرتطماً به **** دوى ثقال السحب اذا أرسلت رعدا
كان مرور الماء بين ثقوبه **** مرور سهام لا تكل ولا تهدا
يظل زمام النيل طوع مراده **** يكلفه جزراً ويرسله مدا
وعاج غير ينساب عنوة **** على المرج حتى حلل المضب والوهدا
وصير من أرض الجزيرة روضة **** تخال بساطاً سندسياً بها امتدا
كان نسيم الروض باكره الندى **** اثار على أرجائها المسك والندا
كان مكاء الطير بين جنانها **** حديث العذاري أحكمت صوغه نشدا
لقد عد فرعون الكنانة نفسه **** لها لأن النيل من تحته انقدا
ولوعاش حتى شاهد اليوم ما أرى **** ما أثر الخزان ازرى بما عدا

لكم يا بني السودان وجهت دعوتي **** لأكشف من أسياف همتكم غمدا
فأنتم نواة الحمى انتها الشرى **** ثرى أرضكم لا غرو ان اثمرت سعدا
اثيروا خبيء الرزق بالحرث وادأبوا **** على الزرع إن الأرض قد مهدت مهدا
فإن الثراء الحال في باطن الشرى **** مقيم ولكن النجاح لمن كدا
ولا يشغلن حب التوظيف بالكم **** فلا خير في رزق يقيدهم قيدا
وفي ساحة الكسب الجليل منها **** عذاب لحر مطلق يبذل الجهد
نظيرك من تستغنى عن فضل ماله **** عفافاً فإن تحتاج إليه تكون عبدا

وقد تختنى من يعاديك خبرة *** تجنبك الفخ الذى مده رصدا
 وتدرك بالحلم الأمور موفقاً *** وتخطئ بالحمق الحزامة والرشدا
 ومن جانب المزل استفاد كرامة *** لأن فضول القول شأن الفتى الجعدا
 وحازن مال لم يصن عرضه به *** تخطفه الوراث إن وسدا اللحدا
 ومن سالم الناس اتقى شر حتلهم *** وعاش سليم الصدر من ترك الحقدا

وقال في رثاء الشيخ محمد المجنوب ابن الشيخ الطاهر المجنوب:
 أمطرتني المموم طلاً ووبلاً *** وسقنتي الأرzae نحلاً وعلا
 ورأيت الخطوب عمداً تباغي *** فهى لم تبق لي رفياً وخلا
 لا رعى الله عهدها افقدتني *** سلفى الطاهرين فرعاً واصلا
 سادة العالمين فضلاً ونbla *** وليوث الحمى إذا البأس حلا
 فرعوا النجوم مظهراً وعلوا *** وأقاموا للدين فرضاً ونفلا
 لم تخد عنهم المنايا فراحوا *** وكذا الدهر يوسع الكون تبلا
 عجباً للأيام كيف أطمأنوا *** اتراهم هن المنية أم لا
 فإذا ما سألت شيئاً تفاني *** هل سئمت البقاء بها قال كلا
 هو حب الحياة أحذث ضعفاً *** في نفوس الورى وأورث ذلا
 وإذا الموت لا يوقى بدفع *** كان جيناً خوف الممات وجهلا
 أنا وحدى الشجاع ودعت نفس *** فإذا الموت جاء اهلاً وسهلا
 لا أريد البقاء في ظل عيش *** زائل قد مللت بقياً ملا
 كيف ت هنا لى الحياة وشيخى *** وصفى المجنوب غاب وولى
 لحق الطاهر السجايا أباء *** لم يدنس بالشين ردنا وذيلا
 كان بحر العلوم في كل فرع *** وقديراً إن اشكل الأمر جلى
 تقىاً كجده الأكبر المجنوب *** ذى الجاه والمقام المعلى
 وادياً وشاعراً لا يجارى *** ينشر اللفظ فوه در تلألا

كنت تلميذة ومنه تنقتلت **** و من بحره تناولت سجلا
 وأخذت البيان عنه ولما **** ارتشف من حلاه إلا الأقلا
 فرق البين بينا وتمادي **** زمن في سعيه اتقلى
 طالما رضت للزيادة عنسى **** جاهداً ان اراه كى أتملا
 لكن الدهر حاكم **** سل في متنوى العزيمة نصلا
 بت حبل الرجاء من قبل أن القاه **** يا سوئنا لدھرى ووپلا

اي حبيب فدتك نفسى انى **** لم أزل حافظاً لودك الا
 ولئن صار للبلى جسمك الطهر **** فليست آثارك البيض تبلى
 هل درى قبرك الموارى بان قد **** ضم في دفتيه علماً ونبلا
 قد بكتك العيون حزناً ووجداً **** مرسلات بالدموع تطر سيلا
 هاك مني الرثاء عليه فكر **** شارد نال منه فقدك نيلا
 ولو أن التوفيق أسعف نطقى **** لرثى الشيخ كابي أرس وأجلى
 فسقى الغيث بالتوالى ضريحاً **** ضم منك العلا وابقاه خضلا

نه شیوخه:

ذكر أديينا الكبير أنه تتلمذ على يدي الشيخ محمد الطاهر المخذوب إذ يقول
 عند رثائه^١

كيف تهنىء الحياة وشيخى **** وصفى المخذوب غاب وولي
 لحق الطاهر السجايا أباه **** لم يدنس بالشين ردنا ذيلا
 كان بحر العلوم في كل فرع **** وقديراً إن أشكل الأمر جلى
 وتقياً كجده الأكبر المخذوب **** ذى الجاه والمقام المعلى

^١ نثاثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع بقلم محمد عبد الرحيم - الجزء الأول صفحة ١٦١

وأديباً وشاعراً لا يجاري **** نشر اللفظ فوه در تلاؤ^{*}
 كنت تلميذه ومنه تثقفت **** ومن بحره تناولت سجالا
 وأخذت البيان عنه ولما *** ارتشف من حاله إلا الأقا

والشيخ محمد الطاهر المذوب ولد بضاحية سواكن في ذى القعدة هـ ١٢٥٧ : ١٨٤٢م. تعلم على يد والده الفقيه الطاهر . وتلقى فقه الشافعية والعلوم العقلية عن الشيخ محمد مدنى السواكنى . وحج سنة هـ ١٢٩٧^١

من رثاه ؟

(أ) رثاه الشاعر التجانى يوسف بشير في عصماء يقول فيها^٢
 رثاء فقيد الأدب والصحافة
 إلى بكر محمد عليم

اسف مرّ وآهات أمر **** والتياع ملأ القلب شرر
 وعصى مائز منهمر **** يتندلى زمراً بعد زمر
 كم عظيم مشت الدنيا به **** في جلال ومشى فيه القدر
 زهت الغباء من وطأته **** ونهى ما شاء فيها وأمر
 مثل الكون بناء شامخ **** يتداعى حجراً بعد حجر

إذا ما انقض عن آخره **** قضى الأمر عليه فاندثر
 انظر الأيام في دورتها **** نظر الثاقب ، رأياً وفكراً
 واعرض الأمس وأمسا قبله **** وتقلب بين أحضان العصر

^١ المصدر نفسه صفحة ٩٣

^٢ ديوان اشراقه للتجانى يوسف بشير - بيروت لبنان - الطبعة الثامنة هـ ١٤٠٧ م ١٩٨٧ ص ٩٤

تجد الأيام في كثرتها **** اخوات بعضها شبه الآخر
 ليس إلا صورة واحدة **** كررت حتى تراءت كالصور
 هي كف الدهر والدهر بها *** يوسع العادة أخذًا بالطرر
 اسرعت دون "عليم" فمضى **** مسرعًا دون سمكبات الستر
 لفه الموت على مدرجة **** ورماد الدهر في كف الغير
 خفقت أفندة واضطربت *** يا هول اليوم أكباد البشر
 كل من قيل له(مات) انزوى *** يعصر القلب بكف من حجر
 لا يقوم الدمع بالدموع له *** كيما انساب ومهما ينهر
 أمة تفقد فيه امة *** وبالد ثكلت منه الابر
 شاعر الفصحى وما عودها *** هدر القول وما عم المذر
 ينفث السحر ومن منطقه *** طلما اهتزت متون وغدر
 وصحافى مشينا خلفه *** واقتينا في المواضيع الاشر
 كتم كالآى في مقطعاها *** صعبها سهل وبمغها عسر
 احکمت رصفاً ومعنى مثلما *** احکم البناء مصقول الجدد
 تتراهى كشعاع مدمن *** قدرة الله على سطح الزير
 إنما موت "عليم" عظة *** ليس كل الموت للناس عبر

أيها الثاوي على بلمعة **** والموارى بين هاتيك الحفر
 أين صوت سامه الموت البلى *** ويراع بين كفيك عثر؟
 حره الموت على شقته *** فتشنى وعلى الأخرى انكسر
 كنت يابن النفر البيض فتي *** جاء للكون به أى نفر
 عزمات دونها برق الدجى *** ومضاء دونه لمح البصر
 لك آثار النبيين الأولى *** ملأوا العالم ذكرى وأثر
 أنت سباق ولكن للعلى *** أنت جبار ولكن في الفكر

أنت باقٌ خالدٌ مذكر *** حيث لا تبقي مع الموت الذكر
 رفعته الناس في هاماتهم *** واعتلى عرش حياء وخفـر
 عـباً حاول أن يخـضـه *** مقزع القول ووضـاعـ السـيرـ
 كلـما مد يـداً رعاـشـة *** نحو ذاك العـرضـ شـاكتـهاـ الـابـرـ
 إنـأـحـرىـ النـاسـ بـالـخـلـدـ الـأـلـىـ *** وـهـبـواـ الـعـلـمـ شـبابـاـ وـكـبـرـ
 اـخـلـصـواـ السـعـىـ لـهـ وـاسـتـنـفـواـ *** كـلـ ماـ فـيـ ذـرـعـهـمـ مـنـ مـصـطـبـ

قـمـ "ـعـلـيمـ"ـ اـنـظـرـ نـفـاثـاتـ الـأـسـىـ ***ـ كـيـفـ تـشـقـ وـرـوـدـاـ وـصـدـرـ
 توـسـعـ الـأـفـكـارـ قـتـلاـ كـلـمـاـ ***ـ حـالـ بـعـضـ الشـئـ مـنـهـاـ وـخـطـرـ
 هـذـهـ عـبـرـةـ خـلـ صـادـقـ ***ـ فـيـ وـدـادـ وـالـأـخـلـاءـ غـدرـ
 عـصـرـ الـقـلـبـ مـلـيـاـ فـائـنـ ***ـ بـالـتـىـ تـعـثـرـ فـيـ ثـوـبـ الـحـصـرـ
 كـمـ وـفـيـ لـكـ لـاـ يـلوـىـ عـلـىـ ***ـ زـخـرـ السـلـوـىـ وـيـأـبـيـ انـ يـسـرـ
 يـلـبـسـ الـلـيـلـ وـأـمـاـ سـطـعـتـ ***ـ غـرـةـ الـفـحـرـ فـسـوـدـاءـ الـحـبـرـ
 يـاـ لـوـدـىـ لـكـ مـاـ أـعـجـبـهـ ***ـ مـنـ وـدـادـ لـمـ يـطـلـ حـتـىـ قـصـرـ
 شـدـ مـاـ كـانـ رـهـيـاـ إـنـماـ ***ـ طـوـيـ الـيـوـمـ وـبـالـأـمـسـ نـشـرـ
 أـنـتـ فـيـ ذـمـةـ مـنـ صـاغـ الـورـىـ ***ـ وـتـعـالـىـ عـنـ ذـهـولـ وـخـورـ
 نـحـنـ أـوـدـعـنـاكـ فـيـ جـوـفـ الـثـرـىـ ***ـ وـدـفـنـاكـ عـلـىـ ظـهـرـ الـقـمـرـ
 فـوـدـاعـاـ لـلـمـعـالـىـ لـلـنـهـىـ ***ـ لـلـغـوـالـىـ مـنـ قـوـافـيـكـ الغـرـرـ
 الـوـدـاعـ الـلـاـنـهـائـيـ وـفـيـ ***ـ كـنـفـ الـلـهـ وـفـيـ حـفـظـ الـمـقـرـ

(ب) كما رثاه أيضاً الشاعر حسين منصور بقصيدة يقول فيها

(كانت وفاته في عيد الأضحى)

أـفـيـ الـعـيـدـ تـنـعـيـ النـاعـيـاتـ أـبـاـبـكـرـ ***ـ وـيـسـخـرـ فـيـ الـدـهـرـ مـاـ شـاءـ مـنـ سـخـرـ
 فـيـفـجـعـنـاـ فـيـ الـأـلـعـيـةـ وـالـحـجـىـ ***ـ وـسـحـرـ الـقـوـافـيـ وـهـوـ نـاهـيـكـ مـنـ سـحـرـ

ويفجعنا في جملة من فضائل **** تخلت بها نفس الأديب أبي بكر
 كثير من الأيام والله فعلة *** أطاحت بها عندي بأفعالها الكثـر
 وقد كنت عيـداً يوم ألقاك عن عـفر
 وصـيرـتـ نـحـوـ العـيـدـ فـيـنـاـ مـحـقـقاً *** فـكـلـ فـؤـادـ فـوـقـهـ مـدـيـةـ النـحـرـ
 قـسـوتـ عـلـيـنـاـ حـيـنـ رـحـتـ مـبـادـرـاً *** وـمـاـكـنـتـ ذـاـ ظـلـمـ وـمـاـكـنـتـ ذـاـ جـورـ
 فـلـاـ نـظـرـةـ تـحـىـ بـهـ لـيـ ذـكـرـةـ *** وـلـاـ كـلـمـةـ أـشـفـىـ بـهـ غـلـةـ الصـدـرـ
 فـدـاـكـ أـنـاسـ لـاـ تـزـالـ قـلـوبـهـمـ *** عـلـيـكـ كـمـاـ كـانـتـ كـمـتـقـدـ الـجـمـرـ
 فـدـاـكـ إـذـاـ كـانـ الـفـدـاـ لـكـ نـافـعـ *** حـيـاتـىـ !ـ فـمـاـ لـىـ غـيـرـ نـفـسـ مـنـ وـفـرـ
 وـلـوـ خـطـةـ كـانـتـ سـوـىـ خـطـةـ الصـبـرـ *** كـلـيـثـ شـرـىـ^١ـ جـهـمـ الحـيـاـ أـبـيـ أـجـرـ
 لـضـارـبـتـ جـيـشـ المـوـتـ حـتـىـ أـفـلـهـ *** وـبـصـدـمـةـ مـنـ فـتـىـ ذـوـ عـزـيمـةـ

نـعـاءـ أـبـيـ بـكـرـ إـلـىـ كـلـ كـاتـبـ **** وـكـلـ عـلـيمـ بـالـنـظـيمـ وـبـالـشـرـ
 وـكـلـ مـحـبـ لـلـنـوـابـغـ مـعـجـبـ *** بـمـاـ خـلـدـوـهـ فـيـ الطـرـوـسـ عـلـىـ الـدـهـرـ
 نـعـاءـ أـبـيـ بـكـرـ إـلـىـ كـلـ سـيـدـ **** كـرـيمـ السـجـاـيـاـ طـيـبـ الفـرعـ وـالـنـجـرـ
 فـمـاـكـانـ مـجـهـوـلـاًـ وـلـكـ مـشـهـراًـ *** كـمـاـ سـطـعـتـ فـيـ الـلـيـلـ دـائـرـةـ الـبـدرـ
 وـمـاـ أـمـسـهـ إـلـاـ كـيـومـ حـلـيـمـةـ *** وـمـاـكـانـ يـوـمـ مـنـ حـلـيـمـةـ بـالـسـرـ
 فـكـمـ جـالـ فـيـ الـأـدـابـ جـوـلـةـ باـحـثـ *** وـصـالـ عـلـىـ ثـرـاثـةـ وـأـخـىـ هـذـرـ
 وـغـاصـ كـمـاـ غـاصـ الـأـوـائـلـ قـبـلـهـ *** فـاضـ إـلـيـنـاـ بـالـلـائـئـ وـ "ـ الدـرـ"^٢
 وـرـامـيـ عـنـ الـأـدـابـ أـطـيـشـ فـتـيـةـ *** فـصـادـفـ مـنـهـمـ سـعـيـهـ لـيـلـةـ النـحـرـ
 يـدـافـعـ عـنـ خـيـرـ الـلـغـاتـ وـلـاـ يـرـىـ *** قـرـيـنـاـ لـهـ فـيـ ذـلـكـ الـعـدـوـ الـدـثـرـ

^١ طـرـيقـ

^٢ أـجـرـ: جـمـعـ جـرـوـ وـهـوـ الشـبـيلـ

^٣ اـشـارةـ إـلـىـ كـتـابـ الدـرـ الـمـخـرـوـنـ فـيـ شـرـحـ رـسـالـةـ اـبـنـ زـيـدـونـ

فما فيهم كفاء ولا فيهم فتى *** أصابته في قسم الحجى نعمة الفكر
فلله شيخ عاش للعلم وحده *** وأفني على أبحاثه زهرة العمر
وناضل عن هذا اللسان مجاهداً *** جهاد شهيد حالم طيب الذكر
أبى أن يرى في القاعدين فلم يزل *** يناضل حتى زل في حفرة القبر
فالقى عن الأكتاف سنين حجّة *** تلاؤ من طهر على مفرق العصر
وما مات حتى صار نسراً بشاهق *** ومن ذا الذى يرقى الى مرأى النسر
رثيتك لما أَن عصى الدمع مقلتي *** وجاش فؤاد قدّ من أصلب الصخر
أبزد بالشعر الرصين غليله *** ليهدا ! فلا يقضى على ولا يزري
فما كان قلبي وهو يتطلّب العلا *** زماناً! ويبلغ عيشة النهى والأمر
ويهزا في هذه الحياة بكل ما *** يمر به منها من الخلو والمر
ليحزع من فقد وإن كان مؤلماً *** ويفرق من غدرات دهر أخي غدر
ولما أبْت عيني سماحاً بدمعها *** بكينك يا خير الإحلاء بالشعر
وما جئت استقصى خاللك إنها *** حلال وفضائل تجل عن الحصر
عليك سلام من أَخ شدّ ازره *** يذبك عنه في السرار وفي المهر

الفصل الثاني

شرح الصفدي "نظام المتنوّه"

وصف كتاب تمام المتنون

موجود الكتاب:

لقد استقى الإمام الجليل صلاح الدين الصفدي مادة كتابه بعد أن جال في فنون الأدب والسير والتاريخ والترجم وغاص في أمهات الكتب في مختلف ضروب المعرفة . يتجلو بين حنایاها وثناياها يقتطف من كل روضة أشهى الشمار وأذها ليتحفنا بشرح لا يخطئ القارئ له المتعة والمنفعة بل ينال منها الحظ الوفير ، والقدر الكبير ، في سلاسة تعبير ودقة عبارات ومعانٍ . فهو كالصائد الذي يتحرى مكاناً ساماً يعتليه فتكتشف له كل مآربه فيتخيّر منها أعزها وأنفسها فينالها . ويقدمها لنا بعد أن يحلوها بذاته ونكحته الخاصة ف تكون ذات مذاق فردی . ونجده كثيراً ما يلحداً إلى قريحته الشعرية فيسوق من قريضه المعانى الرقاق ، العذاب ، يدعم الموقف المعين ، أو ينتقده ويخالفه مبدياً قوة في الحجة ، ومضاء في الفكر ، لا يملك من يخالفه الرأى إلاّ أن يحترمه ، ويشيد به . فهو كاتب ذو ثقافة واسعة ، وعلم غزير ، وحنكة وخبرة ودرأية في تخير ما لذ وطاب .

المصادر: بما أن المادة التي اشتملت عليها رسالة ابن زيدون متنوعة

وممتعددة لا تنحصر في فن محدد أو علم معين بل هي كشكوك حوى العديد من جوانب المعرفة . كان لابد للشارح الأستاذ الصفدي - كما أسلفنا القول - من سعة في الإطلاع في شتى ضروب المعرفة ، حتى يجلو غوامض الرسالة ، ويكشف نتوءاتها مسلطًا الضوء على كل تضاريسها فيحلو المبهم ، وينير المعتم .. الأمر الذي قاده إلى الإطلاع على عديد المصادر ..

ويمكن أن نحصر مصادره في ضربتين أساسين:

أولهما : المصادر المصحح بها ، وهذه مبثوثة بين ثنايا شرحه للرسالة وهي متنوعة في شتى ضروب المعرفة ويمكن حصرها في :

أدب : ١/ أدب الكاتب للصولي صفحة (٣٨)

٢/ الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى صفحة (٥٦٠)

٣/ قلائد العقيان للفتح بن خاقان صفحة (٦)

٤/ نفائس الذخيرة لابن ظافر صفحة (١٤١)

ترجم: الاستيعاب لابن عبد البر صفحة (٩١)

عقائد : الأسماء والصفات للبيهقي صفحة (٣٤)

حديث: ١/ الدلائل لقاسم بن ثابت (١٥٤)

٢/ غريب الحديث للخطابي صفحة (٤٠٠)

٣/ الفردوس الأعلى لشهريار بن شيرويه الخطاب الحافظ صفحة (٣٠٧)

المجموع الشعري:

١/ دمية القصر للباخرزى صفحات (١٨٤) - (٢٥٢)

٢/ الذخيرة لابن بسام صفحات (٦) - (٢١) - (١٤١)

للليل:

١/ سيرة ابن سيد الناس صفحة (١٤٣)

٢/ سيرة ابن هشام صفحة (١٤٥)

٣/ القاصمة للفئة الغاشمة صفحة (٣٧١)

لغة:

١/ صحاح الجوهري صفحة (٣٧٦)

تاريخ:

١/ طبقات ابن سعد صفحة (٢٠٥)

٢/ فضائل أبي بكر لابن زنجوية صفحة (١٨٢)

٣/ مروج الذهب للمسعودي صفحة (٦٢)

أمثال:

١/ فصل المقال لأبي عبيد البكري صفحة (٥٦)

تفسير:

الكشاف للزمخشري صفحة (٣٨)

مناقب:

مناقب الشافعى لفخر الدين الرازى صفحة (٣٧١)

معاجم:

معجم البلدان لياقوت صفحة (١٩٩).

تأليهما:

المصادر التى لم يصرح بها أمثال دواوين الشعر المستفيضة وكتب التفسير المتعددة ، وكتب الحديث ، والعديد من كتب الأمثال. وهو لم يصرح بهذه المصادر لا ليغنم أصحابها وإنما لأن السياق اقتضى ذلك.

ترتيب الكتاب وتبويه:

لقد أملت الرسالة على الشارح طريقته في ترتيب الكتاب . إذ جعل الكتاب وحدة واحدة . وقسم الرسالة إلى مائة وإحدى وثلاثين عبارة ثم شرع فيتناول الرسالة عبارة إثر عبارة شارحاً ومناقشاً ومفتداً.

منهج المؤلف في التصنيف:

ويمكن تلخيص منهج المؤلف في التصنيف فيما يلى:

أولاً: الشرح أنواع منها الشرح الممزوج ، وهو أن يأتي الشارح بعبارة من المتن بين قوسين ثم يشرحها بين قوسين أيضاً كما هو الحال في شرح القرآن الكريم والسنّة والحديث وكمثال لذلك تفسير النسفي ، وإرشاد السارحي للقططاني.

ثانياً : أن يأتي الشارح بعبارة كاملة من المتن ، ثم يقوم بشرحها كشرح ابن كثير للقرآن الكريم .

وجاء شرح الإمام الصفدي لرسالة ابن زيدون من النوع الثاني. إذ أنه يأتي بالعبارة من الرسالة ثم يتولى شرحها. ويعکن أن نلخص منهجه في الشرح في النقاط الآتية:

١- شرح الغريب: أي إنه عندما يأتي بعبارة ما يقوم بشرح مفرداتها الغربية حتى يستبين القارئ معناها وقد كان هذا ديدنه في معظم أجزاء الرسالة ثم تنداح دائرة الشرح لتشمل العديد من صنوف المعرفة. ونسوق مثالين لذلك:

(أ) جاء في مستهل الرسالة "١- قوله : يا مولاى وسيدي الذي ودادى له"^١

المولى يجيء في الكلام على معان . [فالمولى ابن' العم] ، والمولى الخليف ، والمولى المنعم ، والمولى المعتق ، والمولى العتيق.

فالمولى أعلى وأسفل . فهو من الأضداد ، فمن وقف على مواليه فللشافعى رحمه الله تعالى فيه ثلاثة أقوال: أحدهما يصرف إلى الأعلى ، والثاني يصرف إلى الأسفل ، والثالث أن يشتراك بينهما ، وعليه الفتوى.

وما أحسن قول أبي اسحاق الغزّي:

ولن يتساوى سادة" وعيدهم : على أنّ أسماء الجميع موالى

وقول أبي تمام الطائى:

مولاك يا مولاى صاحب' لوعة*** في يومه وصباية في أمسيه
دنف" يوجد بنفسه حتى لقد *** أمسى ضعيفاً أن يوجد بنفسه
والمولى : الولي ، وفي الحديث : " اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه". والمولى:
الجار والناصر ، وكلّ من ولـى أمراً فهو ولـيه ، والمراد من هذه المعانى كلـها المنعم ،
والمعتق ، والسيد. تقول العرب: ساد قومه يسودهم سيادة ، وسودداً ، وسـيـلـودـة ،
فـهـوـ سـيـدـهـ ، أـىـ فـضـلـ عـلـيـهـمـ وـارـتـفـعـ عـنـ طـبـقـتـهـ ، لـماـ اـمـتـازـ عـنـهـمـ بـنـاقـبـهـ ، وـماـ
أـحـسـنـ قـوـلـ أـبـيـ نـوـاـسـ فـيـ الـفـضـلـ بـنـ عـبـدـ الصـمـدـ الرـقـاشـيـ:
وـجـدـنـاـ الـفـضـلـ أـكـرـمـ مـنـ رـقـاشـ *** لـأـنـ الـفـضـلـ مـوـلاـهـ الرـسـوـلـ'

^١ تمام المتنون صفحة (٣٠)

أراد أبونواس نفيه عن ولائه ، لأنه جعله أكرم من ينتمي إليه ، وذهب إلى قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا مولى من لا مولى له " ، وهذا من المحو الخبيث الحفيّ. واللَّوَادَ : الحبة ، تقول منه : وددت الرجل أوده وداداً ، أحببته ، واللَّوَدَ واللَّوَادَ بضم الواو وفتحها : المودة ويقابل المولى مذكراً المولا مؤنثة ، ويقابل السيد مذكراً السيدة مؤنثة. وأما قول الناس : " لَسْتَ " ، فليس في كلام العرب، بل هو مولُّد ، وما أحسن قول البهاء زهير:

بنفسِي منْ أَسْمِيهَا بِسْتَيْ *** فَتَرْمَقْنِي النَّحَّاهُ
يَرَوْنَ بِأَنِّي قَدْ قَلْتُ لَهْنَاهُ *** فَكَيْفَ وَإِنِّي كَزَهِيرُ وَقْتٍ
وَقَدْ مَلَكْتُ جَهَاتِي السَّتَّ حَقَّاً *** فَلَا عَجَّبُ إِذَا مَا قَلْتُ : سِتَّيْ
وَقَالَ الْبَاحِرِزِيُّ :
إِنِّي لِأَعْشَقُ سِتَّيْ *** إِيْ وَالَّذِي شَقَّ خَمْسِيْ
وَقَدْ غَلَبَ عَلَى كِتَابِ الْحَكْمِ عَنِ الْقَضَايَا أَنْ يَقُولُوا : سِيدُنَا وَمَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَايَا
, فِيمَا يَكْتُبُونَهُ مِنِ السَّجَلَاتِ وَغَيْرِهَا ، وَالصَّوَابُ فِيهِ تَقْدِيمُ مَوْلَانَا عَلَى سِيدُنَا
لَامُورِ :

الأول : أن كتاب الإنشاء هم الأصل في هذه الصناعة ، وأول ما يقولون : المُؤْلَوِيَّ
الأمِيرِيَّ ، ويأتون بالسيد بالأخر.

الثاني : أن العرب كذا قالوا ، قالت النساء في أخيها صخر:

وَإِنْ صَخْرَاً مَوْلَانَا وَسِيدُنَا *** وَإِنْ صَخْرَاً - إِذَا نَشَّتُ - لَنْحَار
وَإِنْ صَخْرَاً لِتَأْمِمَ الْهَدَاهُ بِهِ *** كَائِنَهُ عَلَمُ " فِي رَأْسِهِ نَار
حَامِيُّ الْحَقِيقَةِ مُحَمَّدُ الْخَلِيقَةِ *** مَهْدِيُّ الطَّرِيقَةِ نَفَّاعُ " وَضَرَّار
وَلَا نُورَدُ عَلَيْهَا مَا يَرُوِيُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا فَرْعَوْنَ
الْعَدُوَانِيَّ وَمَعَهُ ابْنَتَاهُ ، وَهُوَ فِي سَكَّةِ الْعَطَارِينَ بِالْبَصَرَةِ
يَقُولُ :

بَنَيَّتِي صَابِرًا أَبَاكَمًا *** إِنَّكَمَا بَعِينَ مِنْ يَرَاكَمَا
اللَّهُ رَبِّيْ سَيِّدِيْ مَوْلَاكَمًا *** وَلَوْ يَشَا بِفَضْلِهِ أَغْنَاكَمَا

لأنَّ الكلَّامَ في المعطوف ، وليس هذا فيه عطف ، لأنَّ مثلَ هذا لا ترتيب فيه ، كقوله تعالى : " غافر الذنب وقابل التوب " سورة غافر آية (٢) ، والله تعالى يقبل التوبة أولاً ، ثم يغفر الذنب. والثالث: لأنَّ البلاغة أن يذكر الأعمَّ

ثُمَّ الأخْصُ ، كقوله تعالى : " فيهما فاكهة ونخل ورمان " ^١ وقوله تعالى : " من كان عدواً لله ولملائكته ورسله وجبريل وميكال " ^٢ فالملوِّي أعمَّ من السيد ، لأنَّ المولى يطلق على معانٍ كما تقدم ، والبلاغة أن تقول : يا صاحبي ، يا أخي ، يا حبيبي ، لأنَّ الأصحاب كثيرة ، والإخوة أقلَّ منهم ، الحبيب لا يكون إلَّا واحداً.

ومن أقوى أدلة المعتزلة في تفضيل الملائكة على الأنبياء ما يستدلُّون به من الأدلة السمعية قوله تعالى : " لن يستنكف المسيح " أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ^٣ قالوا : والبلِّغ لا يقول : لا أفكِّر في السلطان ، ولا في الوزير ، والصحيح ما قاله أهل السنَّة ، وليس هذا بوضع بيان هذه المسألة.

وما يؤيد ما قلته ، أنَّ سيد العلماء والفصحاء ، إمام الحرمين ^٤ قال في كتاب الإرشاد : القول في نبوة مولانا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : وتقول العرب : إن من نعَتَ السيد أن يكون لحِيماً ، ضخم الْحَامَة ، جهير الصوت ، إذا خطا أبعد ، وإذا يُؤمِّل ملأ العين مهابة ، لأنَّ حقه أن يكون في صدر المخلس ، أو ذرْوة منبر ، متفرداً في موكب ، ويقولون في نعْته : يملأ العين جمالاً ، والسمع مقالاً.

وقال دعبدل:

إذا جالسته صدرته *** وتحجيت له في في الحاشية ^٥

وإذا سايرته قدّمته *** وتأخرت مع المستأنيه

^١ سورة الرحمن ٦٨

^٢ سورة البقرة ٩٨

^٣ سورة النساء ١٧٢

^٤ إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوني ، الملقب إمام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، وكتابه الإرشاد في أصول الدين ، توفي سنة ٤٧٨.

^٥ تمام المتون صفحة ٣٣

وإذا عاشرته صادفته *** شرس الرأى أىّاً داهيه
فأحمد الله على صحبته *** وسل الرحمن منه العافية
ويؤيد هذا قول الفرزدق:

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيد *** وعيناً له حولاً بادِ عيوبها^١
وقال رجل لعمر رضي الله تعالى عنه : من السيد ؟ قال : الججاد^٢ حين يسأل ،
الخليم حين يستجهل ، الكريم^٣ المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمنجاوره.
والذى أظنه أن السيد عند العرب ، من ساد قومه أو غيرهم بصفاته المحمودة ، ولا
يتوقف في ذلك على أصالة ولا نسب ، من قول للقائل:
نفس^٤ عاصام سودت^٥ عاصاماً *** وعلّمته الكراهة والإقداما^٦
وقال عامر بن الطفيلي:

فما سودتنى عامر^٧ عن كلالٍ *** أبي الله^٨ أن أسمو بأم ولا أب^٩
ولكنى أحْمَى حماها وأتّقى *** أذها ، وأرمى من رماها بمقنـب^{١٠}
وقد أنصف عمرو بن عبيد المعروف بالحزين حيث قال:
وتلقى الفتى ضحـماً جميلاً رواهـ *** يروعك في النادى وليس له عقل^{١١}
وآخر تنبـ العين^{١٢} عنه مهـبـ *** يجـودـ إذا ما الضـخـ هـمـته البـخلـ^{١٣}

فصل

هل يجوز اطلاق هذين الإسمين على الله تعالى ؟ نعم يجوز ذلك.
أما المولى فقد نطق به القرآن العظيم في غير موضع ، وأما السيد فقد جاء
مأثراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر ذلك الإمام الحافظ ، ركن الإسلام ،
سيف السنة ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي البروجردي رضي الله عنه في
كتاب الأسماء والصفات ، قال : أخبرنا أبو علي الروذباري ، أئبنا أبو بكر بن داسة ،
حدثنا أبو داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا أبو سلمة سعيد بن

^١ المصدر السابق صفحة ٣٣

^٢ تمام المتون صفحة ٣٤

^٣ المصدر السابق صفحة ٣٤

^٤ المقتبـ: جماعة الخيل من الثلاثين إلى الأربعين.

^٥ المصدر السابق صفحة ٣٤ (نهـة البـخلـ)

يزيد ، حدثنا ابو بصرة^١ ، عن مطرّف بن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت^٢ في وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا: أنت سيدنا ، فقال: السيد الله ، فقلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ، فقال: قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستحرّنكم الشيطان .

وقال الحليمي^٣ رحمه الله تعالى : ومعناه: الحاجة إليه بالاطلاق : فإن سيد الناس إنما الذي إليه يرجعون ، وبأمره يعملون ، وعن رأيه يصدرون ، ومن قوله يستمدون . فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقاً للباري جل ثناؤه ، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود ، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا ، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء ، كان حقاً له جل ثناؤه أن يكون سيداً ، وكان حقاً عليهم أن يدعوه بهذا الإسم .

انتهى

وقال السهيلي^٤ : والذى أقول في السيد ، إنّه يعتبر بالإضافة ، لأنّه في أصل الوضع بعض ما يضاف إليه ، نقول: فلان سيد قيس ، إذا كان منهم ، ولا تقول في قيسى : سيد بنى قيم ، فلذلك لا يقال : الله سيد الناس ولا الملائكة ، وإنما يقال : ربهم . فإذا قلت : سيد الأرباب وسيد الكرماء جاز ، لأن معناه أعظم الأرباب ، وأكرم الأكرمين . وقد منع أن يشتق له من السؤدد ، ولا حجة في قول حسان يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في جنة الفردوس فاكتبها لنا * * * ياذا الجلال وذا العلا والسؤدد^٥
لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمعها فيقرها.

هذا ملخص كلام السهيلي ، وفيه نظر ، لأن الخلفاء الراشدين والصحابة المحدثين سمعوها وأفروها . وما أحسن قول الإمام أبي الفضل طاهر بن الفقيه المحدث: وأشارت إلى بعنابة * * * مخضبة من دم الأفغدة

^١ هو أبو بصرة الغفارى ، واسمه جميل بن بصرة .

^٢ هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى ، صاحب كتاب المنهاج في شعب الإيمان ، توفي سنة ٤٠٣ ، تمام المتون صفحة ٣٥

^٣ هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي ، صاحب الروض الأنف والتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن . توفي سنة ٥٨١ ، المصدر السابق صفحة ٣٥

^٤ المصدر السابق صفحة ٣٥

وقالت : على العهد يا سيدى * * * فقلت ' إلى الحشر يا سيده

وقال أبو العلاء المعري:

حسابكم عند الملیک وما لكم سوی الود منی فی هبوط ومفزع ***

ودادی لكم لم ينقسم وهو كامل *** كمشطور وزن ليس بالمتصرع

(ب) والمثال الثاني: ٤ - قوله : " إن سلبتي أعزك الله لباس إنعمك ، وعطلتني

من حلی ایناسک " ۱

الاستلام : الاختلاس . واللباس : ما يوارى الجسد والإنعمان : المنة واليد ،

وَمَا أَنْعَمْ بِهِ عَلَيْكَ.

والتعطيل : خلو جيد المرأة من القلائد ، يقال : امرأة "معطل" ، إذا كانت

عارية من الحلبي ، والحلبي : ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة . والإيناس :

مصدر الأنس ، وهو ضد الوحشة ، يقول : إن أخذت مني ، واحتلست مكان

للك على من لباس الإنعام ، وتركتني عاطلاً من حلّي أنسك بي ، وأensi بـك

وهو الأولى.

وقد استعار الإستلام للباس ، والعطل للحلى ، وهي استعارة حسنة ، لأن

إنعامه كان له بمنزلة الحلّى له ، فعطله منه ، وترك جيده بلا قلادة عارياً من

حلیٰ الانس.

نسن قول ابی بکر احمد الصنوبری:

وإن أبدلتني بالسهل من اختلافك الوعر

وَعَادُوا هَلْوَانِي وَدَكْرَانِي فِيمَا مُصْبِي

إِذَا مَا رَدَتْ أَلَانِي وَقَاءُ رَدَنِي عَدْرَا

لہ سسمحی کوڑہ وہ سبلی ہی حدر

بعد أن تحدثنا عن الاستطراد في الشرح عن طيبة شرح الغرب من المقدرات

. نجع إلى نوع الاستطراد الثاني وهو :-

(٢) استشهاد بالنحو : وهو أن يعرب الشارح بعض كلمات الرسالة فقد

١ تمام المتن صفة (٣٩)

(أ) جاء في الرسالة ٩١ - قوله : " عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والخلط لا يتوقع زياله . "

(ب) قوله : " عارف " ، خبر " إن " في قوله : " وإن مع المعرفة بأن الجلاء سباء " وما بعده إلى آخر البيتين . قوله : " بان الأدب " إن واسمها .^١

وقوله : " الوطن لا يخشى فراقه " هذه الجملة من المبدأ والخبر في موضع الخبر ، لـ " إن ، في قوله : بأن الأدب " كأنه قال : الأدب الا يخشى فراق الوطن ' وهذا كثير في كلامهم.

(ب) ٩ - قوله : " فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به ٢ " .

هذه الفاء جواب الشرط في قوله أول الرسالة : " إن سلبتني
وما بعد من الجمل ، بعد ما نظر الأعمى الى تأميلي لك. فلا غرو ، اى
فلا بدع ولا عجب قد يغض بالماء شاربه . وهذه " قد " التي تدخل على
الجمل للتقليل مثل : قد يكتب الجواب ، وقد ينبو الحسام ، وقد يصدق
الكذوب ، وقد يدخل الجواب .

(ج) ١٠ - قوله : " ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منيّة' المتمنى في
أمانته . " ٣

يؤتى : فعل مبني لما لم يسم فاعله ، من الإتيان وهو الجئ ، أتتى إلى فلان أى جئت إليه . الحذر : اسم فاعل من الحذر ، وهو التحذر . والتأمين : المكان الذي يحصل فيه الأمان ، وهو الطمأنينة . والمنية : الموت .

والمتمنى : اسم فاعل من التمني ، وهو الترجى . والأمنية واحدة الأماكن.

١ تمام المحتوى صفحة (٣٢١)

٢ المصدر الساية، صفحة (٤٥)

المصدر: السادة، صفحة (٤٩)

(٣) استهدا بالبلاغة : وهو أن يتسع الشارح بذكر بعض النواحي

البلغية ويناقشها مستشهاداً بالعديد من الآيات القرآنية مفصلاً

وموضحاً ما فيها من جمال بلاغي وقد يستطرد بأبيات من الشعر.

(أ) ومن قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : " ووالله ما غششتك بعد النصيحة .." إلى قوله : " وعهد أخذه حسن الظن عليك"^١ مما تسميه العرب وأرباب البديع : الاستقصاء ، وهو أن يتناول البلوغ معنى فيستقصيه ، ويأتي فيه بجميع عوارضه ولوازمه ، وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه ملء بعده من يتأمله فضلة. وكذا فعل ابن زيدون رحمه الله تعالى لما أراد أن يتبرأ عند ابن جهور من الذنوب ، فقال : ما غششتك ، ولا اخترت عنك ، ولا نصبت لك ، ولا أزمعت يأساً منك ، مع ثقتي بك ، وحسن ظني بك ... فقد استقصى في التبرى من الذنوب التي يتوهם وقوعها ، ولم يرض بذلك حتى قال : ومع براءتى من ذلك أنا لم أ Yas منك لحسن ظني فيك ، وهذا (كمال الاستقصاء) لذلك ، حتى يقرر وجوب الرحمة له ، والعاطفة عليه . ومن أحسن ما ورد في الاستقصاء ، قوله تعالى : " أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تكون لِهِ جَنَّةٌ مِّنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ " سورة البقرة (٢٦٦) إلى قوله تعالى : " فاحترقت " ، لأنه بعد قوله : " جنة " ، لو اقتصر على ذكرها لكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال : " من نخيل وأعناب " ، لأن الجنة تطلق على كل شجر يستر بظل ورقه الأرض . فإذا قال : " من نخيل وأعناب " كان مصاب رجها أعظم ثم لم يقف عند ذلك حتى قال : " تحرى من تحتها الأنهر " ، متمماً لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التسليمين ، بأن قال " له فيها من كل الثمرات" وذلك لما علم : " أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب ، لا يكون ذلك وصفاً كاملاً ، فأتي بكل ما يكون في الجنات ليشتد الأسف على فسادها ثم قال في وصف صاحب الجنة : " وأصابه الكبر " . ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم الجنات بقوله بعد وصفه بالكبير : " وله ذرية " . ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف . ثم ذكر استئصال تلك الجنة - التي ليس لهذا الذي أصابه الكبير وليس لذريته الضعفاء غيرها - بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : " فاصابها إعصار " ، فلم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا يحصل به سرعة

^١ تمام المتون صفحة (٢٥٦)

الملائكة ، فقال: "فيه نار" . ثم لم يقف عند ذلك أيضاً حتى قال : " فاحترقت
، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تقوم بإحرارها لما فيها من الأنهار ورطوبة
الأشجار ، فاحترز عن هذا الاحتمال بقوله : " فاحترقت" .

ومن أحسن ما وقع في الاستقصاء قول ابن الرومي :
وحديثها السحر' الحال' لو أنه * * * لم يجن قتل المسلم المتحرّز
إن طال لم يملأ وإن هي أوجزت * * * ودّ الحدث أنها لم توجزِ
شرك' العقول ونرفة ما مثلها * * * للمطمئن وعقله المستوفز

ومن الإستقصاء قصيدة ابن الرومي القافية ، التي يصف فيها الجارية السوداء ، منها
قوله :

أكسبها الحبُّ أنها صبغت * * * صبغةَ حبِّ القلوب والحدق
فإنه استقصى فيها جميع ما توصف به السوداء من المحسن . ومن الاستقصاء
قصيدة القاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد الأرجانى في الشمعة التي أولاها :
نمّت بإسرار ليلٍ كان يخفىها * * * وأطلعت قلبها للناس من فيها ^١
فإنه استقصى فيها جميع ما توصف به الشمعة من المحسن.

(ب) ١٠١ - قوله : " واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع ، والغنى من سواك
عنة . "

وقوله : " واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع " ^٢ هذا يعده بعض أرباب
البيع من الجناس المطبع ، وهو متى فرغ من ركنه الأول وابتدا بالثانى اطبع
السامع انه موافق الحروف الأولى ، فإذا كمل الركن الثانى حالف الأول ،

كقوله تعالى : " وإذا جاءهم أمر من الأمان " سورة النساء آية(٨٣) وكقوله صلى
الله عليه وسلم : " الخيل معقود بنواصيها الخير " .

وهذا النوع من أعلى هذا الجناس. ودونه أن يخالف الركن الثاني الأول بحرف في وسطه ، كقوله تعالى: " وإنه على ذلك لشهيد" * وإنه لحب الخير لشديد " سورة العاديات آية (٧،٨) وكقوله تعالى : " وهم ينهون عنه وينأون عنه" سورة الأنعام آية (٢٦)

وقوله :

" الطمع في غيرك طبع" من هذا القسم ومن مادة قول ابن زيدون قول الأول:

وإني وتركي للأكرمين *** وقدحى بكفى زنداً شحاحاً
كتاركةٍ بيضها بالعراء *** وملحقة بيض أخرى جناحاً
وقال ابن حيوس:

وها أنا ثاو في جنابك لم أملِ *** إلى أملٍ ينحي ولا منه تسدي
يعافٌ ورود الطرق من وجد الحيا *** ويأبى الرضا بالرشح من جاور العدا؟^١

وقال أبو هلال العسكري:
كأني إذا أمسكت منك بعروة *** أخذت بأهداب الغيوم السواكب
وقال أبو الطيب المتنبي:
ولم أرج إلاّ أهل ذاك ومن يردد *** مواطن من غير السحائب يظلم
(ج) ١٤ - فأقول : هل أنا إلاّ يد أدماها سوارها ، وجبين عض به
إكليله !^٢

عضّ به ، والمراد عضه ، والعرض معروف ، وإذا كان حقيقة فهو إما
بالأسنان ، ويكتب بالضاد المعجمة وإذا كان مجازاً مثل عظّ الزمان ، وعظت الحرب
، كتب بالظاء القائمة . ثم يواصل الإمام الصفدي حدثه " والإكليل: العصابة
للرأس تكلل باللؤلؤ ، ويسمى التاج إكليلاً ، ومعنى هذا أنه لما قال: أتحلد وأرى
الشامت أني لا أتضعضع لما نزل بي منك ، فأكابر نفسى ، وأريها الباطل حقاً ،
قال : ما أنا إلاّ يد أدماها سوارها الذي تحلت وتزينت به ، وجبين عض به تاجه

^١ والطرق : الماء الذي خوضته الإبل.

^٢ تمام المتنون صفحة ٦٥

الذي وضعه فوقه ، ليتحمل به ، ويتحلى بجواهره ، فما ألم به أحداً فعل بي ذلك ، وهذا مأمور من قول أبي الطيب:

بنو كعبٍ وما أثرت فيهم *** يدٌ لم يدمها إلا السوار
بها من قطعة ألمٌ ونقصٌ *** وفيها من جلالته افتخارٌ

وهذا من باب تحسين القبيح ، وهو أن يعتذر له بشيء يعود قبحه حسناً كما اتفق للعزيز صاحب مصر وزيره ابن كلس^١ ، لما تسابقا بالحمام ، فسبق حمام الوزير ، فشق ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه:
قلْ لأمير المؤمنين الذي *** له العلا والنسبُ الثاقبُ
لما ترك السابق لكنه *** جاء وفي خدمته حاجبٌ
فسكن غيظُ الخليفة ٤ . وكما قال الآخر لما احترق حرم^٢ النبي صلى الله عليه وسلم :

لم يحترق حرم^٣ النبي لربية *** تخشى عليه ولا هنالك عارٌ
لكنما أيدى الروافض لامستُ *** ذاك الضريح فظهوره النار
وقال أبو الحسين الجزار من أبياتِ ، وقد ذكر حريق الحرم النبوى:
الله في النار التي وقعتُ به *** سرٌ على العقلاء لا تخفيه
أن ليس يبقى في فناه بقية*** مما بنته بنو أمية فيه
وكما قال صناعة الدوح محمد بن القاسم بن عاصم ، شاعر الحاكم:
بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً *** نجل العلا وسليل السادة الصلحا
ما زلت مصرٌ من كيد يراد بها *** وإنما رقصتُ من عدله فرحا
ولابن البار مصنف سماه : " قطع الرياض ، في بدع الأغراض " وكله جمعه
من هذا الباب في تحسين القبيح .

وقوله : " يد أدماها سوارها " ، يشبه قول الباحري :
هي الآداب حلّيّ" غير أني *** بحرفها اضطررتُ إلى الصغار
كذاك لعصم الحسناء صبرٌ *** على ضيق الخناقِ من السوار
وقال ابن بابك:

لا صبر عنك ولو عض السوار يدى *** وبتٌ مرتفعاً في رأس غمدانا

^١ هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف والخير مع البيتين في ترجمته ، في ابن خلkan ٢ : ٣٣٥

كلا ولو هز عرشُ الملك ناصيتي *** وصرتُ للمنبر الشرقيّ ديانا
وقال الأحوص من قصيدة:

فطلقها فلست لها بكفٍ *** ولا عضٌ مفرقكَ الحسام

(٤) **استهدا بالشمع**: وفيه يسوق الشارح الكثير من الأبيات الشعرية المماثلة،
وينتقل من بيت لآخر مقارناً وموضحاً ونادقاً في لطف وسلامة ومن ذلك:
(أ) ١٠٧ - قوله :

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم *** وجداننا كل شيءٍ بعدكم عدم^١
هذا البيت من قصيدة لأبي الطيب أوهما:
واحرر قلبه من قلبه شرم *** ومن بجسمى وحالى عنده سقم
وكان سيف الدولة بن حمدان إذا تأخرت عنه مدائع أبي الطيب ، شق
ذلك عليه وألققه ، وأكثر معايبته إذا حضر ، وتقدم إلى من بحضرته بالتعريض
بالمكره ، ومخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبي الطيب ، وآلمه غاية الإيلام
، فأنشده هذه القصيدة بمحضر من العرب والعجم ، وكان سبب الوحشة بينهما
وفساد الحال. وبعد البيت الذي أورده ابن زيدون :
ما كان أحلقنا منكم بتكرمة *** لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا *** فما لجرح إذا أرضاكم ألم
ومنها قوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي *** فيك الخصم وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً *** أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره *** إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلم

ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أثنائها ،
وتنخرط في سلوكها:

وما أحسن ما أنسديه لنفسه إجازة الشيخ العلامة شهاب الدين أبو الثناء
محمد صاحب ديوان الإنماء بالشام:
قل للذين رجونا والأمور لها حكم *** بآنا سنجحظ أن نرافقهم

أوحشتمونا وعز الصبر' بعدهم' *** يا من يعز علينا أن نفارقهم' !

(ب) قوله : " ومشفى الصقه في الأرض صاقله ، وسمهرى عرضه على النار مثففة . "

قال الخفاجي : ^١

ألام' إذا ما ناوشَ الدهر' جانبي *** وأى حسام لا يحادث بالصقل ! ^٢

وما هو فيما بيننا من صناعة *** بمطرح قولى ولا جاهلٍ فعلى

وقال أبو اسحاق الغزى:

صقلت' العلا بالملكرمات وإنما *** ينمّ بأسرار السيف الصيّاقل'

وقال ابو تمام الطائى:

وما السيف، إلا زيرة لو تركته *** على الحالة الأولى لما كان يقطع^٣

وقال أبو فراس بن حдан:

ولئن بقيت' فإني *** غيظ' العدا طفلاً وكهلاً

ما كنت' إلا السيف' أخلصه *** القيون' فزاد صقلًا

يفرى رءوسَ عداته *** ويسلهم' بالضربِ شلاقاً

ولئن هلكت' فاما *** موت' الكرام الصيد قتلاً

وقال شهاب الدين الخيمى لما تولى تفاصف عذاب ابن الزبير:

لابن الزبير مكارم" أضحت' بها *** طير' المدائح في البلاد تغرّد'

إن قيده وبلغوا في عصره *** فالكرم يعصر والجود يقيّد'

وقال الأمير ابو المنيع قراوش:

للّه در' النائبات فإنها *** صدأ اللثام وصيقل' الأحرار

ما كنت' إلا زيرةً فطبعنى *** سيفاً وأطلق صرفهنّ غراري

وقال ابن الساعاتى:

وما أبىضَ وجهُ الخائن الحربَ في الوعى *** بصارمه لولا سواد' القساطل

^١ تمام المتن ص ٦٨

^٢ وهو عبد الله بن سعيد المعروف بأبي محمد الخفاجي . والحادث هنا جاءه السيف.

^٣ والزبرة : القطعة من الحديد

يزيد النضار' الطلق' بالنارِ رفعهُ *** ويذهب بالتشفيف زبغ' العوامل
كذاك س يوسف' الهند يركبها الصداً *** فتكسبها حسناً أكف' الصياغل'
وقال ابو الفتیان بن حیوس فأحسن:

أرى كلّ معوج المودة يصطفى *** لدیکم ، ويلقى حتفه' من تقوما
حنی الناس من قبل' القسى لتقتنی *** وشقّف مناد' القنا ليحطّما
وقال ابن سناء الملك:

حاربت' هذا الدّهر لكن *** ما وجدت' عليه نصرا
من أجل حربی قد أعدّ *** وقد احـد شباً وظفرا
والقوس' يخـيـ والمهند *** ينتـضـيـ والـسـهمـ يـبـرـيـ
وقال على بن الجهم لما جبس:

والبدر' يدركه السـّـارـ' فتنجـلـي *** أيامـهـ فـكـأـهـ مـتـجـدـ'
والغيث' يحصره الغمام' فـماـ يـرـيـ *** إـلاـ وـرـيقـهـ يـرـاحـ وـيرـعـدـ'^١
والزاعـيـةـ لاـ يـقـيمـ كـعـوـبـهاـ *** إـلاـ الثـقـافـ وـجـذـوـةـ تـوـقـدـ'^٢
والنـارـ فيـ أحـجـارـهاـ مـخـبـوـءـةـ *** لـاـ تـصـطـلـىـ إـنـ لـمـ تـثـرـهاـ الأـزـنـدـ'
والجـبـسـ ماـ لـمـ تـعـشـهـ لـدـنـيـةـ *** شـنـعـاءـ نـعـمـ الـمـنـزـلـ المـتـورـدـ'

وقال القاضى ابو الفتح نصر بن سيار الم Hormizi السهرودي:
عزاءك إن حبست فليس عيـاً *** فـتـلـكـ الـرـاحـ تـحـبـسـ فيـ الدـنـانـ
وهـذاـ الـوـرـدـ قـدـ يـزـدـادـ طـيـاـ *** إـذـاـ حـبـسـتـهـ أـطـرـافـ الـبـنـانـ
وـضـرـيـكـ -ـ إـنـ ضـرـيـتـ -ـ فـلـيـسـ عـارـاـ *** كـمـاـ قـدـ يـضـرـبـ السـيفـ،ـ الـيـمـانـ
وـمـثـلـكـ مـنـ تـعـانـدـهـ الـلـيـاليـ *** وـتـجـمـعـ نـحـوـ نـوـبـ الزـمـانـ
وقال آخر:

لـئـنـ صـرـفـتـ وـحـاشـاـ *** كـ-ـفـالـدـنـانـيرـ تـصـرـفـ'
وـمـاـ أـعـتـقـلـتـ كـرـيـماـ *** إـلاـ وـأـنـتـ مـثـقـفـ'

وقال سيف الدين بن قرق المـشـدـ
انتـ الحـسـامـ إـذـاـ ماـ هـاجـ مـعـرـكـ *** وـالـرـمـحـ أـنـتـ إـذـاـ ماـ ضـاقـتـ السـبـلـ'

^١ ريق كل شيء : أوله

^٢ الزاعـيـةـ: رماح منسوبة الى رجل من الخزرج اسمه زاغب كان يعمل الأسنة

فلا تبال بأمِّي جاء عن قدر * * فالسيف يضرب والخطىٰ يعتقلُ
وقال الباحرzi صاحب الدمية:

ابا عاصم كن عاصماً لابن مخنة * * أبْت نكبات' الدهر إلا ثقافة'
صبور" على عض الثقاف وما القنا * * بمعتدىٰ ما لم تحسن ثقافة'
هو الخادر' الملقي بأرضك رحلة' * * فإن زرته بدلت بالخاء قافه'
وقال ابراهيم بن المدبر ، وقد حبس:

أَلْسِتِ تَرِينَ الْخَمْرَ يَظْهَرُ حَسْنَهَا * * وَبِحِجْتِهَا بِالْحَبْسِ فِي الطِّينِ وَالْقَارِ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالْجَوَادِ يَصُونُهُ * * مَقْوِمُهُ لِلسُّبْقِ فِي طَيِّ مَضْمَارِ
أَوِ الدَّرَةِ الزَّهْرَاءِ فِي قَعْدِ لَجَةِ * * فَلَا تَجْتَلِي إِلَّا بَهْوِيْ وَأَخْطَارِ
فَلَا تَنْكِرِي طَوَالَ الْمَدَارَةِ لِلْعَدَا * * إِنَّ خَاتَمَ الْأَمْوَارِ لِإِقْصَارِ
لَعَلَّ وَرَاءَ الْغَيْبِ أَمْرًا يَسْرِنَا * * يَقْدِرُهُ فِي عِلْمِهِ الْخَالِقُ الْبَارِ

(ج) ٢٨ - قوله:

" إلا يكْ ذنب " فعدلك واسع " * * أو كان لـ ذنب " ففضلك أوسع ^١
إلا بكسر الممزة ، أصله " إِنْ لَا " مرگب من إن الشرطية ، ولا النافية ،
فأدغمت النون في اللام ، وهذا جاءت الفاء في الجواب في قوله :
" فعدلك ".

وهذا البيت من قول البحترى من قصيدة أولها:

شوق " إليك تفيض " منه الأدمع " * * وجوى عليك تضيق عنه الأضلع "

^١ تمام المتون صفحة ١٠٣

ومن هذه القصيدة قوله:

يعتادني طري إليك فيغتلى * * وجدى ويدعوني هواك فاتبع

وقال نصيبي يمدح مولاهم المهدى:

تلمسست : هل من شافع لي فلم أجده * * سوى رحمة أعطاكمها الله تشفع

لئن جلت الأجرام مني وأفظعت لعفوك عن جرمي أجل وأوسع

وقال إسحاق بن ابراهيم الموصلى للفضل بن الريب:

لا شيء أعظم من ذنبي سوى أملى * * في حسن صفحك عن جرمي وعن زللى

فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما * * فأنت أعظم من ذنبي ومن أملى

وما أحسن قول الشريف أبي الحسن على بن الحسين العقلى

يا طاعنى بتعابِ كاد ينفذنى * * لو لم أكن لا بسا درعا من الأمل

اخلغ على جديداً من رضاك فقد * * رقت بالعذر ما خرقت بالزلل

وما احسن قول الإمام الشافعى رضى الله عنه:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبي * * جعلت الرجا - ربى - لعفوك سلما

تعاظمى ذنبي فلما قرنته * * بعفوك - ربى - كان عفوك أعظما

وقول أبي نواس:

يا رب إن عظمت ذنبى كثرة * * فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن *** فمن الذي يدعو ويرجو المجرم !

وكل هذا مأخوذ من قول الأول:

بني هاشم عفوا ، عفا الله عنكم * * وإن كان ثوابي حشو ثبتيه بحرم

لكم حرم الرحمن والبيت والصفا * * وجمع ، وما ضم الحطيم وزمز

فإن قلتم بادهتنا بعظيمة * * فأحلامكم منها أجل وأعظم

وأحسن الذي قال:

أغتنم زلتى لتحرز فضل العفو * * عنى ولا يفوتك شكري

لا تتكلنى إلى التوسل بالعذر * * ولعلى ألا أقوم بعذرى

وقال ابراهيم بن المهدى يخاطب المؤمنون:

فإن لا أكثُر أهلاً لما أنت أهله * * فانت - أمير المؤمنين - له أهل'

فضيلك أرجو لا البراءة إنه * * أبي الله' إلا أن يكون له الفضل'

وما أحسن قول السلامى:

تبسّطنا على الآثم لما * * رأينا العفو من ثمر الذنبِ

وقول ابن قلاقس:

وغير عجيبٍ أن أوفيك مجرماً * * أنيبٌ وأرجو في ذراك متاباً^١

فأسبل رداء العفو منك تكرماً * * فحسبي كوني غبتُ عنك عقاباً

وهو مأخوذ من قول الأول:

أرضَ مَنْ غَابَ عَنْكَ غَيْبَتِهِ * * فَذَاكَ ذَنْبٌ عَقَابَهُ فِيهِ

لَوْ لَمْ يَنْلِهِ مِنْ الْعَقَابِ سُوئِي * * بَعْدَكَ عَنْهِ لَكَانَ يَكْفِيهِ

ولقد زاد ابن زيدون في هذا المقام ، وأفطرت في الخضوع والتسلل ، وما

أحقره أن ينشد قول المؤمل بن أميل:

إذا مرضتم أتیناكم نعودكم * * وتدربون فنأتيكم ونعتذرُ

وقول محمد بن عبد الله بن المولى:

وأبكى فلا ليلى بكث من صباة * * لذاك ولا ليلى لدى الود تبدلُ

وأنخضع بالعتبي إن كنت مذنبًا * * وإن أذنبت كنتُ الذي أتوسلُ

وما أحسن قول مسلم بن الوليد:

ويختلط عذرى وجه جرمى عندها * * فأجنى إليها الذنب من حيث لا أدرى

إذا أذنبت أعددت عذرًا لذنبها * * وإن سخطت كان اعتذاري من العذرِ

وقال العباس بن الأحنف:

إذا رضيْت لم يهنى ذلك الرضا * * لصحة علمى أن سيعبه عتبُ

وابكي إذا ما أذنبت حرف عتها * * فأسألها مرضعا تهاولها الذنبُ

وقال ابو فراس بن حمدان:

١ لم أجدهما في ديوانه

وَكُنِي الرَّسُولُ' عَنِ الْجَوَابِ تَظَرِفًا * * * وَلَئِنْ كُنَّ ، فَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا عَنِ
قُلُّ يَا رَسُولُ' وَلَا تَحَاشِ فَإِنَهُ * * * لَابِدُ مِنْهُ أَسَاءَ بِي أَمْ أَحْسَنَا
الذَّنْبُ لِي فِيمَا جَنَاهُ لَأَنِّي * * * مَكْنَتِه مِنْ مَهْجَتِي فَتَمْكَنَا
قَلْتُ' : مَقْنَضِي الْكَلَامِ كُلِّهِ أَنْ يَقُولُ: " مَكْنَتِه مِنْ مَهْجَتِي فَتَسْلَطَا " أَوْ فَتَحْرَمَا ،
أَوْ فَتَرْعَنَا ، وَتَرَكَه لِأَجْلِ الْقَافِيَةِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَهِيَارٍ:

لَا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ أَعْتَدْ * * * فِي حَبِّه مِنْ حَيْثُ لَمْ أَذْنِبِ
مَا حَدَرْتُ رِيحَ الصَّبَا بَعْدَه * * * لِثَامِنَهَا عَنْ نَفْسِ طَيِّبِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبَحْتَرِيَ:

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَمَا حَرْمَهُ * * * تَعُودُ' بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا !^١
أَلَمْ تَرْعَدَا عَدَا طَورِه * * * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدِيَ !
وَمَفْسَدُ أَمْرِ تَلَافِيَتِه * * * فَعَادُ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
أَقْلَنِي أَقْلَكَ مِنْ لَمْ يَنْلِ * * * يَقِيكَ وَيَصْرُفُ' عَنْكَ الرَّدِيَ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا:

إِنْ دُونَ السُّؤَالِ وَإِلَاعْتِذَارٍ * * * خَطَّةً صَعِبَةً عَلَى الْأَحْرَارِ
فَارْضَ لِلسَّائِلِ الْخَضُوعُ وَلِلْمُذْنَبِ * * ذَنْبًا غَضَاضَةً إِلَاحْتِقَارٍ
وَاسْتَعْدَدْ مِنْهُمَا فَبِئْسَ الْمَقَامُانِ * * لَآلِ الْعُقُولِ وَالْأَخْطَارِ

(٥) **الاستهزء بالقرآن، والحديث الشريف:** مع ما جاء في رسالة ابن زيدون حيث يربط بين الكلمة التي وردت في الرسالة مع نظيرتها في الآية القرآنية أو الحديث الشريف ثم يسترسل بذكر مواقف تشكل الكلمة فيها جوهراً أساسياً أو يربط بين الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

(أ) ٢٥ - قوله:

" وأعود فأقول : ماهذا الذنب الذي لم يسعه عفوكم ، والجهل الذي لم
يأت من ورائه حلمك ! " ^١

^١ لم ترد هذه الأبيات في ديوانه.

يقول الإمام الصفدي:^٢

أما العفو فإنه أمر نطق به القرآن العظيم ، ووردت به السنة ، وحثّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى: " خذ العفو وأمر بالعرف " ^٣ وقال تعالى : " فاصفح الصفح الجميل " ^٤ ، وقال تعالى " والعافين عن الناس " ^٥ والآيات في هذا كثيرة.

ومن قدر وعفا ، وصفَ لآلِ غفرانه وصفا ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنَّ أهل مكة كانوا يؤذونه في نفسه ، ويقصدون نكايته في أهله ، قتلوا أعمامه ، وعذبوا أصحابه ، وألبوا عليه ، وأخرجوه من أحب البقاع إليه ، حتى إذا فتحها الله عليه ودخلها بغير حمد़هم ، وظهرت كلامته^٦ بها على رغمهم ، قام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشكراً على ما منحه من الظفر ، ثم قال : أقول لكم كما قال أخي يوسف : " لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " ^٧ .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتيَ عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت^٨ منهم يوم العقبة ، إذ عرضت^٩ نفسى على ابن عبد يا ليل " ابن عبد كلال" ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت^{١٠} وأنا مهموم على وجهى ، فلم استفق إلاّ وأنا بقرن الشعالب ، ^{١١} فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال : فناداني ملك الجبال ، فسلم على ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك " فما شئت " ؟

^١ تمام المتون صفحة ٨٩

^٢ نفس المصدر صفحة ٩٠

^٣ الأعراف ١٩٩

^٤ الحجر ٨٥

^٥ آل عمران ١٣٤

^٦ يوسف ٤٢

^٧ قرن الشعالب ، من مواقيت أهل بحد ، وفي الأصل : " قرية " وصوا به من صحيح مسلم

إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين^١ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويؤوده ، ولا يشرك به . متفق عليه^٢
وعنها رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء
قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينهك شيئاً من حرام الله تعالى ، فينتقم الله
تعالى . رواه مسلم.

وعن ابن مسعود قال : كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يحكى أن نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو
يسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . متفق عليه.
قيل لخالد بن صفوان : أئّي أخوانك أحب إليك؟ قال : الذي يسد خلل ،
ويغفر زلل ، ويقبل علل .

حَكَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ كَانَ يَوْضِئُ غَلَامَهُ ، فَغَفَلَ عَنْ شَأنِهِ ، فَنَزَّلَتِ الْمِيَضَةُ مِنْ
يَدِهِ عَلَى جَبَهَتِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ مَغْضِبًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، "وَالْكَاظِمِينَ
الْغَيْظَ" ، قَالَ كَظَمَتْ غَيْظَهُ ، قَالَ : "وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ" ، قَالَ :
قَدْ عَفَوْتَ عَنِّي ، قَالَ : "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" ^٣ قَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتَ حَرْ .

(ب) ٥٥ - قوله : ""وَهُمُ الْهَمَازُونَ الْمَشَاعُونَ بِنَمِيمٍ ، وَالْوَالِشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبِثُونَ أَنْ
يَصْدِعُوا الْعَصَا " ^٤ .

هذا تفسير لما تقدم ، يعني أن هؤلاء ذكرهم الله في القرآن العظيم في قوله
تعالى : "هَمَازَ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ" ^٥

الهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس بالطعن عليهم والغيبة.

وقال الحسن: يلوي شدقه في أفقية الناس. والنميري والنميري واحد ، وهو
نقل الكلام السيء ، والمعنى أنه فنان يسعى بين الناس بالنميري ليفسد ما بينهم.

والمراد بقوله تعالى : " ولا تطبع كل حلاف مهين " ^٦

^١ الأخشبان: جبلان بمكة.

^٢ صحيح مسلم ١٤٢٠

^٣ آل عمران ١٣٤

^٤ تمام المتنون صفحة ٢٢٥

^٥ سورة القلم

الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأنحسن بن شريق.
وقد جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم النميمة ، منها ما هو متفق
عليه ، وهو ما رواه حذيفة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم " لا يدخل الجنة نمام "

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين ، فقال : "
إنما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما
الآخر فكان لا يستبرئ من البول" . وهذا لفظ إحدى روایات البخاري. ومعنى "
في كبير" هنا أنه صغير في زعهما ، وإلا فهو كبير في نفسه .

وعن ابن مسعود ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الآن أبئكم ما العضه ؟
هي النميمة ، القالة بين الناس" ^٢ رواه مسلم بفتح العين المهملة ، وسكون الضاد
، وبعدها هاء ، على وزن الوجه . وروى العضه بكسر العين ، وفتح الضاد على
وزن العدة ، وهي الكذب والبهتان.

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم : " لعن الله المثلث " ، فقيل : يا رسول
الله ، وما المثلث ؟ قال " الذي يسعى بصاحبه إلى السلطان فيهلك نفسه وصاحبه
وسلطانه " .

(ج) ٥٩ قوله : " والله ما غششتك بعد النصيحة " ^٣
الغش خلاف النصح ، كأنه شئ غطى عليه . والنصح ضد ذلك . والنصح
: الإخلاص ، والناصح : الخالص من العسل والغش أمر مذموم منهى عنه ،
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " من
حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا " رواه مسلم. ^٤

وفي رواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبيرة طعام ، فأدخل
يده فيها ، فنالت أصابعه بلاً ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال: أصابتنا
السماء' يا رسول الله ، قال: " أفلأ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ! من
غضتنا فليس منا " ^٥

^١ سورة القلم ١٠

^٢ صحيح مسلم ٢٠١٢

^٣ تمام المتنون صفحة ٢٤٢

^٤ صحيح مسلم ٩٩

^٥ م " فأصابت" . والصبرة الكومة المجموعه من الطعام.

والنصيحة أمر واجب ، قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام : " وأنصح لكم " ^١ ، وعن هود عليه السلام: " وأنا لكم ناصح " أمين " ^٢ وفي مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " الدين النصيحة " ، قلنا : من ؟ قال: الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

وفي البخارى ومسلم ، عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم . وفيهما عن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

(د) ١١٣ - قوله : " وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعم ، والشفاعة زكاة المروءة . " ^٣

المعروف ضد المنكر ، وهو اسم جامع لكل خير . ومن كلام الحكمة : بذل الجاه أحد المالين ، وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان ، وبذل الجاه رفد المستعين ، والشفيع جناح الطالب ، والشفاعة أمر مندوب إليه ، نطق القرآن بذلك ، وجاءت عليه السنة ، قال الله تعالى: " من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل " منها ".^٤ وعن أبي موسى الأشعري قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه ، فقال : " أشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب " ، متفق عليه . وفي رواية : " ما شاء " .

ومن ابن عباس رضى الله عنهمَا في قصة برية وزوجها ، قال : قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟ قال : إنما أشفع ، قالت : لا حاجة لي فيه .

وفي هذه الآية الكريمة سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : " في الشفاعة الحسنة نصيب ، وفي الشفاعة السيئة كفل " منها " فالجواب : أن النصيب الحظ ،

^١ الأعراف ٦٢

^٢ الأعراف ٦٨

^٣ تمام المتن صفة ٣٥٨

والكفل مشتق من قولك : كفلت البعير إذا ردت على سمامهكساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل جانباً من ظهره لأنك تحمى سمام البعير بالكساء الذي وضعته عليه من الآفة دون باقى ظهره ، ويحمى الراكب بدنها بذلك ، ومنه قيل للضامن: كفيلي ، لأنه يعتمد عليه ، فكان الكفيلي ذخيرته التي يعتمد عليها ، فجاء الكفيلي في الشفاعة السيئة بهذا اللفظ ، لأن الشافع قد ادخر ما يعتمد عليه في يوم القيمة . وهذا الكلام قد خرج منخرج التهكم ، قوله تعالى : " فبشرهم بعذاب اليم " .^١

والمقصود أن الشفاعة الحسنة للشافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقابها عظيم ، ووزرها كبير، فهي مغلظة الأمر بخلاف غيرها.

بعد استعراض هذه النماذج يتضح لنا أن منهج المؤلف في التصنيف كان متنوعاً فهو تارة يتذر الشرح بمعان المفردات ثم يعدد حديثه بأقوال الشعراء وربما ذهب في حديثه عن النواحي البلاغية واستطرد في تفصيل معنى من المعان أو حادثة من الحوادث . وتارة أخرى يعلق على عبارة من الرسالة ويدرك مناسبتها مفصلاً الحديث عنها وربما ربط الأمر بموقف مشابه .

نجد أن الإمام الصفدي في كل أولئك يستوفى عناصر الموضوع الذي يتناوله فإذا تعرض لرواية ترجم له واستوفى في ترجمته . وإن تناول قصة ذكر كل ما يتصل بها من أحداث وربما اتبع ذلك بتعليق مما يجعل الكتاب مرجعًا ومصدراً لتلك الترجمة أو القصة.

^١ سورة التوبه آية (٣٤)

تأثر الكتاب بالدراسات السابقة وأثره:

تأثر الكتاب في نحجه بالدراسات السابقة ، أعني أنه لم يتبع طريقة الشرح وإنما كانت هناك دراسات سالفة في هذا المضمار - مضمار الشروح والحواشي والتعاليق - مما زخرت به الآداب العربية. وفي رأى الكاتب الكبير الجاحظ أن المبدع الممتاز: " هو الذى يستطيع تصريف المادة الخام وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الإفتتان والإبداع ويدعو إلى الإعجاب " ثم يستطرد فيقول " المعانى مطروحة في الطريق بعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى، وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك " .^١

وبالنظر لما احتوى عليه الكتاب فإن الإمام الصفدى قد وفق توفيقاً كبيراً ، في نوعية المادة وطريقة عرضها ، وبالرغم من أنه لم يسلك طريقةً بكرأ إلا أن عرضه إمتاز بنكهة خاصة ، واتسم بعمق في الثقافة ، وخصوصية في المعرفة ، وجودة في السبك . إذ أنه شكل المادة الخام بصورة تعكس الإبداع والرؤى التي لا تتنسى إلا لكاتب ضليع ، متخصص ، متعرس . يرى الكلمة من على فيشاهدها ويشاهد ظلها الوريف فييث من المعانى ما يدل على سعة في الذخيرة اللغوية ، وتمكن من التفنن في استخدام العبارات . التي تبدو كأنها توحى إليه إيحاءً ، أو كأنه يستمدها من معين لا ينضب.

يعتبر هذا الكتاب ذخيرة ومرجعاً للكثير من أشعار الأقدمين والمحدثين . بل لمختلف أبواب العلوم التي أودعت في بطون الكتب والتي ربما تكون قد ذهبت بها عوادى الأيام . كما يعتبر شرح الأستاذ الصفدى من الشروح القيمة والنفيسة لما اشتمل عليه من مادة ثرة تغطى مختلف الفنون الأدبية مما يمكن أن يفيد القراء وبصورة خاصة الباحثين والدارسين على مر الأيام والعصور.

^١ الحيوان - الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون - ١٣١/٣

الفصل الثالث

شرح ابن علیم " الدر المخزون"

وصف كتاب الدر المخزون

مما ورد في الكتاب:

استمد ابن علیم مادة كتابه من عديد المصادر ، واستقاها من أهمات الكتب ، فجاءت حافلة بالمعلومات الوافية ، والشواهد المتنوعة ، من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وبالكثير من الشعر ، والنشر ، والقصص ، والتاريخ ، والحكم ، والأمثال ، وغير ذلك.

فصار شرحه كالحديقة التي تزخر بأطيب الثمار وأشهارها وألوان الفواكه التي تجذب زائرها بصورة لا يملك منها فكاكاً. فهو ينعم بما لذ وطاب في تنوع ووفرة فيجد حظه مما يحب ويبهو فيظل يقتطف من هذا وذاك ، وهو في نشوة وطرب ، وترقب ومتعة ، تلهيه عن الزمان كأنه يخرج منه أو يقاد . فهو لا يحس بالوقت وهو يمضى . لما هو فيه سعادة وهناء ، ولا يقاد يشعر بسأم أو ملل . وأنى له السأم وهو في روض بحير تنوع ثراه ولذ قطافه.

أثناء تصفح الشرح نلحظ أن المؤلف لم يشير إلى مصادر بعضها في كتابه ، والكتاب لم يتحقق أحد فلا إيماء فيه لمصدر.

ترتيب الكتاب وتأريخه:

الكتاب عبارة عن شرح لرسالة ابن زيدون الجدية . ولقد تناولت الرسالة مواضيع متنوعة فلم يشا الشرح أن يقسم كتابه إلى أبواب أو فصول لصعوبة ذلك إنما دلف إلى الشرح المباشر دون ترتيب وتبسيط إلا ما اقتضته الرسالة وموضوعاتها.

نهج المؤلف في التصنيف:

تحدثت في الفصل الثاني من هذا البحث عن الشروح وأنواعها مما لا يقتضي التكرار هنا غير أنه من المفيد أن نلقي على تصنيف ابن علیم فنقول

إنه اعتبر الكتاب وحدة واحدة أو باباً واحداً موضوعه الرسالة. أما نجحه في الشرح فقد كان مباشراً ، إذ كان ديدنه أن يتدرج الشرح بتناول معانى المفردات ثم يفصل الحديث عن الموضوع المعنى إن كانت قصة حكاها ، وإن كان مثلاً ذكر قائله ومناسبته ، وإن كان بيتاً من الشعر نسبة إلى قائله ، وتناول حياته ، وتطرق لبعض شعره كل ذلك في دقة وسلامة إذ يجد القارئ نفسه أمام مورد ثر ، ومنهل عذب ، يروى عطاشك ، ويسوق المتعة إليك وكأن رأسك يحلم. ولقد تشكل شرح ابن عليم بصور شتى ، وأساليب متنوعة ، ولنعطي الوصف بعداً ميدانياً فسأتناول نماذج من صور شرحه:

أولاً: الاستطراد والتوضع بنسبة الشئ الى أصله أو بنسبة القول إلى قائله ، ثم الحديث عن القائل وشخصيته وبعض الصور والمواقوف عن حياته وكمثال على ذلك

" بعد أن نظر الأعمى إلى تأملي لك وسمع الأصم ثنائي عليك وأحس الجماد باستنادي إليك فلا غزو فقد يغص الماء شاريء ويقتل الدواء المستشفى به " ^١
أخذه من قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي **** وأسمعت كلماتي من به صمم
من قصيدة يمدح بها سيف الدولة على بن حمدان ويعاتبه فيها و مطلعها
واحر قلبه من قلبه شب *** ومن بجسمى وحالى عنده سقم
يقول في الثنائهما:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي *** واسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفونى عن شواردھا *** ويسهر الخلق جراها ويختصم
وحاهل مده في جهله ضحكى *** حتى أنته يد فراسة وفم
إذا نظرت نیوب الليث بارزة *** فلا تظنن أن الليث مبتسم
ومهجة مهجتى من هم صاحبها *** أدركتها بجود ظهره حرم
رجاله في الركض رجل واليدان يد *** وفعله ما تريد الكف والقدم

ومرهف سرت بين الجحفلين به *** حتى ضربت وموج الموت يلتقط
فالخليل والليل والبيداء تعرفي *** والضرب والطعن والقرطاس والقلم
ذكـه المتنبـي وبعـض اخـباره:

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكوفى
الشاعر المشهور وقيل احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار وهو من أهل الكوفة
وقدم الشام في صباح واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها وأكثر من نقل اللغة غريها
وحواشيها حتى كان لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم
والنشر وله ديوان من الشعر كبير حوى من جيد المديح والحكم والمراثى والهجاء
ما جعله في مقدمة دواوين الشعراء واعتني العلماء بشرحه فيقال إن له أربعين أو
خمسين شرحاً بين مطول وختصر ولم يفعل هذا بديوان شعر غيره ورث بالشعر
سعادة تامة وإنما قيل له المتنبى لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة موضع بين
الكوفه والشام وتبعه خلق كثير فمحرق عليهم بأشياء هي بالسحر أشبه منها
بالمعجزات كصدقة المطر التي كان قد تعلمها من بعض الأعراب وهي إيقافه
المطر في البقعة التي يريدها وسيره من حلقة إلى حلقة وبينهما مسيرة أربعة أيام في
ليلة واحدة وكان مشاء وله خبرة بالطريق فيختصراها ويأتي فينعمل يديه ورجليه
ويخبرهم أن الأرض تطوى له وقال في دعاوته أن رسول الله قال لا نبى" بعدى
فانا اسمى في السماء لا جعل الحرف اسمها وقال

أى محل ارتقى أى عظيم أتقى

وكل ما خلق الله وما لم يخلق

محقر في همتى كشارة في مفرقى

وقيل لأنه قال في شعره

ما مقامى بأرض نخلة إلا

كمقام المـسيـح بـيـن اليـهـود

ولقوله أيضاً:

أنا من أمة تداركها الله غريب كصالح في ثود

فشبه نفسه بعيسى بن مريم وصالح عليهما السلام وقد افتخر في هذه القصيدة بأبيات منها قوله:

مفرشى صهوة الحصان ولكن قميصى مسرودة من حديد
 أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
 عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
 لا بقومى شَرُفتُ بل شرفوا بي وبنفسى فخرت لا بجدوى
 أن أكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد أنا
 تربُ الندى وربُ القوافِ وسِيام العدا وغيظُ الحسود

قالوا ولما ظهر أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدى بمصر
 فأسره وتفرق عنه اصحابه وحبسه زمناً ثم استتابه وأطلقه بعد أن استعطفه المتنبى
 مراراً وبعث له وهو في السجن بقصيده التي أولاها
 أيها خدد الله وردد الحدود *** وقد قدود الحسان القدود
 يقول في الثنائهما يمدحه ويتنصل مما آتاهم به
 لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود
 فأنجهم أمواله في النحوس وأنجم سؤاله في السعد
 دعوتك لما برانى البلى وأوهن رجلى تقلُ الحديد
 وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود
 فلا تسمعن من الكاشحين ولا تَعْبَأَ بمحك اليهود
 وكن فارقاً بين دعوى أردتُ ودعوى فعلت بشاؤِ بعيد
 وبعد انطلاقه التحق بسيف الدولة بن حمدان ^١ وأفرغ جعبه مدحه فيه
 ورثى أمه واخته وبعض أقاربه حتى مملوكه ونانال منه حظوة تامة واكثر قصائده

^١ جاء عن سيف الدولة صفحة (٣٠) من كتاب الدر المخزون:- هو ابو الحسن على بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حدون ويتنهى نسبه الى عمرو بن تغلب التغلبى وكان سيداً من سادات تغلب ولقبه الخليفة المستكفى بالله العباسى بسيف الدولة وولاه حلب وذلك في سنة ٣٣٠ هجرية واخوه ناصر الدولة ابو محمد الحسن كان والياً على الموصل فلما قتل خلفه والده ناصر الدولة وكان سيف الدولة واسطة عقدهم مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الامال ومحظ الرجال وموسم الأدباء وحلية الشعراء ويقال

المختارة كانت فيه ولم يقل في غيره مثله سوى كافور الأخشيدى ذلك لأن سيف الدولة كان عربياً صميمأ عالماً بالشعر فطناً بجيده وردئه حتى قال المتنبى ما رد على أحد شيئاً فقبلته الا سيف الدولة أنسدته وكأن بها مثل الجنون فأصبحت *** ومن جيف القتلى عليها تمائم فقال لي مه قل ومن جث القتلى فقبلت وقلت كما قال لي وهذه القصيدة من حيد مدحه فيه ومنها.

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً *** مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم وكيف ترجى الروم والروس هدمها *** وذا الطعن اساس لها ودعائم يريد القلعة التي بناها سيف الدولة بشعر الحدث وغار عليها الدمشق في خمسين الف فارس ورجل من جموع الروم والأرمي والبلغار والصقالب فصلهم عنها بمقتلة عظيمة

وقد حاكموها والمنايا حواكم *** فما مات مظلوم ولا عاش ظالم أتوك يجرون الحديد كأنهم *** سرو بجياد ماهن قوائم اذا برقوا لم تعرف البيض منهم *** ثيابهم من مثلها و العمائم خيس بشرق الأرض والغرب زحفه *** وفي أذن الجوزاء منه تمائم تجمع فيه كل لسن وأمه *** فما تفهم' الحداث الا التراجم'

نختزى هذا القدر من الحديث عن المتنبى ونتنقل لموضوع آخر

ثانياً: الاستطراد والاسترسال عن طريق سرد القصص عن حياة الشخصيات التي يرد ذكرها في الرسالة والتوسع في ذلك بصورة تجعل الشرح يصلح مرجعاً لتلك القصة أو الشخصية لما يحويه من معلومات وافية ، وتفاصيل مهمة عن سيرة

إنه لم يجتمع بأحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بيابه وكان أدبياً شاعراً محباً لجيد المديح وأحب المتنبى وعلمه الفروسية وبه اشتهر اسمه ولد في ١٧ ذى الحجة سنة ٣٠٣ وتوفى بحلب في ٥ صفر سنة ٣٥٦.

الشخصية ، أثر الجهد المبذول فيها لا يحتاج إلى كبير دليل وكمثال على ذلك عند شرمه لقول ابن زيدون (وضحيت^١ بالأشدِّ الذي عنوان السجود به)^١ الصحاء بالمد أصله امتداد النهار كأنه اسم للوقت ومنه الأضحية وجمعها أضاحي والضحية وجمعها ضحايا أي الذبح وقت الضحى ثم كثر حتى قيل ضحى في أي وقت كان من أيام التشريق ويقال قتل فيها عثمان بن عفان رضى الله عنه وأيام التشريق ثلاثة بعد يوم النحر لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها أي تشرر في الشمس إلا أن ما في التاريخ للطبرى لا يؤيد أن قتله رضى الله عنه كان فيها كما سيأتي قوله بالأشدِّ الذي احتلط سواد شعر رأسه ببياضه وكان رضى الله عنه كذلك والعناوين بضم أوله وكسره كل شئ يستدل به عليه ومنه عنوان الكتاب واحتلقو في اشتراق عنوان فزعم بعضهم أنه مأخذ من العنوان أي الأثر وزعم آخرون أنه مأخذ من قول العرب عن الأرض تعنوا إذا أخرجت النبات واعنها المطر أي أظهر نباتها وقيل مأخذ من عن يعن إذا عرض وبذا والسجود الخضوع منه سجود الصلاة معلوم يشير الى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه.

ضحوا باشتمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنًا
 من أبيات يرثى بها عثمان رضى الله عنه الذي قتل في داره بالمدينة وكان قد وخطه الشيب وسيأتي خبر مقتله عقب أخبار حسان بن ثابت رضى الله عنه ذكر حسان بن ثابت الأنباري الشاعر وبعض أخباره

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة من الخزرج ويكنى ابا الوليد وابا الحسام ويلقب ذا الاكلة شاعر فحل من فحول الشعراء ويقال إنه أشعر أهل المدر وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ومن المعمرين عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام وقيل أكثر وكان يقال أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعتدون ستة في نسق كلامهم شاعر وهم سعيد وعبد الرحمن وحسان وثابت والمنذر وحرام وكان معروفاً في الجاهلية

^١ الدر المخزن صفحة ١٨٧

بحودة الشعر وزاحم النابغة الذبياني وعلقمة بن عبدة عند عمرو بن الحرت الغساني
وامتدحه بحضورهما بقصيده اللامية المشهورة ومنها

لله در عصابة نادتهم يوماً بخلق في الزمان الأول
يمشون في الحال المضاعف نسجها مشى الجمال إلى الجمال البزل
الضاربون الكبش ييرق بيضه ضرباً يطيح له بنان المفصل
والحالطون فقيرهم بغنيهم والمنعون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلامهم لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريق عليهم يسقون درياق الرحيق ولم تكن
بيض الوجوه كريمة احساجهم شم الأنوف من الطراز الأول
إلى أن قال مفتخراً بنسبه:

نسي اصيل في الكرام ومندوبي تكوي مواسم جنوب المصطلى
ولقد تقليدنا العشيرة أمرها وتسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا ججاج حسادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابه فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في البرية نعدل
وملا جاء الإسلام وانتظم في سلك الأنصار نصر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ببلسانه ويده ولذلك فضل على الشعراء بثلاث كان شاعر الأنصار في
الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام
 وكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو من يهجوه فقال فيه اللهم
 أいで بروح القدس وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله عز وجل
 وعن رسوله وكان ثلاثة رهط من قريش يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهم عبد الله بن الزيعري وأبو سفيان بن الحرت وعمرو بن العاص فتعرض لهم ثلاثة من

الأنصار حسان بن ثابت وكمب بن مالك وعبد الله بن رواحة فكان أشد القول
 عليهم قول حسان ثم كعب لأنهما كانا يعارضانهم بمثل قولهم في الواقع والأيام
 وأهون القول عليهم قول ابن رواحه لأنه كان يعيدهم بالكفر فلما دخلوا في
 الإسلام وتفقهوا في الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة وكان لحسان
 رضى الله عنه لسان أسود يضرب به روثنة أنفه ويقول ما يسرني به مقول ” بين
 بصرى وكتعان ولو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفقيه ولما استأذن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجو قريشاً قال كيف تهجوهم وأنا منهم قال
 اسلك منهم كما تسل الشعرا من العجین فأذن له وقال ائت ابا بكر الصديق
 فإنه أعلم الناس بآنساب العرب فاتاه فأعلمه فقال له كف عن فلان واذكر فلانا
 . فقال يهجو ابا سفيان بن الحرت

الا ابلغ ابا سفيان عن
 فأنت مجوف نخب هواء
 بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادقا الإماماء
 هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أتجوه ولست له بكفٍ فشركمما لخركما الفداء
 في البيت الأخير كلام لأهل العلم لأجل خير وشر لأنهما من أدوات
 التفضيل وتنقضى المشاركة وإنما أحابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم
 هجوت مباركاً برّاً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
 فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
 فإن أبي ووالدى وعرضى لعرض محمد منكم وقاء
 فاما تشقق بنى لؤى
 جذيمة ان قتلهم شفاء
 اولئك عشر نصروا علينا
 ففى أظفارنا منهم دماء
 وحلف الحرت بن أبي ضرار
 وحلف قريطة منا براء
 لسان صارم لا عيب فيه
 وبحرى لا تکدره الدلاء
 وابو سفيان هذا ابو الحرت بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعتهما حليمة بنت

أبي ذؤيب السعدية وأشبه الناس به فقيل إن قريشاً لما سمعت بشتمه قالوا إن هذا
الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافه يعنون ابابكر رضى الله عنه وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعجب بشعره ففي ليلة وهو في سفر قال أين حسان فقال حسان
ليك يا رسول الله وسعديك قال أسمعني شعرك فجعل ينشد والنبي صلى الله عليه
 وسلم يصغى إليه فما زال يستمع وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة تمس
الورك إلى أن فرغ فقال صلى الله عليه وسلم لهذا أشد عليهم من وقع النبل وقال
أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن
وأمرت حسان فشفى واشتفي فلما كانت خلافة أبي بكر رضى الله عنه نهى
الصحابة عن أن ينشدوا شيئاً من مناقصات الأنصار وقريش وقال إن ذلك فيه
شتم الحى بالميٰت وبتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجahيلية بما جاء به الإسلام
و الحديث وفد تميم باشرافهم وخطبائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
سبعين رجلاً ودعاؤهم إيه للمفاحره وما قالوه من الخطابة والشعر وما رد به شناس
بن قيس من الأنصار في الخطابة وحسان بن ثابت في الشعر حتى أذعنوا لهما
بالتبّرز عليهم في الفصاحة والبلاغة مشهور معلوم لا حاجة بنا إلى ذكره ولحسان
رضي الله عنه ديوان من الشعر حوى كثيراً من أنواعه في المدح والنسيد والهجاء
والمراثي وما رثى به النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كثير) قوله

فَعَمِيْ عَلَيْكَ النَّاظِرِ	كُنْتَ السَّوَادَ لَنَاظِرِي
فَعَلَيْكَ كُنْتَ أَحَذِرَ	مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيمِتَ

وإنما كان رضي الله عنه يوصف بالجبن فقد قيل أنه جبن يوم الخندق عن قتل
يهودي طاف بالحصن وقد كلمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها أن ينزل
إليه ليقتله فقال لها ما أنا بصاحبه فأخذت صفية عموداً ونزلت إليه من الحصن
فضربته به حتى قتله وأجابوا عنه بأنه ما كان يستطيع أن يضرب بيده شيئاً لأن
أكحله مقطوع والأكحل عرق في اليد يقصد ولا يقال عرق الأكحل وما عد
عليه أيضاً إفاضته في حديث الإفك كما مر عليك فيما مضى من هذا الكتاب

وعاش رضى الله عنه زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان وكان عثمانياً ومات في سنة أربع وخمسين هجرية بالمدينة أو سنة 676 ميلادية والله أعلم إنتهى.

ذكر عثمان بن عفان رضى الله عنه وخلافته وموته.

هو عثمان بن عفان بن العاص وكنيته أبو عبد الله من بني أمية أحدى العشرة الأبطال المذكورة في نسب قريش ويلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بدرًا وبذل نفسه في سبيل الله وجهز جيش العسرة من ماله وسماه النبي صلى الله عليه وسلم ذا النورين لأنّه تزوج بنته رقية فلما ماتت عنده زوجة اختها أم كلثوم ووردت فيه أحاديث شريفة تدل على فضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم منها (اللهم إن رضيت على عثمان فارض عنه اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت) ومنها (إني لأستحب من استحب منه ملائكة الرحمن) . ولما تغيب عن بيعة الحديبية وكان قد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة في حاجة ضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان ولشماله خير من يمينه وكان مولده بالطائف في السنة السادسة من عام الفيل فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وبويع له بالخلافة لليلة بقيت من ذي الحجة وقيل في أول المحرم سنة أربع وعشرين بأغلبية أهل الشورى التي قررها عمر رضي الله عنه قبيل وفاته كما هو معلوم وما بويع خرج إلى المسجد فرقى المنبر وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس انكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فقد أتيتم صبحتم أو مسيتم الا وان الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إعتبروا بما مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا واحوانها الذين أثاروها وعمروها وتمتعوا بها طويلاً ألم تلفظهم إرموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً فقال عز وجل واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء إلى قوله آملاً الآية وأقبل الناس يباعونه وخطب أيضاً فقال أما بعد فإني قد حملت وقد

قِبْلَتُ الْا وَإِنِّي مَتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ الْا وَأَنْ لَكُمْ عَلَى بَعْدِ كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا اتِّبَاعُ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسَنَتُمْ وَسَنَّةً أَهْلَ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسْنُوا عَنْ مَلَأَ وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا مَا اسْتَوْجَبْتُمُ الْا وَأَنَّ الدُّنْيَا حَضْرَةً قَدْ شَهِيتَ إِلَى النَّاسِ وَمَا لَهَا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَلَا تَرْكَنُوا إِلَيْهَا وَلَا تَنْقُوا بِهَا فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مِنْ تَرْكَهَا انتَهَى وَفِي أَيَّامِ خَلْفَتِهِ جَمْعُ الْقُرْآنِ وَافْتَحَ سَابُورَ وَافْرِيقِيَا وَسَوَاحِلَ الْأَرْدُنِ وَسَوَاحِلَ الرُّومِ وَاصْطَخَرَ وَفَارِسَ الْأَوَّلِيِّ وَطَبِرِسَانَ وَكَرْمَانَ وَسَجَسْتَانَ وَالْأَسَاوِرَةَ وَمَكْثَ يَدِيرُ أَمْرَ الْخَلَافَةِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً إِلَّا اثْنَتَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةً حَتَّى كَانَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فَقُتْلُوهُ فِي دَارِهِ مُظْلُومَةً رَحْمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يُقَالُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ وَلَى الْخَلَافَةِ أَخْذَ فِي تَوْلِيَةِ الْأَحْدَاثِ مِنْ قَوْمِهِ وَآثَرُهُمْ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ كَبَارِ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حَتَّى كَاْشَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ إِنَّكَ لَمْ تَسْرِ سَلْفَكَ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَوْطَأَتْ أَهْلَ بَيْتِكَ وَقَرَابَتِكَ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ كَانَ يَقْطَعُ قَرَابَتَهُ فِي اللَّهِ وَأَنَا أَصْلُ قَرَابَتِي فِي اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ اللَّهُ عَلَى أَنْ لَا أَكْلِمَكَ أَبْدًا فَلَمْ يَكُلِّمْهُ حَتَّى ماتَ وَلَا تَمَادَى الْأَمْرُ اجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ وَكَتَبُوا كِتَابًا ذَكَرُوا فِيهِ مَا خَالَفَ فِيهِ عُثْمَانَ مِنْ هَبَّتِهِ خَمْسَ افْرِيقِيَّةَ لِمَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ وَفِيهِ حَقُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنْهُمْ ذُوِّ الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَمَا كَانَ مِنْ تَطاوِلَهُ فِي الْبَنِيَّانِ حَتَّى عَدَّوْا سَبْعَ دُورَ بَنَاهَا بِالْمَدِينَةِ وَبَنِيَانَ مَرْوَانَ الْقَصْوَرَ بَذِي خَشْبِ وَعُمَارَةِ الْأَمْوَالِ بَهَا مِنَ الْخَمْسِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَمَا كَانَ مِنْ افْشَائِهِ الْوَلَايَاتِ فِي أَهْلِهِ وَبْنِيِّ عَمِّهِ أَحْدَاثًا ” وَغَلِمَةٌ لَا صَحَّةَ لَهُمْ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَبْرِيَةٌ لَهُمْ بِالْأَمْرِ وَمَا كَانَ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ عَامِلَهُ بِالْكُوفَةِ إِذْ صَلَّى بَهُمُ الصَّبَحَ سَكَرَانَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَتَعَطَّيلَهِ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَلَمَ فِيهِ وَتَرَكَهُ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارُ لَا يَسْتَعْمِلُهُمْ وَلَا يَسْتَشِيرُهُمْ فِي شَيْءٍ وَاسْتَغْنَاهُمْ بِرَأْيِهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْحَمَى الَّتِي حَمَى حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَمَا كَانَ مِنْ إِدْرَاهَ الْعَطَايَا عَلَى أَقْوَامَ بِالْمَدِينَةِ لَيْسَ لَهُمْ صَحَّةٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَغْزُونَ وَلَا يَذْبَّونَ وَمَا كَانَ مِنْ مَجاوِزَتِهِ الْخَيْرَانَةِ إِلَى السُّوْطِ وَأَنَّهُ أَوْلُ مَنْ ضَرَبَ بِالسِّيَاطِ ظَهُورَ النَّاسِ ثُمَّ تَعَاوَدَ الْقَوْمُ

ليدفعن الكتاب في يد عثمان فدفعه إليه عمار بن ياسر رضي الله عنه فقرأه وقال له أنت كتبته قال نعم قال ومن معك قال معى نفر تفرقوا فرقاً منك قال من هم قال لا أخبرك بهم قال فلم اجترأت على فقال مروان بن الحكم وكان حاضراً يا أمير المؤمنين أن هذا العبد الأسود قد جرّأ الناس عليك وانك إن قتلتة نكلت به وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه حتى غشى عليه وجروه وطروه على باب الدار فغضب له بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الصبح عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لعن مات عمار لقتلن به عظيمًا من بنى أميه فقال عثمان لست هناك وكانت من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفارى فكانت هذيلٌ وبني زهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود وكانت بنو غفار واحلافها ومن غصب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم أيضاً قد حنقت على عثمان رضي الله عنه بحال عمار بن ياسر ثم إن عبد الله بن أبي سرح عامله بمصر ضرب رجلاً من أتى عثمان يشكو اليه فقتله فذهب هdraً وكان كلما شكي الناس أمره إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل الحسن ابنه إليه فلما أكثر قال له يوماً إن أباك يرى أن لا أحد يعلم ما يعلم ونحن أعلم بما نفعل فكف عننا فلم يبعث على رضي الله عنه ابنه في شيء بعد ذلك قالوا وقبلها قال له على رضي الله عنه وقد سأله الناس أن يكلمه إن الناس قد كلاموني أن أكلمك والله ما أدرى ما أقول لك وما أعرف شيئاً تنكره وما أعلمك شيئاً تجهله ما ابن الخطاب بأولى بشئ من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وإن الطريق لبين واضح تعلم يا عثمان ان أفضل الناس عند الله امام عدل هدى وهدى فأحيا سنة معلومة وأمات بدعة مجھولة وأن شر الناس عند الله إمام ضلاله ضل وأضل به فأحيا بدعة مجھولة وأمات سنة معلومة وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالإمام الجائز يوم القيمة ليس معه ناصر ولا عازر فيلقى في جهنم فيدور دورة الرحى يرتطم بجمرة النار إلى آخر الأبد وأنا احذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه يقال يقتل في هذه الأمة إمام يفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيمة يمرجع

بكم في أمرهم ويرجون فقال له عثمان رضي الله عنه أما والله لو كنت مكانى ما
 عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت^١ عليك وكلمته أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه
 وسلم وهى تعظه فقالت يا بنى مالى أرى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين
 لا تعرف طريقاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها ولا تقتدح بزند^٢ كان عليه
 السلام أكباه توحى حيث توحى أصحابك فانهما ثكما الأمر ثكما^٣ ولم يظلموا
 هذا حق أمومتي قضيته إليك وإن عليك حق الطاعة فقال عثمان رضي الله عنه
 أما بعد فقد قلت فوعيت^٤ وأوصيت فقبلت ولی عليك أن تنصتين لما أقول ان
 هؤلاء النفر رعاع شغر ططأطأت لهم تطأطؤ الدلاء وتلددت لهم تلدد المضطرب
 فأرانيهم الحق اخوانا وأراهمونى الباطل شيطانا أجررت المرسون رسنه وأبلغت الراتع
 مسقاته فتفرقوا على فرقاً مضى من صمته أنفذ من صول غيره وساع أعطانى
 شاهده ومنعنى غائبه فأنا منهم بين السن لداد وقلوب شداد وسيوف حداد
 عذرني الله منهم أن لا ينهى عالم منهم جاهلاً ولا يردع أو ينذر حليم سفيها
 والله حسبي وحسبهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قالوا وأتاه وفدى من
 أهل مصر يتظلمون إليه من واليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأنه لما سمع
 شكواهم أمر بعزله وولى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه مكانه وما سار محمد بن
 معه قاصداً مصر زور مروان بن الحكم كاتبه كتاباً لابن أبي سرح وختمه بخاتم
 عثمان وفيه إذا جاءك محمد وفلان فاحتل على قتلهم وقرئ عملك حتى
 يأتيك رأيي واحتبس من جاء يتظلم منك وبعث مروان بالكتاب عبداً من عبيد عثمان
 فضبطوه في الطريق وأخذدوا الكتاب منه وقرأوه فرجع محمد بن أبي بكر بهن معه إلى
 المدينة وجمعوا على بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعداً رضي الله عنهم أجمعين ومن
 كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضراً وعرضوا الكتاب على
 عثمان رضي الله عنه وقالوا كتبت فيما كذا وكذا فقال إنما هما ثنتان أن تقيموا
 رجلين من المسلمين أو يمین بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت^٥ ولا
 عملت^٦ وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم قالوا قد

^١ اي اقتضا الأثر او لزما الطريق

أَحْلَ اللَّهُ لَنَا دِمْكَ وَحَصْرُوْهُ فِي الدَّارِ وَكَانَ رُؤْسَاءِ الْوَفُودِ أَرْبَعَةً قَوَادِ كَنَانَةَ بْنَ بَشَرٍ وَقَيْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَدِيِّ السَّلْوَى التَّجِيْبِيِّ الَّذِي عَنْهُ عَقْبَهُ بِقَوْلِهِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَنْ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ قَتْلِيْلِ التَّجِيْبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مَصْرُ وَسُودَانَ بْنَ حَمْرَانَ الْمَرَادِيِّ وَعُمَرَوْ بْنَ الْحَمْقِ الْخَزَاعِيِّ وَابْنَ الْبَيْعَ الْلَّيْثِيِّ وَمِنْ مَعْهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثَةِ لَيْسَ عَنْهَا بَدَأَ أَنْ يَخْلُعُ لَهُمْ أَمْرَهُمْ أَوْ يَقْتَصِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ هُمْ قَاتِلُوهُ. فَقَالَ لَهُمْ أَمَّا أَنْ أَخْلُعَ نَفْسِيَ فَمَا كُنْتُ لِأَخْلُعَ سَرِيَالًا سَرِيلَنِيَّهُ اللَّهُ فَيَكُونُ سَنَةً مِنْ بَعْدِ كُلِّمَا كَرِهَ الْقَوْمُ إِمامَهُمْ خَلَعُوهُ وَأَمَّا أَنْ أَقْتَصَ مِنْ نَفْسِي فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ صَاحِبَيْ بَيْنَ يَدَيْ كَانَا يَعْاقِبَانِ وَمَا يَقْوِيُ بَدْنِي عَلَى الْقَصَاصِ وَأَمَّا أَنْ تَقْتَلُونِي فَلَئِنْ قَتَلْتُمْنِي لَا تَتَحَابُونَ بَعْدِ ابْدَا وَلَا تَصْلُونَ بَعْدِ جَمِيعًا ابْدَا فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَيَقَالُ أَنْهُمْ سَأَلُوهُ أَنْ يَسْلِمُ لَهُمْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ لِيحاكمُوهُ عَلَى تَزْوِيرِ الْكِتَابِ فَأَبْيَ عَلَيْهِمْ وَكَانَ مَرْوَانَ أَصْلَ الشَّرِّ ثُمَّ لَزِمَ بَيْتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَلَانَ جَانِبَهُ وَحَذَرَ كُلُّ مَنْ يَرِيدُ نَصْرَتَهُ عَلَى أَنْ يَقَاتِلَ أَحَدًا وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مَرَةً فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ لَا يَحْلُ سَفْكَ دَمِ امْرَئِ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي أَحَدِي ثَلَاثَ كُفَّارٍ بَعْدِ اِيمَانٍ أَوْ زِنَةٍ بَعْدِ إِحْسَانٍ أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَهَلْ أَنَا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ فَمَا وَجَدَ الْقَوْمُ لَهُ جَوَابًا ثُمَّ قَالَ انْشِدُكُمُ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءَ وَمَعَهُ تِسْعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَا أَحَدُهُمْ فَتَرَنَّلَ الْجَبَلُ حَتَّى هَمَّ حِجَارَتِهِ أَنْ تَتَسَاقَطَ فَقَالَ اسْكُنْ حِرَاءَ فَمَا عَلَيْكِ إِلَّا نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدٌ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ شَهِدُوا لِي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ قَلَتْ وَهُؤُلَاءِ التِسْعَةِ هُمُ ابْوَبَكَرُ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلَى وَطَحْنَةَ وَالْزَّيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعْدُ وَسَعِيدٍ وَلَمْ يَذْكُرْ بَيْنَهُمْ ابْوَعَبِيْدَةَ وَهُوَ عَاشِرُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ خَطَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطْبَتِهِ الَّتِي قَالَ فِيهَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالشَّاءِ عَلَيْهِ أَيْهَا النَّاسُ وَاللهُ مَا عَابَ مِنْ عَابَ مِنْكُمْ شَيْئًا أَجْهَلَهُ وَمَا جَئْتُ شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ وَلَكُنِي مُنْتَنِي نَفْسِي وَكَذَبْتُنِي وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ زَلَ فَلِيَتَبِعْ وَلَا يَتَمَادِي فِي الْهَلْكَةِ إِنَّ مَنْ تَمَادَى فِي الْجَوْرِ كَانَ بَعْدَ عَنِ الطَّرِيقِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ اتَعَظَّ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ مَا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَمَثْلِي نَزَعَ وَتَابَ إِذَا نَزَلتَ فَلِيَأْتِنِي

اشرافكم فليرونى رأيهم فو الله لعن ردى الحق عبداً لأستن بسنة العبد ولا تكونن
 كالمرقوق ان ملك صبر وان اعتق شكر وما عن الله مذهب إلا إلية فلا يعجزن
 عنكم خياركم ان يدروا الى لئن ابت يميني لتابعني شمالي قال فرق له الناس
 يومئذ وبكى من بكي منهم ولم يشا الله أن تهدأ الفتنة الى أن انتهت أخيراً
 بقتله في داره مظلوماً بعد أن حاصر فيها أربعين ليلة قالوا تسرّر عليه الحائط
 محمد بن أبي بكر مع آخرين من دار عمرو بن حزم الأنباري ويقال أن محمدأ
 تراحت يده لما قال يا ابن أخي لو راك ابوك لساهه مكانك ولكن غمز أحد
 اصحابه فوجأه بشقص حتى قتلها وقيل ضربه بالسيف فاتقاها بيده فقطعها فقال
 أما إنما أول يد خطّ المفصل^١ واختلفوا فيمن قتلها فبعضهم يقول نيار بن فيض
 وبعضهم يقول سودان بن حمران والله أعلم بحقيقة ذلك وكان قتلها لثمانى عشرة
 ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وعمره اثنان وثمانون سنة ودفن
 بالبقيع وقيل بحش كوكب ليلاً.

^١ يريد بالمفصل سورة من القرآن من المحررات فازلا في أصح الأقوال سميت بذلك لكترة الفصول بين سورها أو لقلة المنسوخ منها.

الفصل الرابع

المقارنة والموازنة بين الشرحين المبحث الأول

مدخل:

لابد من الإشادة في مستهل الحديث (عن المقارنة والموازنة بين الشرحين للأديبين الكبيرين صلاح الدين أبيك الصفدي وابوبكر محمد عليم.) بحسن اختيارهما لرسالة أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون المولود في ٩٣٤ هـ الموافق ١٠٠٣ م ولتوافه في ٤١٠٠ هـ الموافق ١٠٧١ م. من فحول شعراء الأندلس ومن مشاهير أدبائها المسلمين ، التي بعث بها إلى أبي الوليد محمد بن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس ، أيام اعتقاله ، التي عرفت - بالرسالة الجدية - وذلك لما لكتابها الشاعر المشهور ، والناثر البليغ ، من شهرة وذيع صيت. إذ أن رسائله أشبه بالمنظوم منها بالمنتشر. وكان يسمى بحترى الغرب. ذكره ابن بسام في الذخيرة ، وقال عنه : (كان ابو الوليد غاية منتشر ومنظم وختامة شعراء بنى مخزوم. أخذ من حر الأيام حراً ، وفاق الأنام طراً ، وصرف السلطان نفعاً وخيراً ، ووسع البيان نظماً ونشراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا للبدر تأله ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الظهر اقتراه . وحظ من النثر غريب المباني ، شعرى الألفاظ والمعانى). كذلك حفلت رسالته الجدية ببديع الاستعارات ، ومحاسن الكنایات ، وضروب الأمثال ، وروائع اللمح التاريخية ، والإشارات العلمية . فاصبحت مائدة شهية تزخر بما لذ وطاب . الأمر الذي مكن الأديبين الشارحين من أن يحيطوا اللشام عن شواهدتها التاريخية ، ويبيينا ما غمض من معانيها اللغوية ، ويسطوا الضوء على أسلوبها العذب السلس ، وبلاعاتها التي لا تجاري . فتوسعا في شرح تمام متونها ، ودرها المخزون بل وجوهها المكnon . فجاء شرحاهما قمة سامية في البلاغة ، وروعة ودقة في البيان . خصبا الأدب بشرحهما ، بما تفتقت بهما قرائحهما الواقادة من ذخائر

وقصص وحكايات. فقد صدق شاعر العرب الكبير الشيخ فؤاد الخطيب إذ قال
عن شرح ابن علیم^١

أوحى ابن زيدون إليك بسره *** فشرحت من مكونه ما يغلق
وجعلت من تلك الرسالة جنة *** غناء تأرج بالعبير وتعبر
أنضرها وروبت غرس بيانها *** فتكاد أوراق الرسالة تورق
وجلوت من ألفاظها فكأنما *** في كل لفظ عبرة تتفرق

فأصبح شرحاً لها كنزاً من كنوز الأدب . أضفت عليه كل منهما من فرديته
ما أضفت فصار لكل شرح نكهة ، وطعمه ، وأهميته التي ينماز بها عن الآخر.
الشرحان حرياً في تطويل من غير إملال ، واستطراد جم الفوائد .
والشرحان - بهذا العمل - قد كشفا النقاب عن أدب كتابة الرسائل ، وبسطا
بالإيضاح ما كان موجزاً . وبنهجهما هذا رفعاً الستار عما تزخر به الآداب العربية
النفيسة من علوم وفنون وعجائب ، لا يأتي عليها الزمن. بل يجعلوها الطرق ويجلب
الشرح إليها الأنظار ، ويكشف عنها غبار الزمن. كما أنه يغذيها بما يتمتع به
الشارح من غزارة في العلم ، وسعة في الاطلاع . مما يجعل الرسالة كأنها الروضة
المؤمنقة التي تحفل بأطيب الشمار وأشهارها . فإن القارئ لا يمل السير بين أشجارها
يقتطف من ثمارها مختلفة الألوان متعددة الطعوم . فلا يحس بالزمن وهو بين هذه
الحدائق الغناء . ولعمري فإن في هذا العمل خدمة جليلة للأدب ، واحتفاء كبيراً
بالتراحم ، وما بذلك السابقون من جهد وعناء باللغة والآداب . وقد خدموا بهذا العمل
الخليل العربية ، بتسلیط الضوء على فترة زاهية زاهرة في الأندلس حاكت المشرق
العربي في كل شيء . حتى إن صاحب الذخيرة ليقول " أبو إلاّ متابعة أهل المشرق
يرجعون إلى أنباءهم المعتادة رجوع الحديث إلى قنادة ، حتى لو نعى بتلك الآفاق
غраб ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا
ذلك كتاباً محكما"٢. وألف ابن عبد ربه الأندلسي " العقد الفريد" فلم يجمع فيه

^١ الدر المخزن صفحة ٣٩٢

^٢ الذخيرة المجلد الأول صفحة ٢

شيئاً من الآثار الأندلسية ، وإنما جمعه من الآثار المشرقية ، ويروى أن الصاحب بن عباد اطلع عليه ، فقال عبارته المشهورة : " هذه بضاعتنا ردت إلينا " ^١
وقد ابتدر كل من الأدباء شرحه بالحديث عن رسالة ابن زيدون التي خطها لابن جهور فقد قال عنها الأستاذ الأديب صلاح الدين أيك الصفدي ^٢
(إإن رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور ، من الرسائل الطائنة ، والخمائل
التي لا يذوي زهرها وحمائم غصونها بالتغريد رنانة ، وفضائل التي لا تزال محاسنها
على من حاول معارضتها منانة ، قد أبرزها منشئها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر
المخبأ في أكمامه ، أتعبت من يجاريها فما تشق الغبراء لها غباراً ، ولا يبيت
داحس ذا حس في مباراتها فهو في أصله وفرعه يتمادي ويتماري ، ولا يملك البرق
المتألق إذا سار على أثراها إلاّ عثراً ، مشحونة بما فيها من الإشارات إلى الواقع
والأمثال ، وحل الأبيات الأبيات في الانقياد على الرجال ، نمط في الإنشاء غريب
، وحلوة ألفاظ ليس الضرب لها بضربي ، وطلاوة عبارة ما ترثي ، إنما تخلى
الأجياد والترب لم تر فيها من البلاغة ترفيها ، ولم تجد فيها لفظة تحويها ، ولم
تنظر معانيها إلاّ وهى تطوى المحسن وتطويها) . ثم استشهد بأبيات للمنتبي
استهلها بقوله:

لديها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمائمه
أنظر كيف ألمت كلمات الرسالة هذا الأديب ما ألمت فجرت عباراته
مسجوعة سلسلة هي إلى النظم أقرب منه إلى التشر ، ولنتأمل كيف استطاع ابن
زيدون أن يحرك كوامن هذا الأديب فأ茅طرت نرجساً من العبارات القرقاء وهكذا
الكبار دائماً يلهبون المشاعر فتشتعل وهكذا ترسل الدرر.

أما أديبنا أبوبكر محمد عليم فقد عاد من غرب السودان بعد أن أصابته
الحمى فخلد إلى الراحة وأنباء ذلك اطلع على رسالة ابن زيدون في المجلد السادس
من مجلة المقتبس التي أنشأها الكاتب الأديب محمد كرد بدمشق فاستهوته الرسالة
وشغلتة أيما شغل فقال عنها ^٣ (وفيها ضروب من البلاغة تسحر العقول وتخليب

^١ معجم الأدباء لياقوت (طبعة فريد الرفاعي) ٤/٤٢١

^٢ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة (٣)

^٣ الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة (٤)

الألباب شم في استعطاف وتواضع في استككاف وحرارة فؤاد تذيب الصفة الصماء
وشكوى حال ترق البهيمة العجماء فجعلت أكرر تلاوتها . واستطعم حلاوتها وكلما
فرغت منها عدت إليها (والمكرر أحلى وأغلى) وتنينت لشدة اعجابي بنمطها
العجب وأسلوبها الغريب أن يشاطري كل قارئ وسامع الإمام بمعانيها واستيطان
معانيها لصوغها في قوالب الاستعارات المجازية والأمثال الرائقية بما يعنى الى
البحث عن شرح لها يشبع الغرثان ويروى الظمآن كى يسهل على المبتدئ فهمها
كما سهل على العالم علمها) .

انظر أخي القارئ إلى الكبار كيف تحركهم الكلمة وتشيرهم العبارة ، فينزعجوا ، وتحرك كواطنهم كأنها البراكين المتدفعه ، وهم في نشوة السكر يودون مشاركة الآخرين فهم يرددون مع المعرى قوله :

فلا هطلت على ولا بأرضي سحائب ليس تننظم البلاد

أعود فأقول كيف امتلك ابن زيدون ناصية الكلم وأودع فيه من روحه وحرارته ما
حرك أدينا ابن عليم الذي عاش بعده بما يقارب الألف عام ؟ كيف احتفظت
الكلمة العربية بهذه الحرارة وهذا الدفء ؟ ! هذا سر أودعه الله في لغة الضاد !

الناقد فنان:

أولاً: لابد أن أشير في بداية حديثي عن النقد الأدبي أن الناقد فنان .
والفنان ألممه الله حسأً مرهفاً ، يرى ما لا يراه الإنسان العادي ، ويعكس بما لا يحس
به الإنسان العادي . فإن النحات مثلاً إذا نظر إلى تمثال أبي الهول فإنه يرى
صورة متكاملة لكل المشهد ، كما أنه يرى في ذات الوقت صورة مفصلة لدقائق
جزئيات التمثال . ويلاحظ من الدقائق ما لا يلاحظه الشخص العادي . فالفنان يرى
الصورة الكلية والصور الدقيقة الجزئية في ذات الآن . وقد قيل " إنما سمى الشاعر
شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره " ^١ بهذا الفهم فإن النقد إحساس يستشعره
الإنسان عندما يرى لوحة أو عندما يطالع نصاً شعرياً أو نثرياً ، ومن هذا المنطق

^١ نظرات في أصول الأدب والنقد د. بدوى طباعة شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ص ٢٤١

أو المنطلق يحق لكل شخص أن يبدي رأيه فيما يقرأ أو يشاهد " وفوق كل ذي علم عليم "^١

لعل هذا المنطق أو المنطلق هو الذي أباح لي وأعطاني الحق في الحديث عن هذين الأديبين الكبيرين ، صلاح الدين أبيك الصفدي ، وابوبكر محمد عليم. وغنى عن التنبية أن أقول أحهما رقمان في الأدب نظمه ونشره ، واستاذان في كل أولئك ، لا يشق لهما غبار ، أغنيا الساحة الأدبية بعلمهما الشر الوفير ، وفكراهما الخصب المتدقق ، وآرائهما القوية الشجاعة . وقد أبدعا أيما إبداع ، واظهرا جملة من القدرات الأدبية والذوق الرفيع . وإن لأطمح بل أطمع في أن أسلط الضوء على شرحهما بصورة تظهر رونقه وتلفت النظر إليه ، ثم أبدى في تواضع جم رأي وجهة نظرى . والله هو المسئول أن يكلل مسعائى بالعون والتسديد ، ويدفعنى لامضى في طرقات هذا الوادى الخصيب.

ثالثاً: هذان الشرحان يتسمان بخصائص كثيرة. ويظفران بمعلومات وفيرة ، فهما مصدران لأدب السيرة الذاتية ، وللعديد من الشخصيات اللامعة في الحياة الإنسانية على مر العصور والأزمان ، كما أن فيهما ثروة غزيرة من شعر ونشر ، وعلوم شتى ، ما كان يمكن أن تتاح لهما هذه الفرصة لو لا هذه الرسالة الفريدة " الرسالة الجدية " التي خطها - الشاعر ، الناشر الذي سارت بصيته الركبان - ابن زيدون . الأمر الذي مكنهما من التصدى بالبحث والإستقصاء لما حوتة الرسالة البدية من حكم وأمثال وغزوات وغير ذلك فاتحفا العربية بهذين الشرحين الوافيين.

ثالثاً: بما أن الكتابين لم يلتزما بتبويب معين ، أو بفصول محددة ، فإن حديثى عنهما يشمل مسائل أساسية تتعلق بالأسلوب واللغة والمواضيع والتقييم العام.

^١ سورة يوسف آية (٧٦)

المبحث الثاني

الأسلوب

الأسلوب هو الجوهر عند التعبير ، فإن الكلمة ومعناها هما قوامه ، ومرتكزاته الأساسية ، فإن امتلك الكاتب خيوط موضوعه التي ينسجه بها. جاء موضوعه جيد الحياكة ، حسن السبك ، وإنما اضطررت الكلمات لعدم تمكن الكاتب وهيمته على موضوعه . ولتشتت أفكاره ولعدم تمكنه من اختيار الألفاظ المناسبة التي توضح ما يريد. إذ أن الأسلوب في حقيقة الأمر انعكاس لشخصية الكاتب . فإن الكاتب المتمكن يستخدم الكلمات بطريقة متكاملة فيعطيها أبعادها المناسبة فتنير للقارئ الطريق كاشفة عن سهوله ، وهضابه بل وتضاريسه المختلفة فيسیر القارئ على ضوء إشعاع الكاتب بعين مفتوحة ، وبصيرة دراكه . ترى الأمور بوضوح ، و تستبين الأفكار بجلاء - كل أولئك والكاتب يقوده من وراء عقله حتى يبلغ به الغاية المرجوة ، والمهدى المنشود ، في اناة و töدة.

يقول الناقد الإنجليزى رأ اسكتوت عن الأسلوب " يعني الأسلوب الطريقة التي تستعمل بها الكلمات لغرض التعبير ، فالقدرة على التعبير هي ، جوهر المسألة كلها ، فهي تتضمن درجة الكمال ، أو عدم الكمال التي يعبر بها الكاتب عن المعنى ، فيتوجب أن تضطرب اللغة إذا كان التفكير الذى خلفها مضطرباً ، ولا يمكن إن تكون واضحة إلا إذا كان التفكير سليماً " ^١

على هذا الفهم فإن الكاتب واسع الإطلاع ، غزير العلم والمعرفة ، مستعين بالفكرة ، يكون سلس العبارة ، مستقيم الأسلوب ، ولا بد أن يجيء أسلوبه انعكاساً طبيعياً لشخصيته ، وتعبيرياً عن ذاتيه التي ينماز بها عن القطيع ، إذ أن حقيقة الأسلوب هي جملة أفكار الكاتب التي يحملها وقد صدق دى كويينس ^٢ الذى يقول إن الأسلوب يجب أن يكون " تحسيناً للتفكير".

^١ جريدة الرأى العام السودانية العدد ٤٨٠٤ بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠٥ ملحق الرأى العام الثقافى.

^٢ جريدة الرأى العام السودانية ٤٨٠٤ ٢٠٠٥ ملحق الرأى العام الثقافى

ولما سبق القول أن الأسلوب يعبر عن ذاتية الكاتب ، فإنه يختلف من كاتب لآخر ، ومن مؤلف لآخر ، بل ومن موضوع لآخر ... إذ تتحكم في نوعية الأسلوب عوامل شتى لعل من أهمها الكاتب نفسه.

- أى فرديته وأفكاره وثقافته وبعنته - والموضوع ومادته ثم اختلاف إدراك المخاطبين وذلك استناداً على قوله عليه الصلاة والسلام " نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " ^١ فإن اختلاف تفاوت أفهم المخاطبين يؤثر في نوعية الأسلوب تعقيداً وتبسيطأً ، تطويلاً وإختصاراً. كما أن المقام المعين يملئه عالى الكاتب أسلوباً محدداً ، وموضوعاً محدداً فإنه كما يقولون " لكل مقام مقال ، ولكل حديث حديث " . وعلى هذا الأساس على الكاتب أن يراعى نفسية القارئ وحاجاته ليعمل على تلبيتها.

وهناك اسلوبان يمكن أن يتبعهما الكاتب ^٢ :

أولهما: الأسلوب العلمي وهو يتضمن عرض الآراء مع إقامة البرهان والدليل والإثبات دون تعصب مع تحكيم العقل والمنطق . والإستناد إلى النظريات العلمية الصحيحة والأقوال الراجحة ، والتفسيرات الموضوعية ، والمحصافة في ترجيح الآراء بالإستناد إلى المراجع والمصادر العلمية الموثوق بها.

وثانيهما : الأسلوب التربوى .. وهو يقوم على الحرص على نقل المعلومات بأمانة وموضوعية ودقة دون الإعتماد على الآراء الضعيفة غير الموثوق بها مع التنوع في الأسلوب بقصد دفع الملل والسام في نفس القارئ وجعله متفاعلاً ومشدوداً مع المادة المقرؤة ولن يتأنى ذلك إلاّ بصدق الكاتب ، وإيمانه بما يكتب وبذا يجمع، بين التربية والتعليم فإن فاقد الشئ لا يعطيه.

يتضح مما سبق أن الأسلوب أياً كان نوعه هو محور الأمر كله . فإن اضطراب الأسلوب دليل على اضطراب الأفكار ، وعدم وضوحتها . كما أن الأسلوب الحقيقي يكون دقيقاً دقة إدراك الكاتب. والكاتب المتمكن يستخدم أفالين

^١ أخرجه الديلمي في مسند الفردوس

^٢ ابن عرب المالكي الأشبيلي وتفسيره أحكام القرآن د.مصطفى ابراهيم المشنى دار العجيل بيروت - دار عمار عمان

صفحة (٨٧)

الحيل لياسر القارئ ويؤثر عليه بإستخدام الأسلوب المنمق ، المقنع ، الذى يتخير وينتقمى الكلمات القوية الملية بالحياة والحيوية ذات البريق المؤثر الجاذب للقارئ فإن للكلمات جرس يسمع الصم .. قال الشيخ عبد الغنى النابلسى:^١

ولا تسمع الأصوات إلا بسمها : فإنك إن تسمع بها تسمع الصما

ألم يقل المتنبى :^٢

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبِي *** وأسمعت كلماتى من به صمم
فإن الكلمة عنصر أساسى في الأسلوب وقد قال بن جونسون^٣ "الكلمات والمعنى
، هما كالجسد والروح في كل كلام" كذلك قال العتابى^٤ "الألفاظ أجساد ،
والمعنى أرواح ، وإنما تراهما بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخراً أو أخرت منها
مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى
موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الجبلة". فالأسلوب هو نفس^٥ الكاتب بل
بصمه المميزة يقول د. محمد البسيوني^٦ "الأسلوب يمثل الشخصية للفنان التي
تعكس من فنه ، فهي بصمه المميزة ويمكن بها التعرف على شخصيته ". بينما
قال أحمد الشايب عن الأسلوب^٧ " . يعتمد على تخير الكلمات الفصيحة الدقيقة
المعنى المتلائمة مع اخواتها ليجمع بين وضوح التفكير وجمال التصوير ". بينما يقول
ابو هلال العسكري^٨ " الأسلوب هو العبارة اللاحمة لنقل أو اظهار ما في نفس
الأديب من تلك المعانى المعنوية ، فقد صار الأدب ينحل إلى هذه العناصر
الرئيسية"

أما شوبنهاور فيقول^٩ " الأسلوب هو تقاطيع الزمن وملامحه وهو أكثر صدقًا
ودلالة على الشخصية من ملامح الوجه"

^١ ديوان الحقائق ومجموع الرفائق - الشيخ النابلسى صفحة (٦٥) ج ٢

^٢ شرح ديوان المتنبى وضعه عبد الرحمن البرقونى الجزء الرابع صفحة (٨٣)

^٣ جريدة الرأى العام السودانية العدد ٢٨٠٤ ملحق الرأى العام الثقافى

^٤ تاريخ النقد الأدبي إلى القرن الرابع الهجرى (١) د. محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر صفحة (٢٩٠)

^٥ الفن التشكيلي د. محمد اليسيونى ط ١ عالم الكتاب القاهرة ١٩٨٠ صفحة ١٨٤

^٦ الأسلوب - أحمد الشايب ط (٣) مكتبة النهضة المصرية الاسكندرية ١٩٣٩ صفحة (٠٤٠)

^٧ الصناعتين - لأبى هلال العسكري - تحقيق محمد أبو الفضل و محمد الجاوى صفحة (٦٣)

^٨ قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د. محمد زكي صفحة (٣)

أما أرسطو فيقول عن الأسلوب^١ "إن كمال الأسلوب أن يكون واضحًا دون اسفاف"

بعد هذا المصح عن النقد والأسلوب نستعرض شيئاً عن أسلوب الأدباء الكبارين.

أسلوب الأدباء (الصفدي وابن علیم) عود على بدء

لقد نحا الأدباء الصدري وابن علیم في أسلوبهما منحى تحرراً فيه من الغموض ، وإن نمقا اللفظ وصيراه جزلاً . ولقد مزجا في كل أولئك بين التراث القديم من سير العظماء . وعيون الشعر العربي ، والقصص ، والحكايات ، وبين ثقافتيهما . فجاء أسلوبهما يتسم بذاتية كل منهما .. ويتفرق في كثير من عباراته بمتانة الحبكة ، وسلامة الأسلوب ، ودقة البيان ، ووضوح الرؤية . وقد أضفيما عليه من وافر علمهما ما جعل القارئ يستمتع وهو يجول بين ثنايا الشرحين . وهما بهذا قد كشفا النقاب عن أدب الرسائل في بلاد الأندلس ، - المرأة الصادقة لأدب الشرق - كان ذلك في عهد زاهر من عهودها ، وعلى يدي أديب فذ ، وكاتب ملهم هو ابن زيدون .

كان الأديب منهما يجيء بنص من الرسالة ثم يشرع في شرحه فتلمح الآراء تنصب انصباباً ، والعلم يتدفق تدفقاً ، بينما هما يكشفان المخبوء والمكتنوز من وراء العبارات . لذلك لم يعد شرحاهما مجرد شرح لرسالة أدبية ، إنما أصبح كشكولاً ومورداً عذباً ، ومرجعاً لا غنى عنه في مجال الثقافة والشعر والتاريخ والأدب والمجتمع . لأنه يمد القارئ بمعلومات متنوعة وواحة في شتى النواحي . ولئلا يكون إطاراً على الأدباء غير مدعم فأسوق نماذج من أسلوبيهما :

في البدء يقول ابن علیم واصفاً رسالة ابن زیدون^١ " وفيها ضروب من البلاغة تسحر العقول وتخلب الألباب شتم في استعطاف وتواضع في استنكاف وحرارة فؤاد تذيب الصفة الصماء وشكوى حال ترق لها البهيمة العجماء فجعلت أكرر تلاوتها. واستطعم حلاوتها وكلما فرغت منها عدت إليها (والمكرر أحلى وأغلى).

تأمل ! كيف تتراlei العبارات في بلاغة متناهية ؟ لا صنعة فيها ولا تكلف .. وكيف يرسل أدینا السجع والاستعارة والتشبيه في عنوابة وسلامة ؟ فيحبب إليك الرسالة ، يتصویره الدقيق ، وخیاله الرائع ، مما يدل على صفاء فکرى ، وذوق أدبي ، وقدرة فنية ، وتسخیر للأسلوب يمنحه قوة وتأثيراً وحسناً .

ثم إنه بعد أن هيأ الأسماع وشوق القراء ، راح يستعظام مهمة الشرح في تواضع العلماء والأدباء اسمعه يقول^٢ " ولكن استعظمت الإقدام عليه لأنني لم أكن من رجال هذا الميدان ولا من سبق له الإستنان في حلبة البيان ولا سيما أن المتصدى لهذا العمل قلما ينحو من أسنة النقد وسهام القذع ولطالما كان الإنسان في فسحة من أمره ما لم يقل قوله أو ينظم شعراً فإن أصاب استهدف وإن أخطأ استقذف فما أحراي أن أنزوی خلف الستار وتأمن نفسي زلة العثار . لذلك ترددت بين الإقدام والإحجام وجلت في العناد وشمست في القياد وهي تناجياني في سماحة أهل الأدب وتساهلهم ما يحملها على حسن الظن بهم فيتجاوزون عن هفوئي ويغتفرون زلاتي فأخذت استجمع الأدلة واستحضر الشواهد التي كانت تبحیش في صدری وتتوارد على مخيالي ".

وبالنظر إلى أسلوبه نلمح العنوابة في إيراد المجاز والمحسنات البدوية ، في تظاهرة أدبية متحدة القيادة ، سهلة الألفاظ ، مع انسجام تام بين اللفظ والمعنى ، مما يشبه اللوحة الفنية التي لا نشاز فيها ولا غلو.

كما أن أدینا ابن علیم يميل أحياناً إلى استخدام الأسلوب العلمي ، ليقوی بالمنطق السليم ، والفكر المستقيم أمراً ما ويدعمه بما يحفظ من شعر و أمثال اسمعه

^١ الدر المخزون صفة (٤)

^٢ الدر المخزون صفة (٥)

يقول^١ "إِنَّ الدَّلَاءَ الْبَطِئَةَ فِي السَّقِىٍّ هُوَ الْأَكْثَرُ امْتَلَاءً وَالسَّحَابُ الْمُتَشَاقِلُ فِي مَشِيهِ هُوَ الْأَكْثَرُ مَطْرًا فَمَدْحُ الْبَطْءِ وَالثَّقْلِ فِي هَذِهِ الْجَمْلَةِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْ لَوَازِمِهَا الْذَّمِ تَفَنَّنًا وَاقْتَدَارًا". وَيَعْجِبُنِي مَا حَفِظْتُهُ قَرِيبًا مِنْ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ أَحْمَدَ شَوْقِي بْلَكَ شَاعِرِ مِصْرِ الشَّهِيرِ فِي مدحِ أَمْيَرِهَا. وَكَانَ قَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِ قَلِيلًا فِي وَعْدِ وَعْدِهِ :

تَمَرُ الْوَعْدُ كَمَرُ السَّحَابِ *** وَوَعْدُكَ كَالْبَحْرِ يَمْشِي الْمَهْلِ
يَعْمَلُ الْعِبَادُ وَيَغْشِي الْبَلَادَ *** إِذَا الْغَيْثُ فِي أَرْضِ قَوْمٍ نَزَلَ
وَيَا رَبَّ رِيَثَ أَفَادَ الْجَزِيلَ *** إِذَا مَا أَفَادَ الْيَسِيرَ الْعَجْلَ
الْرِيَثُ هُنَا : هُوَ الْبَطْءُ . وَجَاءَ فِي الْمُثَلِّ رَبُّ عَجْلَةٍ وَهَبَّتْ رِيشًا وَيَرْوَى تَهْبُّ رِيشًا .
غَيْرُ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَسْلُوبِ الْأَدِيبِ ابْنِ عَلِيمٍ هُوَ الْجُودَةُ وَالسَّلَاسَةُ وَأَنَّهُ
يَحْفَلُ بِالْعَدِيدِ مِنَ الصُّورِ الْبَيَانِيَّةِ الَّتِي تُعْطِي الْمَعْنَى قُوَّةً وَأَسْلُوبًا تَمَاسِكًا كَالْتَّشِيهِ
وَالسَّجْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَهُوَ يَقُولُ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ الْبَحْتَرِيِّ^٢ وَالْمَتَأْمَلُ فِيهِ يَرِيُّ أَنَّ
الْفَاظَةَ مَصْقُولَةً كَالْمَرَأَةِ وَحَوَاشِي نَظَمَهُ مَطْرَزةً كَالثِيَابِ الْمُوَشَّاهَةِ وَقَلْمَانًا يَجِدُ فِيهِ كَلْمَاتَ
نَافِذَةً أَوْ مَعْنَى مُبِتَدَلًا بَلْ هُوَ السَّهْلُ الْمُمْتَنَعُ وَالْمُورَدُ الصَّافِي يَدْخُلُ إِلَى الْقَلْبِ فَيُعْقِلُهُ
الْفَهْمُ وَيَسْتَلِدُهُ الطَّبَعُ وَلَمْ أَرْ مَنْ بَرَزَ عَلَيْهِ فِي مدحِ الْخَلْفَاءِ وَالْأُمَّارِ خَاصَّةً فَكَانَهُ
خَلْقٌ لِلْمَدِيْحِ أَكْثَرُ مَا خَلَقَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّعْرِ .

كَمَا أَنَّ الْأَدِيبَ ابْنَ عَلِيمٍ يَتَمَكَّنُ بِبِرَاعَةِ أَسْلُوبِهِ ، وَقُوَّةِ خَيَالِهِ ، وَوَسْعَةِ
حَيْلَتِهِ ، وَدَقَّةِ تَصْوِيرِهِ مِنْ أَنْ يَدْعُ فِيمَا أَوْجَزَ ابْنَ زَيْدُونَ فِي رِسَالَتِهِ تَابِعَةً يَقُولُ^٣ "وَلَمْ
ضَاقَتْ مَذَاهِبِي وَأَكَدَتْ مَطَالِبِي وَعَلَامَ رَضِيتَ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالْتَّعْلِيقِ بَلْ مِنَ
الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ".

وَيَشْرُحُ الْأَدِيبُ ابْنَ عَلِيمٍ فَيَقُولُ "وَلَأَى شَيْءٍ ضَاقَتْ مَسَالَكِي وَرَدَتْ مَطَالِبِي
وَرَضِيتَ مِنَ الْعَظِيمِ بِالْحَقِيرِ بَلْ كَيْفَ أَرْجِعُ مِنْ غَنِيمَةِ أَفْضَالِكَ وَعَظِيمِ إِنْعَامِكَ
خَائِبًا مُخْذُولًا أَتَمْنِي السَّلَامَةَ مِنَ الْمَلَكِ بَعْدِ الرِّفَاهَةِ وَالْجَاهِ وَكَانَهُ لَعْلَوْ هَمْتَهُ وَكَبَرَ نَفْسَهُ
لَمْ يَرِضْ بِمَا نَبَهَ إِلَيْهِ الْمَثَلَانِ مِنَ الرَّضَاءِ بِالْحَقِيرِ وَالْقَنَاعَةِ بِالسَّلَامَةِ فَهُوَ يَنْكِرُ صَغَارَ

^١ الدر المخزون صفحة (٨٤)

^٢ نفس المصدر صفحة (٩٠)

^٣ نفس المصدر صفحة (٢٧٦)

الأمور ويطمح إلى معاليها. وقد ذم بعضهم القناعة بالقليل فقال إنها من خلق البهائم إذا وجدت أكلت وإذا لم تجد بات على خسف وأنشد للمتلمس الشاعر:

إن الهوان حمارٌ الحى يعرفهُ **** والحرّ ينكرهُ والرسلةُ الأجدُ
ولا يقيم على ضيم يراد به **** إلا الأذلان عيرٌ الحى والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برمته **** وذا يشجّ فلا يرثى له أحدٌ

فقد تمكن ابن علیم بقوه منطقه ودقه اسلوبه من أن يفصل ما أجمله ابن زیدون في المثلين فأبان لنا أن الإنسان الواسع العليم لا يمكن أن يقنع بالقليل وفي وسعه أن يظفر بالكثير. فمنطق القناعة مرفوض هنا لأنه طبع البهائم أما طبع الناس فهو يردد مع أبي فراس الحمداني:

ونحن أناس لا توسط بيننا *** لنا الصدر دون العلين أو القبر
ويواصل الأديب ابن علیم قیاس الأمور بالمنطق وإخضاعها للحجۃ فهو يعلق
على ما قيل في موت إمرئ القيس بالسم بعدهما لبس الحلة المسمومة التي أهداها
له القيصر ^١ ولا يؤخذ من قوله وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة أنه يريد ما ناله من
لبس الحلة المسمومة إذ لم يجر لها ذكر قط كما فسروها بقرينة القروح وليت شعرى
هل تلبس حلة الملوك قميصاً مباشراً للجسم بغرض أنها مسمومة فيتشرب الجسم
منها ولكنه يريد بالقرح الدامى ما تفعله القروح الاعتيادية من الجدرى وأمثاله
ويعجب من استعراضه بالصحة مرضها وبالنعمه بؤساً وعلى هذا لم تكن وشایة
الطماح سبيلاً لهلاكه وما كان قيصر ليعجز عن رده إليه وتجريده من الجيش الذى
بعثه به بدلاً من إعماله الحيلة في قتله بهذه الطريقة الممقوطة وإذا صح أن القيصر
أمر بفتح تمثال له بعد وفاته وكما قيل إن هذا التمثال بقى إلى أن رأه المؤمنون
 الخليفة فقد ينتفي الظن كلياً بأن القيصر غضب عليه فقتله لأنه إذا كان قتله فلا
يقيم له تمثلاً. هذا فکرى وقد أكون مخطئاً وفوق كل ذى علم علیم انتهى".

كثيراً ما نلمح في اسلوب الأديب ابن علیم الدقة في اختيار العبارات ،
ومناقشة الأمور في رویة ومنطق واستخدام الأسلوب العلمي ، الحجاج الدامغة و

الأدلة لتأكيد رأيه ، وتقوية حجته ، ثم عدم التعصب أو الإصرار على صحة رأيه ، فهو مع عديد البراهين التي يسوقها إلا أنه يتحلى بالتواضع الذي يعتبر من شيم العلماء أعد قراءة قوله " هذا فكري ، وقد أكون مخطئاً ، وفوق كل ذي علم عليم ".

نكتفى بهذا القدر من اسلوب أدبينا ابن علیم ثم نرجع على الأديب الصfdi ، لتأخذ بعض الأمثلة من أسلوبه .

كما اسلفت القول - في مستهل هذا الفصل - إن هناك عوامل شتى تؤثر على اسلوب الكاتب لعل من أبرزها الكاتب نفسه ، فرديته ، وأفكاره ، وثقافته ، وبعيته . فنحن عندما نتحدث عن أدبينا الصfdi تستشعر الهيبة والوقار ، لما يتحلى به من علم وفيه ، وقدرة فائقة في صناعة الإنشاء ، وقدوة سامقة في فن الأدب ، لما له من " نظم رائق ونشر فائق " ^١ كما قال عنه ابو عبد الله الذهبي في معجمه . أما عن اسلوبه ، فاسلوبه رائع رائع ، ينتزع الإعجاب من قارئه انتزاعاً ، لما فيه من عنوية ، وسهولة عبارة ، وسلامة ذوق ، ودقة وروعة في إختيار الكلمات التي تجد حظها من الفهم من غير عناء . فاسلوبه السهل الممتنع . ولعل من أدق سمات أسلوبه ، قوة المعانى ودقة الألفاظ ، وبلاوغتها ، والصور البينية التي تخليلها في عفوبه صادقة . اسمعه وهو يصف رسالة ابن زيدون الجدية ^٢ " وما أوردتها على أحد إلا رقصت أعطاوه ، وجني من غصونها ما استلذ قطافه ، وملكت حبة قلبه بما فيها من اللطافة ، واجتنى منها محاسن السوالف واجتنى لذة السلافة ، وقال : هذا هو الأدب الذي ما شافه غيره " ارتشافه وهذا هو الإنشاء الذي من ركب اعتسافه تسافه ، وهذا هو النثر الذي من حل ساحته قال : الضيافة الضيافة ! وهذا هو الترسل الذي من حط به برحاله أثقل النوال ^٣ بالتحف التحافه " .

هذا قريض على الأملالك متحجب *** فلا تذله بإكثار على السوقِ ^٤

^٦ تمام المتنون صفحة

^٤ تمام المتنون صفحة

^٣ السوق : الرعية ، ويجمع على سوق ، كصرد .

فلذلك آثرت أن أملأ عليها شرحاً ، وابني على كواكب كواكبها صرحاً ، واكحل جفوناً باتت لرقبةٍ بيانها قرحي ، وأطلب قلوباً أمست لوصال اياضها جرحى ، وإن لم أكن من خيل ميدانها ، ولا من يعده الأبطال من فرسانها ، ولكن جهد المقل ، وزهد المخل^١ ، وسهد المطل ، وشهاد المدل^٢ ، وعهد الممل.

قد يدرك الجد الفتى وإزاره *** خلق ، وجيب قميصه مرقوع^٣
وبالله اعتصم واعتصد ، ومن فيضه استعمل واستمد ، إنه الرقيب القريب والسميع
"الجيب"

يلمح القارئ لوصف الأديب الصنفى لرسالة ابن زيدون موسيقى راقصة ،
أكثرت الفاءات من عذوبتها وحلاوتها ، وكذلك فعل السجع . ويبدى الأديب
الصنفى إعجاباً كبيراً بما حوتة الرسالة الجدية من أدب منظوم ومنتشر . كما
يتبدى لنا تواضعه الجم في قوله " ولم أكن من خيل ميدانها ، ولا من يعده
الأبطال من فرسانها" كيف وهو الفارس المغوار الذى يحسن استخدام العبارات ،
واستلهام المعانى شرعاً ونثراً ؟! وهو الذى قد باشر كتابة الإنماء بمصر ودمشق . ثم
ولى كتابة السر بحلب . كيف لا تكون لرجل بمثل هذه الخبرة والتجربة الثرة القدرة
على أن يكون من فرسانها ؟! ولكنه التواضع الذى يورث الرفعة.

ويبلغ به هذا التواضع ذروته حين يورد بيت الشعر:
قد يدرك الجد الفتى وإزاره *** خلق" وجيب قميصه مرقوع
كلا! وألف كلا! أيها الإمام الضليع - وحاشا فما ازرك بالخلق لا ولا جيب
قميصك بالمرقوع!. إنما أنت قمة شماء في الأدب والبيان. وقد يكون اسلوب
الأديب الصنفى سهل العبارة ، بسيط الألفاظ ، لا تعقيد فيه ، ولا غموض فهو
يقول عند شرح عبارة ابن زيدون " ما هذا الذنب الذى لم يسعه عفوك ، والجهل
الذى لم يأت من ورائه حلمك ! " يقول الأديب الصنفى " ومن قدر وعفا
وصف لآل غفرانه وصفا ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أهل مكة

^١المخل: الفقير المعدم

^٢المدل : ط : " المدل "

^٣ابن هرمه - الشعر والشعراء صفحة (٧٣٠)

: تمام المتن صفة (٩٠)

كانوا يؤذونه في نفسه ، ويقصدون نكايته في أهله ، قتلوا أعمامه ، وعذبوا أصحابه ، وألبوا عليه ، وأخرجوه من أحب البقاع إليه ، حتى إذا فتحها الله عليه ودخلها بغير حمدتهم ، وظهرت كلمته بهم على رغمهم ، قام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشكراً على ما منحه من الظفر ، ثم قال : أقول لكم كما قال أخي يوسف : " لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحيمين ".

لابد أن يستشف القارئ السلاسة في العبارة ، والقوة في الأسلوب ، والصدق في التعبير ، الذي يزيده السجع المتدقق رونقاً وبهاءً إذ أنه يجيء في غير تعمد ولا صنعه.

قدِيماً قال الأستاذ معاوية محمد نور عن أسلوب الدكتور طه حسين " أسلوب الدكتور طه حسين " ^١ مثلاً أسلوب حلو لذيد ، لا يكلف القارئ تعباً ولا نصباً . وإن لألمح حلاوة في أسلوب الأديب الصدري خاصة عندما يدعم أراءه بشيء من القصص أو الحكايات أو الشعر فلتتابع حديثه عند شرح قول ابن زيدون " قوله فتعاطيت وعقرت " يقول ^٢ " قوله تعالى : (فتعاطى فعقر) ^٣ ، أى أتى أمراً عظيماً ، يقال : فلان يتعاطى المنكر . قيل : إن جعفر بن سليمان كان شديد البخل على الطعام ، فرفعت المائدة يوماً من بين يديه ، وفيها دجاجة ، فوشب عليها بعض بنية فأكل منها وأعيدت من الغد ، فلما رآها وقد أكل منها ، قال من هذا الذي تعاطى فعقر ؟ قالوا : ابنك فلان ، فقطع أرزاق بنية كلهم ، فلما طال عليهم ذلك قال بعض بنية :

أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ فرد عليهم بعض أرزاقهم . وقال عمارة

اليمني :

لا تعجا لقدر ناقة صالح ^{****} فلكل عصر ناقة وقدار ^{*}

^١ مؤلفات معاوية محمد نور - الجزء الأول - دراسات في الأدب والنقد - الطبعة الأولى - ١٩٧٠ - قسم التأليف

والنشر جامعة الخرطوم صفحة (٤٢)

^٢ تمام المتنون صفحة ١٢٨

^٣ سورة القمر ٣٩

لعل الأمر الذى لا نزال نؤكده هو أن أسلوب الأديب الصfdى سهل ، سلس ، مناسب . والمرء لا يحتاج إلى استخدام الألفاظ الغريبة أو الشاذة طالما أن الكلمات السهلة تؤدى المعنى . ولتعزيز هذا الإتجاه نرى ماذا قال الأديب الصfdى عند شرح عبارة ابن زيدون " أم كيف لا تتضمن حوائج الأ��اء حسدا لي على الخصوص بك " يقول ^١ ويقال : إن بعض الفضلاء حسده جماعة من أهل عصره ، واتفقوا أن كتبوا فيه محضرا ، وشهدوا عليه فيه بشهادات تؤدى إلى تكفيره . واستفتقوا عليه أهل العصر في ذيل المكتوب ، وأحضاروه إلى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ليكتب فيه بالتكفير ، فأخذته وكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه *** فالكل أعداء له وخصوم ^٢
فلما رأوا ما كتب به الشيخ رحمه الله تعالى توقفوا ، وتفلت شوكتهم وعزائمهم ،
وبطل ما كانوا يصنعون ".
تأمل دقة التصوير البلاغى ، وحلاوة الإقتباس في قول الأديب الصfdى (تفككت
شوكتهم وعزائمهم ، وبطل ما كانوا يصنعون)

وفي ختام هذا المبحث إذا أردنا أن تعقد مقارنة بين اسلوبى الأدبين الكبيرين الصfdى وابن علیم لابد أن نعطي اعتباراً خاصاً للعصر الذى عاش فيه كل منهما فالخليل الصfdى عاش في عصر المماليك ومعلوم عند الأدباء التدین الذى أصاب الأدب في هذا العصر وما شابه من صنعة وتكلف في استخدام المحسنات اللغوية والبدوية مع هذا بل وبالرغم من هذا فإن أديبنا الصfdى قد امتاز بأسلوب أخاذ وربما كانت لسعة اطلاعه وشاعريته القدح المعلى في ذلك.

أما الأديب أبوبكر محمد علیم فقد عاش في عهد زاه زاهر معاصرًا لعمالقة الأدب الحديث من أمثال الدكتور طه حسين والعقاد والتجمان يوسف بشير وبما أن الشقة بعدت بين هذا العصر والعصر الجاهلى فقد غابت فيه الألفاظ الغربية بحكم التحول البيئي .

^١ تمام المتنون صفحة ٢٧٩

^٢ لأبي الأسود الدؤلي ، ملحق (ديوان)

وعلى هذا فإن كلاً من الأديبين كان لاماً في عصره ومعطيات ذلك العصر وأثرها على أدبه . وعلى الرغم من تباين عصريهما إلا أنهما كانا متتشابهين في الأسلوب إلى حد كبير ربما قرب بينهما أنهما كانا يقرضان الشعر بل كانوا أدبيين محبين للأدب ، ولقد كان لإحساسهما بالجمال أثر كبير في رقة حسيهما ورقية ، وتحذيب نفسيهما ومداركههما الأمر الذي انعكس على أدبهما فصار المطلع عليه يحس فيه بإمتاع وسحر خاص.

المبحث الثالث

اللغة

من المؤكد أن اللغة ترتبط ارتباطاً قوياً بالبيئة. وأن العالم والكاتب والأديب جميعهم يستقون لغتهم من بيئتهم ، ومن واقعهم إذ أن الكلمة العربية عبارة عن رمز يأخذ مدلوله من الواقع ، فمثلاً إذا تأملنا شرح الإمام الجليل ابن عباس حبر الأمة للآيتين الكرمتين ^١"إذا الشمس كورت^٢ وإذا النجوم انكدرت" فهو يقول "أظلمت ، وغورت ، وذهب ضوءها وأن الله يكور الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة في البحر وأنها تتناثر من السماء وتسقط على الأرض" لقد كان هذا الشرح مقبولاً في تلك البيئة ، بل هو ما كانت تعطيه الحواس ، فالانسان يرى النجمة بعيدة الجردة في حجم العبة ، وأن ملايين النجوم يمكن أن تقع في البحر. ولكن ! عندما تطور العلم بفضل الله ، ثم بفضل وسائل التقنية الحديثة ، اتضح أن أصغر نجمة أكبر من الأرض !!! فإن تطور البيئة أدى إلى اختلاف الفهم ، ومصادقة لذلك اختلف مدلول الكلمة بحسب معطيات البيئة.

وللتدليل على اثر البيئة في فهم الإنسان وفي تصوره وخياله ، نسوق مثالاً بديهياً آخر ، فإذا قلت كلمة (جمل) لطفل في بادية الكبابيش ، فإن صوراً شتى تخطر على خياله ، كالجمل الأصهاب ، والجمل الأورق ، والجمل ذا السنامين ، وغير ذلك. أما أن قلت نفس الكلمة لطفل في مدينة الخرطوم ، فإن الصورة التي تخطر على باله لا تعدو أن تكون صورة جمل يحمل حطبًا ، أو صورة جمل يكون قد شاهده على شاشة التلفاز مثلاً. إذن فمدلول الكلمة رهين باليئة الواقع الذي يعيشة الإنسان.

وي يكن أن نستدل على اثر البيئة بالقصة المشهورة للشاعر العربي علي بن الجهم ، فإنه عندما جاء إلى المتوكل من الادية امتدحه بقوله:
أنت كالدللو لا عدتك دلواً **** من كثير العطايا قليل الذنب

^١ سورة التكوير آية ٢/١

^٢ لباب التأويل في معانى التنزيل - لأبي الحسن علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن - طبعة دار الكتب العلمية (ب . ت) ٦/١

أنت كالكلب في حفاظك للود *** وكالتيس في قراء الخطوب
فتضايق منه الحاضرون وهموا بقتله . الا أن الخليفة المتوكل طلب أن يخلوا سبيله لما
تosome فيه من ذكاء ، وما لمحه من تأثير بيته فيه . وطلب أن يقيم معهم في بغداد .
فلما أقام في المدينة بضع سنين قال الشعر الرقيق المتزن الذي يلائم الذوق الحضري
والبيئة الطارئة وذلك مثل قوله^١ :
عيون المها بين الرصافة والجسر *** جلين الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن*** سلوت' ولكن زدن جمراً على جمر
نستخلص من كل أولئك أن البيئة مؤثر قوى في لغة الأديب . فمثلاً نجد
أن عدياً بن زيد في الجاهلية ، يختلف عن زهير وطرفه في الذوق العام . وذلك
لطول مقام عدى في الحاضرة ، مما أكسبه رقة وسلامة ، لأنجذبها في زميليه لتأثير
البادية الخشن عليهما .. فإن الشاعر الذي يقيم في الخرطوم حيث مقرن النيلين
الأبيض والأزرق وحيث الخضراء والنضرة ، والجمال الأخاذ ، والطبيعة الملهمة ، والبيئة
المعطاءة ، لابد أن يكون لها الأثر الواضح ، البين ، في كل ما يكتب وينخط .
إن لغة الأديب تتأثر بالوسط الذي يعيش فيه وثقافته الشخصية . فإن
الأديب عندما يهم أن يصف مشهداً ما . أو أن يعلق عليه ، فإن الكلمات تختشد
في ذهنه ، وتتزاحم للخروج ، للتعبير عما يريد ، غير أنه وبما يملك من ذكاء ،
وحصافة ، يتخير الكلمة المناسبة للمقام المناسب فإنه لا يأبه باللفظ فقط ، إنما يأبه
بالمعنى والمدلول أيضاً . فهو يسمو ويسمق بفكرة ويحلق ليرى الكلمة (معناها
وبعدها) في ذهن القارئ وعلى هذا الأساس يستخرج كلماته ويختارها لتناسب ما
يرمى إليه من معنى في حكمة واقتدار . فاللغة قوالب للمعنى . والأديب المتميز هو
الذي يختار من قوالب اللغة ما يتافق والمعنى الذي ينشده ، فيتسم أسلوبه بالإعتدال
، لا وكس ولا شطط .

إن الأديب الجيد يكون واسع الفكر ، واسع الشعور ، عميق الإحساس ،
دقيق النظر ، دقيق التقدير والتعبير ، بعيد الملاحظة . وفوق هذا وذاك أن يكون
واسع الإطلاع ، عميق الثقافة ، ملماً بما كتب في عديد العصور والأزمان ، مدركاً

لعصره وثقافته وحاجته . ويمكن أن نقول في الكلمة لابد من أن يكون الأديب ثاقب الفكر دقيقة ، يميز بين الشعراً وفليقها أيهما أبيض وأيهما أسود . وهذا لعمري يحتاج لميزان حساس كميزان الذهب .

واللغة قد لا تسعف الأديب في كثير الأحيان ، على دقة التعبير عما يريد ، وهذا العجز ظاهرة ليست في اللغة وحدها ، إنما تكتنف العديد من مناحي الكون ، أو قل الوجود الحادث ، الذي لا يمكن أن يدرك بالحواس بصورة كاملة . فمثلاً هناك بعض الأصوات الغليظة تعجز عن سماعها طبلة الأذن لغلوظتها مثل صوت الأرض وهي تدور حول نفسها . كما أن بعض الأصوات الدقيقة تعجز آذاناً أيضاً عن سماعها لدققتها مثل دبيب النملة على الأرض . هذا العجز يصاحب الكلمة العربية فهناك من المعانى ما لا تستطيع الكلمة العربية حمله . هذا الأمر لا يقدح في ثراء اللغة العربية بمحاجم الكلمات والمترادفات والأضداد . إلا أنها تصيق أحياناً عن التعبير عما يعتمل في صدر الكاتب ، وعما يجيش بخيال الأديب فيستعين بالرمز والكلنائية والإشارة . يقول الجاحظ " إن الدلالة على المعانى لا تكون بالألفاظ وحدها بل بالكلنائية والإشارة " .^١ وخير دليل على ذلك خروج العديد من آيات القرآن الكريم من العبارة إلى الإشارة ، مستخدمة حرف المجرى العربي ، في استهلال العديد من السور القرآنية ، والمكية منها بصورة خاصة . وعلى سبيل المثال لا الحصر نسوق طرفاً من تلك الآيات الكريمات :

" ق والقرآن المجيد"^٢ " حم(١) والكتاب المبين(٢)"^٣ " ص والقرآن ذى الذكر"^٤
" طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين(٢)"^٥ " كهيعص"^٦

وقدرة اللغة العربية على احتمال الإشارة والإيماء والرمز ، هو الذى رشحها لتكون لغة لكتاب الله العظيم . يقول ^٧ عز الدين اسماعيل :-

^١ البيان والتبيين - الجاحظ - ج ١ صفحة ٤٩

^٢ آية (١) سورة ق

^٣ آية ٢-١ سورة الدخان

^٤ آية (١) سورة ص

^٥ آية ١-٢ سورة القصص

^٦ آية (١) سورة مریم

^٧ الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة - الطبعة الأولى ١٩٥٥ دار الفكر العربي صفحة (٣٢٧)

"اللغة كائن حي له كيانه ، وله شخصيته ، وليس أداة تعبيرية جامدة ."

"واللغة العربية بصورة خاصة لها قابلية التمدد والتطور ، واستيعاب المستجدات"

١ " هذا الموقف يبين لنا بوضوح كيف أن اللغة العربية تمتاز في طبيعتها بأن تقبل دخول العقليات المختلفة فيها شأن كل لغة حية. وحين يتقنها الجميع ، أهلها وغير أهلها ، وربما أتقنها هؤلاء الآخرون أكثر من أهلها. يكون هذا تأكيداً لفكرة أن اللغة ليست لغة جنس ، وأنها ظاهرة حضارية أكثر منها ظاهرة عقلية "

هذه الظاهرة التي تميز بها اللغة العربية ترشحها أن تكون لغة العالم في هذا العصر - عصر العلم والتقنيات – يقول د. أحمد أبو زيد:

٢ " ستكون الثورة الحقيقة في مجال المفاهيم والتصورات. أي أن العالم سوف يعطى اهتماماً أكبر لمسألة توضيح المقصود من "المعلومات" وتحديد معنى الكلمة بدقة وتبين المدف من المعلومات مما سوف يترتب عليه إعادة البحث في نوعية التقنيات التي يمكن أن تتولى إنجاز هذه التصورات الجديدة . وأن الإجابة على تلك التساؤلات حول المعنى والمدف والأولويات هي التي سوف تساعد على معرفة بل وتحديد المسارات التي يتحمل أن تسلكها هذه الثورة".

لقد فطن العديد من الأدباء لشراء اللغة العربية وقدرتها على التشكيل فأبدعوا في استغلالها أيما إبداع .

والأديب الحذق ، هو الذي يختار من ألفاظ اللغة ما يلائم الوسط الذي يعيش فيه ، وأفهام قارئه ، ولا يجده إلى الغلو والغرابة في غير مدعوة لذلك. يقول د. طه حسين ٣ " وكل ما يطلب إلى الأديب الا يكون أدبه معناً في الغرابة متعمداً للغموض ، والا يؤدي في ألفاظ وأساليب لا تعيش في هذه الأيام ، وإنما كانت تعيش في العصور القديمة بعيدة العهد. فلا ينبغي لمن يكتب الآن

١ نفس المصدر صفحة (٣٦٦).

٢ مجلة العربي العدد رقم ٥٣٩ شعبان ١٤٢٤ هـ أكتوبر تشرين أول ٢٠٠٣م صفحة (٢٤)

٣ خصام ونقد د. طه حسين - الطبعة الرابعة - دار العلم للملائين بيروت صفحة (٣٧)

أن يتكلّف مذهب ابن المقفع ، أو طریق الجاحظ أو اسلوب الحریری والبیدع
الحمدانی ، ولا ينبغي له أن يرهق الناس من أمرهم عسراً فيعرض عليهم الرجوع إلى
المعاجم في كل سطر".

وكما اسلفت فإن الأدیب بما يمتلك من ثقافة واسعة ، وسلامة في التعبير
، يمكن أن يستخدم الكلمات استخداماً أدبياً يخرجها عن طبيعتها المعهودة في
المجتمع. أما الأخفش الأوسط - سعيد بن مساعدة - فقد قال^١ " إن الشاعر يجوز
له في كلامه وشعره ما لا يجوز لغير الشاعر في كلامه ، لأن لسان الشاعر قد اعتاد
الضرائر فيجوز له ما لم يجز لغيره "

أما الأدیب عبد القاهر الجرجانی فقد ألح أكثر من غيره كما يقول ابراهيم
سلامة^٢ على (المزية) البلاغية واللغة الأدبية... مبيناً ضرورة الإضافة التي يضيفها
الأدیب على كلامه ، وضرورة الخروج بالألفاظ اللغوية عن مدلولاتها الأصلية حتى
تكون هناك لغة أدبية".

وفي ذات المعنى يقول الدكتور محمد زکى العشماوى " إن مهمة الأدیب
الناجح أن يعمل على تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ ، تلك الإرتباطات التي
يخلقها المجتمع ، وأن يخرج عن السياق المألوف إلى سياق لغوی مليء بالابحاث
الجديدة . وعنده يُستطيع أن يسمى مثل هذا الأدیب أدبياً ونستطيع أن نسمى
أدبه خلقاً ، ذلك لأنه بدأ بتحطيم الشكل المألوف العادي ، وبني على أنقاشه
شكلآ آخر ، شكلآ من صنعه ، من صنعه هو - يعتمد على علامات وتركيب
لغوية جديدة وحية^٣ .

بعد هذا الحديث عن اللغة وارتباطها بوسط الأدیب وثقافته نجيب على هذا
السؤال:

كيف جاءت لغة أدبيينا " الصفدي - وابن علیم " في الشرح الذي نحن
بصدده؟

^١ نظرية اللغة في النقد الأدبي د. عبد الحكيم راضى - كلية الآداب جامعة القاهرة الناشر مكتبة الخانجي
بمصر صفحة (٤٨)

^٢ نفس المصدر صفحة (٣٣)

^٣ قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د. محمد زکى العشماوى صفحة (١٦)

اذا نظرنا إلى لغة الأديب الصفدي نجد أنها رصينة كل الرصانة. وأنه يحلق بنا في سماء الأدب قديمه وحديثه ليستقى منه ما يؤكّد المعنى الذي يريد مقتطعاً من عيون الشعر ما يدعم به رأيه ، ويشد أزره . فهو يلبس اللغة أفكاره فتجيء صادقة قوية فمثلاً عند شرحه لقول ابن زيدون " فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به ". يبادر الأديب الصفدي كدیدنه بشرح المسائل التحويية واللغوية فيقول ^١: " هذه الفاء جواب الشرط في قوله أول الرسالة " إن سلبتني ... " وما بعد ، من الجمل ، بعد ما نظر الأعمى إلى تأملي لك ، فلا غرو ، أى فلا بعد ولا عجب قد يغص بالماء شاربه . وهذه " قد" التي تدخل على الجمل للتقليل مثل: قد يكتبوا الجواب ، وقد ينبو الحسام ، وقد يصدق الكذوب ، وقد يدخل الجواب. جاء في كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى : ر بما شرق شارب الماء قبل ريه .

وقال الشاعر:

من غص داوی بشرب الماء غصته *** فكيف يصنع من قد غص بالماء
وقال الآخر:
إلى الماء يسعى من يغص بأكله *** فقل : أين يسعى من يغص بهاء

يتضح لنا من هذا الشرح الجهد الكبير الذي يبذله الأديب الصفدي لتوضيح المعنى الذي يريد والعناية الكبيرة باللغة والعمل على تبسيطها لتغدو مفهومه فهو لا يدع معنى قيل في المناسبة إلا ويستشهد به مما يدل على إلمامه الواسع بجوانب الموضوع بالإضافة إلى سعة ثقافته ومعرفته وبيدو لي أن هذا الإتجاه الذي يسلكه الأديب الصفدي هو التوظيف الصحيح للكلمة العربية. أن يحاول الأديب جاهداً انتقاء الكلمة المعبرة عن المعنى في ذهنه . وفي كثير من الأحيان، يلجأ الأديب الصفدي إلى الشعر ، فهو ثري في هذا المجال ، نجده يستشهد برصين الشعر للعديد من الشعراء كما أنه يستشهد أيضاً بشعره الخاص ولعل من المفيد أن نذكر مثلاً يدعم هذا الأمر . يقول الأديب الصفدي عند شرح قول ابن زيدون^٢
وقوله:

وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطي حكم الصبي على أهله
وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل
” ضوحك قبل إنزال رحله ، إشارة إلى قول عمرو بن الأهتم المنقري ، والذى
أعرفه من هذا البيت أنه :

فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً *** فهذا مبيت صالح ” وصديقه
وقوله ” ضوحك قبل إنزال رحله ” من قول عمرو بن الأهتم - وقيل لخاتم الطائى:
أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله *** ويخضب عندى والزمان ’ جديب ’
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى *** ولكنما وجه ’ الكريم خصيب ’
 كانوا يعدون تلقى الأضياف بالبشر وتحلل الوجه وإظهار السرور به من
كمال مروءتهم ، ولهذا قال:
 بشاشة وجه الماء خير ” من القرى *** فكيف إذا أهدى القرى وهو ضاحك!
 وقال الغزى:

يا بنت من يقرى الضيوف تبسمى *** إن التبسم من قرى الأضياف
وقال أبو تمام الطائى:
 فتطلق مع العناية إن البشر في أكثر الأمور بشير ’
 إنما البشر ’ روضة ” فإذا كان بيذلٍ فروضة وغدير ’
 وقال أبو الأسود:

إذا ما اتاه السائلون توقدت *** عليه مصابيح الطلقة والبشر

وقال أبو تمام الطائى:
يعطى عطاء المحسن الخصل الندى *** عفوا ، ويعذر اعتذار المذنب
ومرحبا بالزائرين وبشره *** يعنيك عن أهل لديه ومرحب
وقال أيضاً:
إذا أمه العافون ألفوا حياضه *** ملاء وألفوا روضه غير مجده
إذا قال أهلاً مرحبا نبعث لهم *** مياه ’ الندى من تحت أهلٍ ومرحب
يواصل الأديب الصدقى فيقول:

وقد ضمنت أنا صدر ذلك البيت في المجنون ، فقلت:

وجارية تلهى النسم إذا علا *** عليها بطول الدهر في حال فعله
 تقول كذا لى عادة مستمرة *** أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله
 والأديب الصفدى يعطى اللغة حقها وافياً ويسعى إلى توضيح مرامى الكلمة
 كما أنه يذهب إلى مدى أبعد من مجرد المعنى محاولاً أن يدرك الحكمة من
 استخدام الكلمة فهو عند حديثه عن الشفاعة يقول^١ " وفي هذه الآية الكريمة
 سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : " في الشفاعة الحسنة نصيب" ، وفي
 الشفاعة السيئة كفل منها " فاجواب : أن النصيب الحظ ، والكفل مشتق من قولك
 : كفلت' البعير إذا ردت على سمامهكساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل
 جانباً من ظهره لأنك تحمى سمام البعير بالكساء الذى وضعته عليه من الآفة دون
 باقى ظهره ، ويحمى الراكب بدنه بذلك ، ومنه قيل للضامن : كفيل ، لأنه يعتمد
 عليه ، فكان الكفيل ذخيرته التي يعتمد عليها ، فجاء الكفيل في الشفاعة السيئة
 بهذا اللفظ ، لأن الشافع قد ادخر ما يعتمد عليه في يوم القيمة. وهذا الكلام قد
 خرج مخرج التهكم ، كقوله تعالى : " فبشرهم بعذاب أليم "^٢ والمقصود أن
 الشفاعة الحسنة للشافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقاها عظيم ، وزورها كبير ،
 فهي مغلظة الأمر بخلاف غيرها."

ونختم حديثنا عن الأديب الصفدى ولغته في شرح رسالة ابن زيدون بأن
 نؤكد أنه يحرص كل الحرص على توضيح وشرح المفردات الصعبه حتى تغدو
 جلية واضحة للقارئ ثم إنه يعزز شرحه بعبارات سهلة تجعله يستجلی جميع مناحي
 الموضوع وشد ما يروقني في شرحه اهتمامه الكبير بالشعر وإيراد العديد من الأبيات
 الشعرية لتأكيد المعانى التي ينشدھا وتدعيمها ولعل من المفيد أن نورد طائفة من
 تلك الأبيات فهو عند التعقيب شرحه لعبارة ابن زيدون " واستأنف التأدب بأدبك
 ، والاحتمال على مذهبك"

^١ تمام المتنون صفحة ٣٥٩
 سورة التوبه (٣٤)

يقول بعد شرح معانى المفردات^١ " وقال ابن المعتر : الأدب صورة العقل ، فحسن عقلك كيف شئت .
وقال أبو العتاهية :

ولم أر فضلاً تم إلّا بشيمٍ *** ولم أر عقلاً تم إلّا على أدب
وقوله : " واستأنف التأدب " بأدبك " ، يعني أتوب عمّا كنت ' مرتکبه من الطريق
الأولى ، فأرجع عنها ، وأخذ الآن بأدبك ، وأسلك طريقك ، وأخذو حذوك .
وما أحسن قول الأول :

إن تهمى فتهامة" وطنى*** أو تنجدى يكن الهوى بحد
وقول الآخر :

فإن تدعى بحداً ندعه ومن به *** وإن تسكنى بحداً فياحبذا نجد'
وقول يزيد بن معاوية:
فإن تسلمى تسلم وإن تنصرى *** يحط رجال" بين أعينهم صلبا
وقال ابن المعلم:

أختيّمون على الحجاز فنعتدى *** أم عائدون إلى الحمى فنعود'
نحوى لأجلكم الحجيج وما بنا *** لولاكم نسك" ولا تزهيد '
ويشوقنا أرج' الحجاز وذكره *** الدانى ومرربع الحجاز بعيد'
وقوله : " والاحتمال على مذهبك " . يعني: ألزم نفسى باتباعك ، والأخذ
بمذهبك تقليداً ، ولا أنظر في تعليل ما تأتيه وما تذرره
وما أحسن قول الأول :

فلو قلت طأ في النار أعلم أنه *** رضاً لك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت' رجلى نحوها ووطئتها *** هدى منك لي أو ضلة من ضلالك
لئن ساءنى أن نلتني بمساءة *** لقد سرّنى أنى خطرت' ببالك
ثم نعرج على الأديب ابوبكر محمد عليم لنتحدث عن لغته ، في البدء لابد
أن نشير إلى أنه يعني باللغة عنایة فائقة ، ويرکز عليها تركيزاً كبيراً ، فهو كاتب
رقيق الكلمة ، مشرق الأسلوب ، عميق الفهم ، واسع الثقافة ، حلو العبارة . وهو

أيضاً ينهج نهج رصيفه الأديب الصفدي إذ أنه يتدر الشرح بالحديث عن معانى المفردات ، ثم يربط ذلك بقواعد النحو كلما كان ذلك ضرورياً مستشهاداً بما يناسب المقام من الشعر والأمثال فهو يقول عند شرح عبارة ابن زيدون^١ المتن " وأنفع الحيا ما صادف جدباً وألذ الشراب ما أصاب غليلاً" (الشرح): هذه الجملة في معنى ما قبلها والحياة مقصور المطر والجدب خلاف الخصب والغيل من الغلة وهو العطش ولالمعنى وأنفع المطر ما أصاب أرضاً جدبة فابتتها وأحلى الماء ما واق ظمان فأرواه قال الشاعر:

هذا الشراب أخو الحياة وما له *** من لذة حتى يصيب غليلا
وكفى بذلك عما يناله من عذاب السجن وصغاره وأن الإفراج عنه وإن تأخر عليه
يقع منه حياة الأرض الميته بالمطر والعطشان بالماء البارد وهى أمثال ضربها لتحسين
في عين مولاه فيستميل بها رضاه ول المعنى كل قضاء قضيته على حلو مقبول حسن
العقوبة.

(المتن) (ومع اليوم غدٍ ولكل أجل كتاب)

(الشرح) نصف الجملة مأخوذ من المثل أن مع اليوم غداً يا مساعدة يضرب في تنقل الدول على مر الأيام ذكره الميداني ونصفها الثاني لفظ الكتاب العزيز (وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب) وجاء في المثل أيضاً. لكل حيّ أجل والمثلان فيما تسليه لنفسه بالصبر على المكاره. ول المعنى سيعقب يومى غده بسرور رضاك على وأن ما لحقني من العذاب فإنما هو مقدر على في الأزل.

لغة الأديب عليم جزلة ، تناسب كلماته في تتبع لتبني الفكرة التي ينشدتها ، في عفوية وصدق ، فتبرز مراميه من وراء عبارته ، وتحلى أهدافه من خلف كلماته ، وهو في كل ذلك يعظر أفكاره بروائع التشبيهات وبدائع الحسنات ، فتنداح في نظم نضيد ، وتألف وإنسجام ، يأخذ القارئ وييهره بحلو الحديث ، وسعة الأفق ، ودقة الفكر اسمعه يقول في مقدمة كتابه عن الأدب^٢ " الأدب يرحمك الله حلية الفضل ونيرأس العقل وينبوع الكمال وذروة الشرف والنبل به ترتفع

^١ الدر المخزون صفحة ٨٤

^٢ الدر المخزون ص (٣)

الأقدار الخاملة وستنزل عصم القرائح النافره وناهيك أنه سحر حلال وروضة محال
يتنقل المرء فيه بين رقيق من الشعر كماء الحياة للأرواح ونشر كنشر الكباء في
الغدو والروح وللناس فيما يعشقون من النوعين مذاهب ومسارب ولهم في مرعى
وادييه قطعان ومسارب وكلاهما غذاء للنفوس وشراب أحلى من ريق المدامه في
"الكؤوس"

يستهل الأديب عليم مقدمته بحديث عن الأدب نثره ونظمه ، والأدب بيت
القصيد الذى يوجه الأدباء إليه سهامهم ، والكعبه التى ييممون شطرها ، وعلى
قدر حظوظهم منه تجلى مقاماتهم ، وتتضح هاماتهم، فلذلك جاءت لغته في
ال الحديث عن الأدب رصينة ، وعبارةه رقيقة ، ذات تصوير دقيق ، وأسلوب رشيق ،
وخيال رائع ، أحكمه بسجع مبسط ، وحلاه بفهم عميق ، رفع به قدر الأدب
، وأبان أثره في رفع أقدار الرجال أو الحط منها . وأن الأجساد مثلما تبني وتنمو
بالغذاء الحسى فإن العقول والنفوس تبني وتنمو بالغذاء المعنوی وهو الآداب وهى
أحلى من الخمر المعتقه كما يقول أديبنا ابن عليم .

ثم يواصل الأديب عليم حديثه عن بلاد النوبة بالسودان فهو تحت تأثير
المرض وألمه وتحت معاناه الغربة ووحشتها قد ظلم تلك البلاد إذ يقول ^١ " دعني
صروف الزمان الى الخدمة في البلاد الجنوبيه من جبال النوبة بالسودان مرغماً
بضرورة المعيشة فلم يمهلني ذلك البلد المشئوم لرداءة مناخه إلا قليلاً حتى ألقاني في
أحضان صخوره عليلاً أسمع نعيي الغربان وانظر أشخاص الغيلان في زى الإنسان
فأعتورنى الهموم وتكاثفت على غيوم الغموم لفرق الأهل والولد وعدم النصير و
العهد " نلمح في لغة الأديب عليم السلاسة في العبارة ، ومواصلة تزيينها بالسجع
، والدقة في تصوير حاله وما يعانيه وإن كنت آخذ عليه تأثير ذلك في حقائق
الأشياء فمعلوم أن بلاد النوبة تقع تحت نطاق مناخ السافانا وهو مناخ طيب من
جميع الوجوه إلا أن تأثير العلة والغربة وفرق الأهل والولد قد غيب الحقيقة عن
أديبنا بل لونها بلون المرض أكثر من ذلك انتقل سخطه من المرض الى البلاد ولقد
صدق القائل ^٢ :

^١ نفس المصدر ص (٣)

^٢ عبد الله بن معاوية

وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** كما أن عين السخط تبدى المساوايا ولعل حمى الملاريا التى أصابته نقلت مرارة مذاقه لطعم الأشياء على البيئة من حوله وقد صدق أيضاً من يقول ^١

ومن يك ذافم مر مريض *** يجد مرأ به الماء الزلالا

تعلمنا من تجاربنا في الحياة أن المعاناة والمقاساة تأتى بنتائج خيره دائمًا فقد جاء في معنى الحديث النبوى أن الشوكه تشوک المسلم تخفف عنه من عذاب يوم القيمة وأن الابتلاءات إنما هي نعمة في ثوب نقمته لسوق العبد الى رب فقد قال تعالى ^٢ " ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً " وأن الحكمة من البلاء خير وقد جاء في حكم الشيخ ابن عطاء الله السكندرى قوله ^٣ (من لم يقبل على الله بمخالفات الإحسان قيد إليه بسلسل الإمتحان).

وأن معاناة أديينا الكبير ابن عليم جعلته يلتفت الى القراءة حتى ظفر برسالة ابن زيدون فأثارت اهتمامه ، وأخذته من كل أقطاره ، حتى عزم على شرحها فجاء شرحه غاية في الروعة والإبداع الاّ ترى أن الحمى قد أتاحت له هذه الفرصة ؟ وأن الحكمة من مرضه كانت خيراً له ؟
اكتفى بهذا القدر في هذا المضمار.

^١ المتنى

^٢ سورة النساء آية (١٤٧)

^٣ حكم ابن عطاء الله - شرح العارف بالله الشيخ أحمد رزق - صفحة (١٤٤)

المبحث الرابع

الموضوعات

قسم كل من ابن قتيبة وابن عبد ربه كتابيهما "عيون الأخبار" و "العقد الفريد" إلى موضوعات رئيسية . بينما لم يقسم كل من الصفدي وابن علیم شرحهما إلى موضوعات رئيسية أو أبواب . وإنما جعلا الرسالة موضوعاً واحداً تنوّعت مجالات الحديث فيه وفق ما تطرق له الرسالة من موضوعات دون تبويب أو تصنیف لها الأمر الذي جعل إثبات نص الرسالة في هذا البحث ضرورة قصوى ثم التعليق والحديث عما تناولت من مواضيع.

نَبِيُّ سَلَّمَ أَيْنَ زِيَّوَاتُهُ

كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور^١:

يا مولاى وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به . من
أبقاه الله تعالى ماضى حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهد النعمة. ان
سلبتنى أعزك الله لباس إنعمتك ، وعطلتنى من حلى إيناسك ، وأظمأتنى الى برود
إسعافك ، ونفخت بي كف حياطتك، وغضبت عنى طرف حمايتك ، بعد أن
نظر الأعمى إلى تأملى لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ، وأحس الجماد
باستحمدادى إليك ، فلا غزو ، قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل' الدواء المستشفى
به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية' المتمنى في أمنيته ، والحين' قد يسبق
حرص الحريص.

كل المصائب قد تمر على الفتى و تكون 'غير شماتة الأعداء وإن لأتجحد ، وأرى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضيع ، فأقول: هل أنا الا يد أدماها سوارها ، وجبين عضّ به إكليله ، ومشرف الصقه بالأرض صاقله ، وسمهرى عرضه على النار مثقفة ، وعبد ذهب به سيله مذهب الذي يقول:

١ تمام المدون صفة (٢٢ - ٢٩)

فقسوا ليزدجروا ومن يك حازما فليقيس أحياناً على من يرحم
 هذا العتب محمود عوقيه ، وهذه النبوة غمرة ثم تجلى ، وهذه النكبة
 سحابةٌ صيف عن قليل تقشع . ولن يربني من سيدي أن أبطأ سبيه ، أو تأخر
 غير ضنين غناوه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأقتل السحاب شيئاً أخلفها ،
 وأنفع الحيا ما صادف جديا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلا ، ومع اليوم غد ” ،
 وكل أجل كتاب ، له الحمد على اهتماله ، ولا عتب عليه في إغفاله.
 فإن يكن الفعلُ الذي ساء واحداً فأفعاله الالاتي سررن ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت
 من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه طولك ، والتحامل الذي لم يف
 به احتمالك ، ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدل ! أو مسيئاً فأين الفضل !
 إلاً يكن ذنب ” فعدلك واسع ” أو كان لي ذنب ” ففضلك أوسع
 حنانيك ! قد بلغ السيل الزبى ، ونالنى ما حسبي به وكفى . وما أرانى إلا لو أنى
 أمرت بالسجود لآدم فأييت واستكبرت ، وقال لي نوح : (اركب معنا) ، فقلت :
 (ساوي إلى جبل يعصمنى من الماء) ، وأمرت ببناء صرح لعلى أطلع إلى إله
 موسى ، وعكتفتُ على العجل ، واعتدت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ،
 وشربت من النهر الذى ابتلى به جيوش طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة ،
 وعاهدت قريشاً على ما فى الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت إلى
 العير بيدر ، وانخذلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني
 قريظة ، وجئت بالإفك على عائشة الصديقة ، وأنفت من إمارة أسامة ،
 وزعمت أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، ومن أدلة القرآن على خلافة أبي بكر ،
 ورويت رمحى من كتبية خالد ، ومزقت الأديم الذى باركت يد الله عليه ،
 وضحيت بالأسمط الذى عنوان السجود به ، وبذلت لقطام :

ثلاثة آلاف وعبدًا وقينة وضرب على بالحسام المسمّم
 وكتبت إلى عمر بن سعد: أن جمعع بالحسين ، وتمثلت عندما بلغنى من
 وقعة الحرّة:

ليت أشياخى بيدر علموا جزع الخزرج من وقع الأسل

ورجمتُ الكعبة ، وصلبتُ العائد على الشنيه - لكن فيما جرى على ما يحتمل أن يسمى نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقاباً.
وحسبك من حادثٍ بأمرئ ترى حاسديه له راحمينا
فكيف ولا ذنب إلا نمية أهدتها كاشح" ، ونبأ جاءَ به فاسق ، وهم
المّازون المشاعون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ، والغواة
الذين لا يتزكون أديما صحيحا ، والسعادة الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس ، فقال :
ما ظنك بقوم الصدق محمود" إلا منهم !

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً
وليس وراء الله للمرء مذهبُ
ووالله ما غشستك بعد النصيحة ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصّاغية ، ولا
نصبتك لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت بأساً منك مع ضماني تكلفتْ به الثقه
عنك ، وعهدِ أخذه حسن الظن عليك ، ففيه عبث الجفاء بأذمتي ، وعاث
العقوف في مواتي ، وتمكن الضياع من وسائلى ! ولم ضاقت مذاهبي ، وأكدتْ
مطالبي ! وعلام رضيتُ من المركب بالتعليق ، بل من الغنية بالإياب ! وأنى
غلبني المغلب ، وفخر على العاجزُ الضعيف ، ولطمتنى غيرُ ذات سوار ! ومالك
لم تمنع مني قبل أن أفترس ، وتدركنى لما أمزق ! أم كيف لا تضرم جوانحُ
الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك ، وتقطع انفاس النظر منافسة في الكرامة
عليك ، وقد زانى اسم خدمك ، وزعانى وسم نعمتك ، أبليت البلاء الجميل في
سماطك ، وقمتُ المقامَ الحمود على بساطك.

أليستُ المولى فيك غرّ قصائدِ

هي الأنجامُ اقتادتْ مع الليل أنجها
ثناء يظن الروضُ منه متوراً ضحىً ، وي الحال الوشى فيه من مما

وهل لبس الصباحُ الا بردًا طرته بفضائلك ، وتكللت الجوزاء إلا عقداً فصلته
بمازرك ، واستملى الريبعُ إلا ثناء ملائته من محاسنك ، وبث المسكُ إلا حديثاً
أذعته في محامدك ! ما يوم حليمة بسر.

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى
مصارع مظلوم : مجرأً ومسحباً
وتدفن منه الصالحات، وإن يسى
يكنْ - ما أساء - النار في رأس كبكبا

جناـب قـبول :
لـعارف ”بـأن الأـدب الـوطـن“ لا يـخـشـى فـرـاقـه ، والـخلـط لـا يـتـوقـع زـيـالـه ،
وـالـنـسـيـب لـا يـجـفـى ، وـالـجـمـال لـا يـخـفـى . ثـم مـا قـرـان ”الـسـعـد لـلـكـواـكـب أـبـهـى أـثـرـا ، وـلـا
أـسـنـى خـطـرا ، من اـقـترـان غـنـى النـفـس بـه ، وـانتـظـامـها نـسـقاً مـعـه ، فـإـنـ الـحـائـز لـهـما ،
الـضـارـب بـسـهـمـا - وـقـلـيل“ مـاهـم - أـيـنـما تـوجه وـرـدـ منـهـلـ بـرـ ، وـخـطـ في

وضوحك قبل إنزال رحله وأعطي حكم الصبي على أهله.
وقيل له : أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت " صالح " ومقيل '

غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مأله ، واللبيب يحنّ إلى وطنه ، حنين
النجيب إلى عطنه ، والكرم لا يجفو أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيها
مراضعه قال الأول:

أَحَبُّ بِلَادَ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعِجٍ إِلَى وَسْلَمٍ أَنْ يَصُوبَ سَحَابَاهَا
بِلَادٌ بِهَا عَقَّ الشَّيْبَابُ تَمَائِمِي وَأَوْلُ أَرْضٍ مِّنْ جَلْدِي تَرَاهَا

هذا الى مغالاتى لعقد جوارك ، ومنافستى بلحظة من قربك ، واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع ، والغنى من سوك عناء ، وكل الصيد في حوف الفرأ ، والبدل منك أعور ، والعوض لفأء.

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى ضنًا به نظرى إلى الأمراء
وفي كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار . فما هذه البراءة من يتولاك ،
والليل عمن لا يميل عنك ! وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه
للك !

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجدانا كل شئ بعدكم عدم
أعىذك ونفسى من أن أشيم خلبا ، واستمطر جهاماً ، وأكدم في غير
مكدم ، وأشكو شکوى الجريح الى العقban والرّحم ، فما أبسىت لك الا لتمر ،
وحركت لك الحوار الا لthren ، وما نبهتك الا لأنام وما سرت' إلا لأحمد السرى
لديك . وإنك متى سنيت عقد أمرى تيسير.

ومتى أعدرت في فك اسرى لم يتعدر ، وعلمك محيط ” بـأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه - تعود - به صدقة.

وإذا أمرؤ أهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله
على أن القى العصا بذراك ، ويستقر بي النوى في ظلك ، وأستانف
التآدب بأدبك والاحتمال على مذهبك ، فلا يوجد للحاسد مجال لحظة ، ولا أدع
للقادح مساغ لفظة ، والله ميسرك من اطلابي بهذه الطلبة ، وإشكائى من هذه
الشکوى ، بصناعة تصيب منها مكان المصنع ، وتسودعها أحفظ مستودع ،
حسبما أنت خليلق له ، وأنا منك حرى به ، وذلك بيده ، وهين عليه.

ولما توالى غرر هذا النثر واتسقت درره ، فهَّزَ عطف غلوائه ، وجرَّ ذيل
خيالاته ، عارضه بالنظم مباهيا ، بل كابده مداهيا ، حين أشفق أن يستعطفك
استعطافه ، وتميل بنفسك ألطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائده له ،
فما زال يستكدر الذهن العليل ، والخاطر الكليل ، حتى زف اليك عروساً مجلوة في
أثوابها ، منصوصة بخليتها وملابسها ، وهي^١ :

^١ دیوان ابن زیدون - حققه و شرحه حنا الفاخوری - دار الجیا - بیروت صفحه ٥٤

والمنى في هبوب ذاك النسيم
 لو يدوم السرور للمستديم
 زمن ما ذمامه بالذميم
 ومزاج الوصال من تسنيم
 نشوان من سلاف النعيم
 لم يطل عهدٌ جيده بالتميم
 سرى البدر في الظلام البهيم
 الطيب الى حس كاشع بالنعيم
 ليس يومى بوحد من ظلوم
 هما يكسفان دون النجوم
 بالتصاب العظيم نحو العظيم
 في السرو واللباب الصميم
 فكان المخصوص وفق العموم
 واكتفى جاهلٌ " بعلم العليم
 خلق بارع وخلق وسيم
 والعصا بدء قرعها للحليم
 في العنق منه والتطهيم
 منه بعد المضاء والتصميم
 ناهيك من عذاب اليم
 نكأت بالكلوم قرح الكلوم
 أنس يغى ببرء السقىم
 لظاها ، فأصبحت كالصرىم
 وسلاماً كنار ابراهيم
 الحيا للرياح لا للغيوم
 مثابي الى الهمام الزعيم
 وهو ثبت المقام ماضى العزيم
 ويعقى بقاء عهد الكريم

الهوى في طلوع تلك النجوم
 سرنا عيشنا الرفيق الحواشى
 وطر ما انقضى الى أن تقضى
 اذ ختامٌ الرضا المسوغ مسك
 وغريب الدلال غضّ جنى الصبوة
 طلما نافر الهوى منه غر
 زار مستخفيا ، وهيهات أن يخفي
 فوشى الخلى اذ مشى ، وهفا
 أيها المؤذن بظلم الليلى
 قمر الأفق ان تأملت والشمس
 وهو الدهر ليس ينفك ينجو
 بِوَالله جهوراً اشرف السود
 واحدٌ " سلم الجميع له الأمر
 قلد الغمرُ ذا التجارب فيه،
 خطر يقتضى الكمال بنوعى
 ايهاذا الوزير ها أنا اشكو
 ما عنانا أن يأنف السابق المربط
 وبقاء الحسام في الجفن يثنى
 أقصبر مئين خمساً من الأيام
 ومعنى من الضنى بھنات
 سقمٌ " لا أعاد فيه وفي العائد
 نار بغضى سرى الى جنة الأمن
 بأبي أنت إن تشاء لك برداً
 للشفيع الشاء والحمدُ في صوب
 وزعيم بأن يذلل لي الصعب
 أمل ، يرغم الحتفاء إليه،
 ووداد ، يغير الدهر ما شاء

عن شوقه ولهو المقيم
 فهو ريحانة الجليس ولا فخر
 لم تزل مغضيًّا على هفوة الجان،
 ومتي نبدأ الصناعة يولعك
 هاكها أعزك الله يسيطرها الأمل ، ويقضمها الخجل ، لها ذنب التقصير ،
 وحرمة الإخلاص ، فهب ذنبًا لحرمة ، واسفع نعمة بنعمة ، ليتأتى لك الإحسان
 من جهاته ، وتسلك إلى الفضل طرقاته ، إن شاء الله تعالى.
 هذه الرسالة الزيبدونية بحملتها نثرا ونظمًا ، منقوله من خط ابن ظافر رحمه
 الله تعالى.^١

لقد احتشد شرح الإمام الصفدي بالقصص والحكايات التاريخية من فاطميين
 وترك وماليك وغير ذلك. مثل قصة التركى الذى قتل المتوكل ، ومقتل الملك الأجد
 بهرام شاه على يد غلامه ، ومقتل الأشرف خليل بن قلاوون على يد مملوكه . كما
 ذخر بالأشعار المستفيضة فحوى آلاف الأبيات الشعرية من عيون الشعر العربى ،
 ومن مختلف العصور كالعصر الجاهلى والإسلامى والأموى والعباسى والعصر الحديث .
 كما حفل بالكثير من تراجم مشاهير الشعراء في مختلف العصور. كذلك اهتم
 بالأمثال العربية إذ ذخر بما يقارب الأربعين مثلاً ، وسرد الكثير من حكاياتها وما
 يستفاد منها من دروس وعبر. كذلك تطرق للقصص الدينى كقصة نوح عليه
 السلام وقصة فرعون وصالح عليه السلام وأصحاب الفيل وتطرق للعديد من المعارك
 الإسلامية كبدر وأحد وغيرهما . كما تناول حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه بتفصيل وافٍ واستعرض الكثير من الرسائل والآيات القرآنية بالشرح
 والتعليق فجاء شرحه موسوعياً لكثرة ما تناوله من موضوعات في شتى ضروب الحياة
 من تاريخ وأدب وعلوم وفنون وغير ذلك. كما جاءت موضوعات ابن علیم شبيهة
 في مجملها بموضوعات الإمام الصفدي فتنوعت هي الأخرى لتشمل سير العديد من
 الأنبياء الكرام كادم ونوح وموسى عليهم السلام كما تعرضت بإسهاب وتفصيل
 للسيرة النبوية والغزوات وتطرق لأخبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى
 وخالد بن الوليد والحسن والحسين وغيرهم وأخبار الخوارج والشيعة ومعتقداتهم . كما

شملت أخبار الحجاج بن يوسف والأحنف بن قيس وحاتم الطائي. كذلك تعرضت للعديد من الآيات القرآنية وأحكامها وأسباب نزولها ولأخبار الكثيرين من الشعراء في مختلف العصور كامرئ القيس وعنترة والنابغة الذياني وغيرهم وللعديد من الأمثال العربية مناسباتها وحكاياتها. وما قيل في حب الوطن والإغتراب كما ضم الشرح كماً هائلاً من الأبيات الشعرية في مختلف ضروب الشعر وعصوره حتى غدا الكتاب موسوعة حفلت بالأداب والعلوم والفنون.

الكتابان متقاربان في الحجم وعدد الصفحات فكلاهما من البنط المتوسط حوى تمام المتون أربعينه وخمس عشرة صفحة بينما حوى الدر المخزون ثلاثمائة وثمان وتسعون صفحة.

ومقارنة بين هذين الشرحين نجد أن شرح الصفدي أقدم وأسبق وأن له فضيلة أخرى هي احتواه على فصل في نقد الإمام الصفدي لرسالة ابن زيدون كما به فصل أورد فيه رسالة محي الدين بن عبد الظاهر وهي الرسالة التي كتبها إلى الأمير ناصر الدين حسن بن شاور الكنانى المعروف بابن النقيب ولقد أوردها لتأثير الكاتب فيها بابن زيدون.

بينما احتوى شرح ابن عليم على تقاريظ وتعليقات على شرحه من جانب العديد من وجهاء السودان من أصدقائه وعارفه.

الشرحان وموضوعاتهما واحدة يستظل بها القارئ فيمتع نفسه بضروب من الفنون والآداب التي لا غنى عنها فجدير بالمرء أن يطالعها ففيها من كل نوع قطرة ومن كل روض زهرة.

المبحث الخامس

تقييم عام للشريحتين

لا غرو أن الأديبين الكبيرين الصفدي وابن علیم اللذین قاما بشرح رسالۃ ابن زیدون الجدیدة قد أبّرزا الرسالۃ وسکبا علیها من البهار ما زادها عطراً على عطراها ، وشهرة على شهرتها . أعنانهما على ذلك ما يتمتعان به من سعة في الخيال ، ومضاء في التفكير ، وغزارۃ في المعلومات ، وسلامة في الأسلوب ودقّة في التعبير .

فما معنى النقد في اللغة وفي اصطلاح الأديبين؟

جاء في لسان العرب:

النقد والتنقاد والإنتقاد تمييز الدرارهم وإخراج الزيف منها أنسد سبویه:
تنفى يداها الحصى في كل هاجرة *** نفي الدرارهم تنقاد الصياريف^١
ونقدت الدرارهم وانتقدتها أخرجت منها الزيف فهذا المعنى اللغوي *
الأول : يشير إلى أن المراد بالنقد التمييز بين الجيد والرديء من الدرارهم والدنانير ،
وهذا يكون عن خبرة وفهم موازنة ثم حكم سديد.

وفي اصطلاح الأديبين فإن النقد هو الفحص والموازنة والتمييز والحكم.
ليس النقد الأدبي أن أبدى رأياً فطيراً فحاً في عمل هذين الأديبين كأن
أقول: "إن شرحهما جميل أو ردئ". إنما النقد هو التحليل والتوضيح والموازنة في
جوانب الإبداع والجمال في الشريحتين ، واستجلاء جوانب القصور - ان وجدت - .
في دقة موضوعية وهو العمل الذي ظللت أزاوله وأنا أسير بين شعاب هذين
الشريحتين البديعين.

يقول الدكتور أحمد شايب^٢ "فالنقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها
وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها
يجرى هذا في الحسنيات والمعنويات وفي العلوم والفنون وفي كل شئ متصل بالحياة

^١ انظر لسان العرب ج ٦ صفحة ٤٥١٧

إن العمل الأدبي لا يكمن في العبارات المنتقة أو الكلمات المتراءضة بالغاً ما بلغت من البلاغة والبيان. إنما هو العاطفة الجياشة الصادقة عندما ييلورها الأديب في تعبير جيد ، سلس ، آخاذ . فتحلق بالقارئ في دنيا الأديب وتبعده عن مؤثرات الزمان والمكان فيعيش في متعة وترقب وهو ما ظل الأديان يأسرنا به في شرحهما . وقد جاء شرحاهما من الأدب العالى الذى يقول عنه الأستاذ معاوية نور^٢ " الأدب العالى يحتوى على عناصر أربعة ، يجتمع كلها أو بعضها لتكون القطعة الأدبية ، وهذه العناصر هى كما قلنا سابقاً العاطفة والفكر والخيال وال قالب ".^٣

فهل يا ترى وفق الأديان في ذلك؟ نعم . ونعم كramaة . أما بالنسبة للخيال فقد ارتادا آفاقاً رحبة. فمثلاً عند شرح الصفدى لعبارة ابن زيدون^٤ -٥٠ وقوله : وكتبت إلى عمر بن سعد أن جمع حسین ". انظر إلى خيال الأديب الصفدى الناضج . كيف تمكن من أن يرسم الصورة حية ، ناضجة ، بلية الأثر في نفس قارئها . انظر إلى قوله عند الشرح^٥ لما أتى يزيد براس الحسين ، تناوله بقضيب . فكشف عن ثيابه ، فو الله ما البرد بأبرد من ثيابه ، ثم قال: نفلق هاماً من رجالِ أعزَّةٍ*** علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمَماً فقال رجل كان عنده : يا هذا ارفع قضيتك ، فو الله لربما رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، فرفعه متذمماً مغضباً.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : لو كنت في قتلة الحسين ، وأمرت بدخول الجنة لما فعلت ، حياءً أن تقع عيني على محمد^٦ " وكان قد توجه نحو الفرات ، فتعرضوا له ، وحالوا بينه وبين الماء . وأشار بذلك رجل من بنى ابان بن دارم ، فقال الحسين رضى الله عنه : اللهم

^١ انظر أصول النقد الأدبي - تأليف أحمد شايب الأستاذ بجامعة القاهرة (سابقاً) ١٩٩٩ م مكتبة النهضة المصرية صفحة ١١٤

^٢ دراسات في الأدب والنقد. معاوية محمد نور - الطبعة الأولى - قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم

^٣ تمام المتن صفة ٢٠٣

^٤ تمام المتن صفة ٢٠٤ - ٢٠٦

^٥ للحسين بن الحمام المري ، ديوان الحماسة ١٩٩٩ بشرح المزوقي

^٦ ط : " حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقع عيني على عينيه "

أظمئه ، فما لبث الأبان إلا! قليلاً حتى رئي وإنه ليؤتي بعس يروى عده ، فيشربه ، فإذا نزعه عن فيه قال: أسلقوني فقد قتلني العطش ، فانقد بطنه كانقداد البعير .

وقال أبو الأسود الدؤلي - وبروى لغيره :
أيرجو عشر قتلوا حسيناً *** شفاعة جده يوم الحساب
وقال بعض الشعراء:

عبد شمس قد اضمرت لبني *** هاشم حرياً يشيب منه الوليد
فابن حرب للمصطفى ، ابن هند *** على ، وللحسين يزيد
وعلى نفس النهج والنسل جاء خيال ابن عليم في ذات العbara " وكتبت
إلى عمر بن سعد أن جمعع بالحسين " ^١ فقد كان حاله صادقاً مؤثراً اختار فيه من
الكلمات ما أبانت المعنى وفسرت المراد في دقة وسلامة . اسمعه يقول ^٢ " وكفى ما
قاله جده صلى الله عليه وسلم فيه حسين مني وأنا من حسين ولم يباع النبي صلى
الله عليه وسلم صغيراً قط إلاّ الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم .
وفي الحديث الشريف عن أم سلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان
عندى النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين فأخذته فبكى فتركته فدنا منه فأخذته
فبكى فتركته فأتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فقال أتحبه يا محمد قال نعم
قال إلا إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فبسط
جناحه فأراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم " .

يتضح لنا من هذين الاقتباسين لشرح الأديبين ما اتسموا به من سعة في
الخيال ، وليس المقصود بالخيال عدم الواقعية ، إنما المقصود دقة تصوير الواقع ،
وبعد النظر في احتلاء الأمور ، ووضعها وتقريبها لذهن القارئ ، وهو الأمر الذي
أفلح فيه الأدييان.

كما اتسم الشرحان بأكهما صورة فنية واقعية لحدث تاريخي . وصفه الأدييان
بصورة مباشرة ونقلاه بعبارات حية تمثل الصورة الفنية في العصر الحديث يقول

^١ الدر المخزون صفحة ٢٠٥
^٢ الدر المخزون صفحة ٢٠٦

ابراهيم بن عبد الرحمن الغnim^١ " إن الصورة لا تقف عند حد المجاز بل تتجاوزه الى الواقع حينما تكون وصفاً مباشراً ، بوساطة إمكانات اللغة التعبيرية المتعددة ، كما يرى عبد القادر القط".

إن خيال الأديبين لا يسبح في مهامه قفر ، ولا في أرض يباب . وإنما هما يسبحان في أودية خصبية ندية حضراء يستلذ لها القارئ ، ويستمتع بها . وإن جنحا الى الفكر كان فكرهما واضحأً مسداً يقول الأديب الصدفي عند شرح قول ابن زيدون^٢ " ١٢١ - " وذلك بيده ، وهين عليه. "

" أى بيده هذا الذى سأله ، وقصده فيه ، أمره راجع إليه ، وهو في حكمه يصرفه كيف أراد على ما يختار كما يكون الشئ بيده ، وهذا كناية عن القدرة والإستيلاء ، ومن هذا قوله تعالى : " والأرض جميأً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمنيه "^٣. وفي قوله تعالى : " بيمنيه " لطيفة ، لأنه لم يقل " في بيمنيه " حتى ينفى الظرفية التي هي من لوازم الأجسام. وكل هذه العبارة كناية عن القدرة التامة ، والإستيلاء الكامل ، فتبarak الله العظيم ! وهذا النوع يسمى أرباب البديع التمثيل !

وقول الرماح بن ميادة :

ألم تك في يمني يديك جعلتني*** فلا تجعلنى بعدها في شمالكا

أراد ان يقول ، ألم أكن قريباً منك ، فلا تجعلنى بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أعم ، وهو التمثيل ، لما فيه من الزيادة في المعنى مما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من القرب والبعد ومن الأوصاف التي لا يحصل إلاّ بذكرهما ، لأن اليمين أشد قوة من الشمال ، وأقرب إلى رهما ، لأنه بها يأخذ ويعطى ويطيش ، ويعمل الصنائع ، وبها يعتمد ، وهي عنده مكرمة على الشمال . فهذه للأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ، لهذا كانت يمين رسول الله

^١ انظر الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة الصفحات ١٦ - ١٧

^٢ تمام المتن صفحه ٣٨٢

^٣ سورة الزمر ٦٧

صلى الله عليه وسلم لأكله وشربه ووضوئه وتنعله ، وشماله لاستنجائه وإماتة الأذى عنه .

تأمل كيف يشقق الأديب الصدري المعانى ، ويحلل الكلمات ليكشف أبعادها ، ويستجلِّى مكوناتها من كنایات وبلاعنة . وكيف يلفت الأنظار إلى الاستخدامات الدقيقة لحروف الجر ومدلولاتها ! " وفي قوله تعالى : (بِيمِينِهِ) لطيفة ، لأنَّه لم يقل (في يمينه) حتى ينفي الظرفية التي هي من لوازم الأجسام . وكل هذه العبارة كنایة عن القدرة التامة والإستيلاء الكامل) . ثم كيف يلفت الأنظار إلى التقليم والتأخير في الصلة مستشهدًا بقول الإمام الزمخشري في كشافه^١ " فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله تعالى : (وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ) ^٢ ، وقدمت في قوله تعالى : (هُوَ عَلَىٰ هِينٍ)؟ قلت : هناك قصد الإختصاص ، وهو مجاز فقيل: هو علىٰ هين ، وإن كان متسبعاً عندكم أن يولد بين هم وعاقر^٣ ، وأما هنا فلا معنى للإختصاص . كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الإبتداء ، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى " .

التسمية:

يرى الأديب الجاحظ أن المبدع الممتاز هو الذي يستطيع تصريف المادة الخام وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الافتتان والإبداع ويدعو إلى الإعجاب ففي رأيه أن^٤ " المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى ، وإنما الشان في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " .

" سُئل الأصمى : من أَشَعَّرَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : مَنْ يَأْتِي إِلَى الْمَعْنَى الْخَسِيسِ فَيَجْعَلُهُ بِلْفَظِهِ كَبِيرًا ، أَوْ إِلَى الْكَبِيرِ فَيَجْعَلُهُ خَسِيسًا ! " ^٥

^١ الكشاف ٣: ٢٧٥

^٢ سورة الروم آية ٢٧

^٣ الم : الشيخ الفانى

^٤ الحيوان - الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - المجمع العلمي العربي الإسلامي بيروت ط ٣ ١٣٨٨ هـ ١٣١/٣

^٥ نظرات في أصول الأدب والنقد د. بدوى طباعة شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع صفحة ٢٤٢

يتضح لنا من رأى الأديبين الحافظ والأصمى أن الأدب غير مبرأ من الصنعة أكثر من ذلك أنه يحتاجها وأجد نفسي أتفق مع هذا الرأى. لأن الأدب والنقد كليهما عملية فكرية ومن اليسير في إعمال الفكر إحلال فكرة موضع فكرة أخرى متواسلين بالإقناع العقلى والمنطق وهم يقودان الى التسليم بقبول أو بصحة الفكرة الجديدة. وعندى أن الصنعة ليست مقيدة لا سيما إن لم يكن فيها تكلف ظاهر. وكان فيها قدر كبير من الإخلاص للفكرة والعاطفة.

اخلاص من هذا التقديم الى تسمية الشرحين التي تبدو الصنعة فيها واضحة شرح الصفدى " تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون " وشرح ابن علیم " الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون "

في موضوع التسمية سمى ابوتمام ديوان الحماسة " الحماسة الكبري " ويدو أن أبا تمام قد جرى في هذا على تقليد وكما يقول محققنا شرح المزوقي للديوان ^١ يظهر أن العادة فشت أولاً ، أن يسمى الكل باسم أي جزء ، حتى في تسمية القرآن ، فسميت سورة البقرة الآية فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشيء بأوله ، فسمى العين للخليل لأن أول أبوابه باب العين ، وسمى ابوتمام ديوانه بالحماسة كذلك " .

فلم سمى كل من الشارحين كتابه بالاسم الذي اختاره ؟ الناظر الى اسم الشرحين يتضح له أن الأديبين توافقا في أن يكون الاسم مسجوعاً كديدين وعادة الكثرين من قدامى المؤلفين مثل كتابي - نهاية الأرب في فنون الأدب " لشهاب الدين النويرى و - كتاب الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى - ولعل اسم صاحب الرسالة هو الذى أملى عليهما أو قيدهما بهذا الوزن " ابن زيدون " فما دلالة كل اسم؟ أولاً: تمام المتون يعني المتن التام الكامل.

ثانياً: الدر المخزون أي الدرر المختزنة بين طيات الرسالة وتسمية تمام المتون تمثل الى العلمية بمعنى أن المتن وهو الظاهر يمثل العمود الفقرى في الجسد والذي يربط الجسم بشبكة من الأعصاب تتصل كلها بالمخ . المركب الأول للجسد.

أما الدر المخزون فتسمية تمثل إلى الأدب والبلاغة بمعنى أن الرسالة تحتوى على كثير من الكلمات التي هي كالدرر قيمة وثراء.

^١ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي د. عز الدين اسماعيل صفحة ٩٥ - ٩٦

الهدف منه اللشريين:

بعد الشقة الزمنية بين شرح الصفدي وشرح ابن علیم إذ كانت بضعة قرون ورغم هذا الدهر الدهير إلا أنها اتفقا في المدف وتشابها في تناول العديد من موضوعات الرسالة. علمًا بأن ابن علیم لم يطلع على شرح الصفدي فما السر في كل أولئك؟

إن غرض الأديب ابن علیم من شرح الرسالة هو شغفه بالأدب ، وهيامه به. شجعه على ذلك حلاوة الرسالة ، وطلاوة عباراتها يقول ابن علیم "إإن حبي للأدب وأهله وتطفلى على موائد كرمه وفضله حدا بي إلى شرح هذه الرسالة البديعة".^١

أما الأديب الصفدي فقد هزته الرسالة وملكت عليه أفكاره بما فيها من اللطافة فرأى أن يشاركه القراء فعمد إلى شرحها.^٢

لقد اتفق الأدييان في غايتها ، وهي إثراء الأدب ، وإتحاف القراء بروائعه ونفائسه . فجاء كتاباهما غاية في الروعة. والحق يقال لقد أجادا بما أضافيا على الرسالة من شرح رصين ، واستطراد متين .

هذان الأدييان تدل تراكييدهما ولغتهمما على الجدة والإيحاء والخلق . ولعل ما يميزهما العلاقات الجديدة للألفاظ الشيء الذي يوحى بالجودة والأصالة وهذا هو السر في توافق رؤاهما لكثير من الأمور . كما أن تمكنهما الأدبي ، وبتجاربهم الطويلة في ميدان الفن والإبداع ، وقدرتهمما على الإبتكار والتجدد ، وتطويع اللغة تدل على أن علاقتهمما باللغة علاقة ذاتية ، وليس علاقة إجتماعية.

أضف إلى ذلك تجاربهمما الثرة ، وعواطفهما المختشدة في الذهن ، والخيال الدقيق في ومضات التفكير والإلهام ، وما يتسمان به من ذاتية تحمل بصمتهمما تعين كل هذه الأمور على أن يفرغا فكرتهمما وعاطفتهمما في عبارات تضيئ طريق القارئ ليحصر ما يهدفان إليه وما ينشدانه.

^١ الدر المخزون صفحة (٢٢)

^٢ انظر تمام المتنون الصفحات ٣ - ٥

كما أن أسلوبهما ومفرداتهما تتعاون جيّعاً كأنها بنيان مرصوص يشد بعضه
بعضاً فتتضخ فكرهما موزونة ذات إيقاع ونظم خاص بل ونكهة خاصة لا تكلف
فيها يزينها الصدق.

فإن الأديب الحق هو الذي يصدق في إبانة فكره ولا يتكلف شعوره هذا
لعمري هو الفن الحق بله الجيد.

الخاتمة

إنني إذ أكفأك أطراف بحثي هذا ، مقتربا من نهايته لا بد أن أقول : إن الشاعر الكبير ابن زيدون ، قد ولج ميدان الشعر من أوسع أبوابه . وها هو ذا يلتج ميدان الرسائل من أوسع أبوابه أيضا . فقد خط رسالته الجديه - لابن جهور - ولم يترك فيها شاردة ولا واردة ، إلا وتحدى عنها - تم ذلك بأسلوب سلس ، أخاذ . أخذ بلب كل من اطلع عليها ، الأمر الذى حث العديد من الأدباء أن يعملوا على شرحها ، فأغنوا التراث الأدبي . إذ أتاحت لهم الرسالة البليغة ، الاستطراد في مواضيع مختلفة ، في التاريخ ، والأداب ، وسير العظماء ، والفنون . هذا العمل حري به أن يلفت الأنظار إلى التراث الأدبي ، ويحببه إلى النفوس ، بما يفيض عليه من أسلوب عصري ، يقوم بربط الماضي التليد ، بالحاضر الراهن ، ويقدم على مر العصور والازمان ، تاريخ الادب العربي في ثوب زاه حديث ، فيتلاعج الماضي مع الحاضر ، ويعملان على بناء مستقبل وضى مشرق ، على مزاج وخلط طيب يعتبر الماضي ، وبيني عليه أهداف المستقبل ، فينشأ جيل يلم بماضيه ويجده ، ويعمل على إخضاب مستقبله وبنائه في جد وتركيز .

لعل هذا الحديث الذي جري مني ، هو الفكرة الأساسية التي ابني إليها بحثي . وهي تتلخص في أن مستقبل الأدب - في أي وسط - لا يعني بهنائي عن ماضية . فلا بد من معرفة الماضي لبني عليه المستقبل حتى يستوي البناء على أديم ثابت . وينهض على أساس متين إن إشراق المستقبل جذوته من معرفة الماضي والبناء عليه .

مraعين لكل ما تقدم من ملاحظات ، فإن أسلوب شرح الرسائل على نحو ما جرى في مؤلفي الصفدي وابن عليم ، فرصة كبيرة لكشف جهود الأدباء السابقين . والعمل على تقديمها بصورة علمية ، وأسلوب عصري ، يراعي تطور المجتمع ورقية ، وحاجاته ، والاستفادة القصوى من بيته . لأن غاية التعليم الأزلية أن يوائم الإنسان بيته ، وبين بيته . مستفيدا من ماضية ، وعملا في حاضره برأي واضحه مستقبله.

لا يجب أن يكون الأدب تهوما ، او علما معلقا على الهواء ، لا بد للأدب من أن يعيش الواقع ، ويس شفاف القلوب ، أكثر من ذلك أن يعمل على التأثير اليومي المباشر على حياة الإنسان ، في كل مضطربه ، متقلبه ومثواه . ولن يأتي للأديب كل أولئك إلا إذا وضع

نصب عينيه هذه المفاهيم ، والأفكار الأساسية التي خرج بها بحثي هذا :-

أولاً : الفكر أوسع من اللغة ، يعني أن ما يحسه الإنسان ، ويعيشه ، أكبر من أن تعبّر عنه اللغة ومفرداتها بالغاً ما بلغت من الفصاحة والبيان - وما أسلوب الأديب وكلماته إلا إشارات يتوكأ عليها القارئ ، ليري الأديب أو بالأصح ليفهم ما يرمي إليه . وعليه فإن الأديب ذا الفكرة الواضحة ، والأسلوب الأخاذ ، هو الذي يطوع العبارة حتى تطيعه ، فيفهمه قارئه .

ثانياً : على الأديب أن يستخدم لغة أدبية تحمل بصمتها التي ينماز بها عن القطع ، وهذا يقتضي أن يشحن المفردات بطاقة بلاغية هائلة ، تخرج بالالفاظ عن مدلولاتها الأصلية .

ثالثاً : ليكون الأديب مفهوماً ، عليه أن يدرس بيئته ، ويعرف على مجتمعه ، وبهذا يتمنى له أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وبمقدسي حاجتهم ، وحاجة عصرهم .

رابعاً : ليس من العلم في شيء لا ، ولا من البلاغة أن يتخير الأديب العصي من المفردات ، التي تكلف القارئ شططاً ، بكثرة الرجوع إلى قواميس اللغة ، لأن اللغة وسيلة وليس غاية .

خامساً: من معاني النقد الحديث دراسة الآشياء ، وتحليلها ، وتقديرها ، وإبانة قيمتها الحياتية ، حتى يقتدي بها الناس . لأن النقد بناء ، ويرى الأديب ما لا يراه الآخرون ، فعليه أن يستخدم علمه ومعرفته في بناء مجتمعه وتطويره ، وبهذا يكون مواطناً صالحاً ناهضاً بمجتمعه ، مؤدياً لرسالته على الوجه الأكمل .

هذا وإنني لأتوجه إلى الله ، حامداً شاكراً أن وهبني القدرة ، والعافية ، والتوفيق ، لأكمل هذا البحث ، متوسلاً منه إتمام المنة والفضل أن ينفعني به ، وينفع الآخرين ، فإنه وارد :

إذا لم يكن من الله عون على *** الفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده
هذا ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

الباحث ، ،،،

الفهرس العامة

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
(أ)	استهلال
(ب)	الآية
(ج)	الإهداء
د - ه - و	مقدمة
١٠ - ١	<p>الفصل الاول : -</p> <p>التعريف بصاحب الاصل والشارحين ويتضمن ثلاثة مباحث</p> <p>المبحث الاول : - التعريف بابن زيدون ورسالته الجديه</p>
١	المطلب الاول : - عصر ابن زيدون
١٠	المطلب الثاني : - شخصية ابن زيدون ورسالته الجديه
٢١	<p>المبحث الثاني : - الصفدي عصره وشخصيته</p> <p>المطلب الاول : - عصر الصفدي</p>
٣٨	المطلب الثاني : - شخصية الصفدي
٥٥	<p>المبحث الثالث : - ابن علیم عصره وشخصيته</p> <p>المطلب الاول : - عصر ابن علیم</p>
٦٣	المطلب الثاني : - شخصية ابن علیم
٨١	<p>الفصل الثاني : - شرح الصفدي " تمام المتون "</p> <p>وصف كتاب تمام المتون</p>
١٠٨	<p>الفصل الثالث : - شرح ابن علیم " الدر المخزون "</p> <p>وصف كتاب الدر المخزون</p>
١٢٣	<p>الفصل الرابع : - المقارنة والموازنة بين الشرحين ويتضمن</p> <p>خمسة مباحث</p>

١٢٣	المبحث الاول : مدخل
١٢٨	المبحث الثاني : الاسلوب
١٤٠	المبحث الثالث : اللغة
١٥٢	المبحث الرابع : الموضوعات
١٦٠	المبحث الخامس: تقييم عام للشرحين
١٦٨	الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث
	الفهارس العلمية : وتتضمن :-
١٧١	فهرس الآيات القرآنية -
١٧٣	فهرس الاحاديث والآثار -
١٧٧	فهرس الأشعار والقوافي -
١٨٦	فهرس الاعلام -
١٩٥	فهرس الأماكن والبقاء -
١٩٨	فهرس المراجع والمصادر -
٢٠٤	فهرس الموضوعات -

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	الآية
83	سورة غافر (٢)	"غافر الذنب قابل التوب"
84	سورة الرحمن	"فيها فاكهة وخل ورمان"
84	سورة البقرة (٩٨)	"من كان عدواً لله ولملائكته ورسله وجبريل وميكال"
84	سورة النساء (١٧٢)	"لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون"
89	سورة البقرة (٢٦٦)	"أيود أحدهم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الشمرات واصابه الكير وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحتربت"
91	سورة النساء (٨٣)	"وإذا جاءهم أمر من الأمان"
91	سورة العاديات (٨، ٧)	" وإنه على ذلك لشهيد (٧) وانه لحب الخير لشديد (٨)"
91	سورة الانعام (٢٦)	" وهم ينهون عنه وينأون عنه "
100	سورة الأعراف (١٩٩)	" خذ العفو وأمر بالمعروف "
100	سورة الحجر (٨٥)	" فاصفح الصفح الجميل "
100	آل عمران (١٣٤)	" والعافين عن الناس "
100	سورة يوسف (٩٢)	" لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"
101	آل عمران (١٣٤)	" والكافرين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "

الصفحة	السورة	الآية
101	سورة القلم (١١)	" هماز مشاء بنميم "
102	سورة القلم (١٠)	" ولا تطع كل حلاف مهين "
103	سورة الأعراف (٦٢)	" وانصح لكم "
103	سورة الأعراف (٦٨)	" وأنا لكم ناصح أمين "
103	سورة النساء (٨٥)	" من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها "
١٠٤	سورة التوبة (٣٤)	" فبشرهم بعذاب أليم "
١٣٨	سورة التكوير (١ ، ٢)	" إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) "
١٤٠	سورة ق (١)	" ق والقرآن المجيد (١) "
١٤٠	سورة الدخان (١/٢)	" حم (١) والكتاب المبين (٢) "
١٤٠	سورة ص (١)	" ص والقرآن ذى الذكر (١) "
١٤٠	سورة القصص	" طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) "
١٤٠	سورة مریم (١)	" كهيعص (١) "
١٤٥	سورة التوبة (٣٤)	" فبشرهم بعذاب أليم "
١٥١	سورة هود (٤٢)	" اركب معنا "
١٥١	سورة هود (٤٣)	" ساوي إلى جبل يعصمني من الماء "
١٦١	سورة الزمر (٦٧)	" والأرض جمِعاً قضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه "
١٦٢	سورة الروم (٢٧)	" وهو أهون عليه "

فهرس الأحاديث والأثار

"أنا مولي من لا مولي له" صفحه (82)

قال : -

أقول لكم كما قال أخي يوسف : " لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم
الراحمين" ص (100)

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلي الله عليه وسلم : هل أتي عليك يوم كان
أشد عليك من يوم أحد؟ قال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة ، إذ
عرضت نفسي علي ابن عبد ياليل " ابن عبد كلال" ، فلم يجنبني الي ما أردت ، فانطلقت
وأنا مهموم علي وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الشعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا
بسحابة قد أظللتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال: إن الله قد سمع قول قومك
لك ، وماردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال : يا محمد ، إن الله
قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟
إن شئت أطبقت عليهم الأ خشبين ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج
من أصلابهم من يعبد الله ويؤوده ، ولا يشرك به . متفق عليه " ص (100)

وعنها رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئاً قط
بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله .. وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من
صاحبها ، إلا أن ينهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم الله تعالى : رواه مسلم ص (101)
وعن ابن مسعود قال : كأني أنظر إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، يحكى أن
نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ،
ويقول : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . متفق عليه ص (101)

ما رواه حذيفة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة
نمام" ص (102)

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين ، فقال : إنما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنمية ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول" ص (102)

وعن ابن مسعود ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الا أئبكم ما العضه ؟ هي النمية ، القاله بين الناس " رواه مسلم ص (102)

جاء عنه صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المثلث) ، فقيل : يا رسول الله ، وما المثلث ؟ قال " الذي يسعى بصاحبه الى السلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه " عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا " رواه مسلم ص (102)

وفي رواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت اصابعه بلالا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابتنا السماء يارسول الله ، قال " أفلأ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ! من غشنا فليس منا " ص (102)

وفي مسلم عن أبي رقیہ تمیم بن اوس الداری رضی الله عنہ ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: " الدین النصیحة" ، قلنا : ملن ؟ قال : لله ولکتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم " ص (103)

وفي البخاری ومسلم ، عن جریر بن عبد الله رضی الله عنہ ، قال : بایعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزکاة ، والنصح لكل مسلم .. وفيهما عن أنس رضی الله عنہ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأنحیه ما يحب لنفسه " ص (103)

وعن أبي موسی الأشعري قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه ، فقال : " اشفعوا تؤجروا ويقض الله علي لسان نبيه ما أحب " متفق عليه وفي روايه " ماشاء " ص (١٠٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهمما في قصه بريء

وزوجها ، قال : قال لها النبي صلي الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟ قال : إنما أشفع ، قالت : لا حاجة لي فيه . ص (١٠٤)

كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ويهجو من يهجوه فقال فيه اللهم أいで بروح القدس .. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله عزوجل وعن رسوله ص . (١١٢)

وما استأذن حسان رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يهجو قريشا قال كيف تهجوهم وأنا منهم قال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين . فأذن له وقال : أئت أبا بكر الصديق فإنه أعلم الناس بأنساب العرب فأعلمه فقال له : كف عن فلان وأذكر فلانا" ص (١١٣)

قال صلي الله عليه وسلم ، لحسان بن ثابت : " لهذا أشد عليهم من وقع النيل وقال : أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن - وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان فشفي واشتفي " ص (١١٤)

قال عليه الصلاة والسلام عن عثمان بن عفان : " اللهم إني رضيت علي عثمان فارضي عنه ، اللهم أغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت " ومنها " إني لأستحيي من استحق منه ملائكة الرحمن " وقال عن غيابه في صلح الحديبية " هذه عن عثمان ولشماله خير من يمينه ". ص (١١٥)

قال عثمان بن عفان " ولقد سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " من زل فليتب ولا يتمادي في الهلكة إن من تمادي في الجور كان أبعد عن الطريق " ص (١٢٠) قوله عليه الصلاة والسلام " نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " ص (١٢٧)

وفي الحديث الشريف عن أم سلمة زوج النبي صلي الله عليه وسلم قالت : كان عندي النبي صلي الله عليه وسلم ومعي الحسين فأخذته فبكى فتركته — فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فأتي النبي صلي الله عليه وسلم جبريل فقال : أتجبه يا محمد ؟ قال : نعم قال

: إلا أن أمتك ستقتلها وإن شئت أرتك من تربة الأرض التي يقتل بها – فبسط جناحه
فأراه منها فبكى النبي صلي الله عليه وسلم " . ص (١٦٠)

الأشعار

فهرس القوافي

حرف (ع)

الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافية
١٥٠	المتنبي	كل المصائب.....الأعداء
١١٣	حسان بن ثابت	الاً أبلغ.....هواء
١٤٣	من غص.....بالماء
١٤٣	إلى الماء.....جماء
١٥٤	عدي بن الرقاع	إذا نظرت.....الأمراء
		حرف (ب)
١٢	ابن زيدون	ونجذب.....سخاب
٢٤	الصالح.....مجلوب
٨٥	عامر بن الطفيلي	فما سودتني.....ولا أب
٩١	ابو هلال العسكري	كأني.....السواكب
٩٢	ابن كلس	قل.....الثاقب
٩٨	السلامي	تبسطنا.....الذنوب
٩٨	ابن قلاقس	وغير.....متابا
٩٨	العباس بن الأحنف	إذا رضيت.....عتب
٩٩	مهيار	لا والذى.....أذنب
١٣٨	علي بن الجهم	أنت كالدلوج.....الذنوب
١٤٤	حاتم الطائي	أضاحك.....جديب
١٤٤	ابو تمام	يعطى.....المذنب
١٤٦	ابو العناية	ولم أر.....أدب
١٤٦	يزيد بن معاوية	فإن تسلمى.....صلبا
١٥٢	النابغة الذبياني	حلفت'.....مذهب

الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
١٥٣	عروة بن الورد	ومن يغترب..... مسحبا
١٦٠	ابو الأسود الدؤلي	أيرجوالحساب
		حرف (ت)
٣٥	هذب.....بيت
٨٣	البهاء زهير	بنفسي.....مقت
		حرف (ج)
٥٢	الصفدي	أقولالدجى
		حرف (ج)
٩١	إن وتركي.....شحاحا
٩٢	محمد بن القاسم بن عاصم	بالحاكم.....الصلحا
		حرف (د)
٥٣	الصفدي	أنفقت.....شارد
٨٦	حسان بن ثابت	في جنة.....السؤدد
٨٧	ابي الفضل طاهر بن الفقيه	أشارت.....الأفعدة
٩١	ابن حيوس	وها أنا ثاوتسدى
٩٥	شهاب الدين الخيمى	لابن الزيرتغرد
٩٥	على بن الجهم	والبلدر.....متجدد
٩٩	البحترى	عفا الله.....أبعدا
١٠٨	المتنبى	ما مقامي.....اليهود
١٠٩	المتنبى	ابا خدد.....القدود
١٢٤	المعرى	فلاهطلت.....البلادا
١٣٢	المتلمس	إن الهوان.....الأجد

الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
١٤٦	إن تتهمى بحد
١٤٦	فإن يدعى بحد
١٤٦	ابن المعلم	أتخيّمون فنعود
١٦٠	عبد شمس الوليد
٧١	ابن عليم	الآ هل رأت السدا
حُرف (ر)		
١٥	ولادة	أنت الخصيـب بـحر
١٦	ولادة	ترقب للسر
١٧	ولادة	لو كـنت تـتـخـير
٥٢	الصفدى	حيـاـه مـزـهـر
٦٤	لا يـعـجـب جـار
٦٨	صالح أفندي بطرس	إـنـ كـنـت الشـذـر
٧١	ابن عليم	الـجـد كـالـفـاجـر
٧٦	التجانـي يـوسـف بـشـير	اسـفـ مر شـرـر
٧٩	حسـينـ منـصـور	أـفـيـ العـيـد سـخـرـر
٨٥	الختـنـاء	إـنـ صـخـراً لـنـحـار
٨٩	أبوـبـكرـ أـحـمـدـ الصـنـوـبـرـي	وـإـنـ اـبـدـلـتـنـي الـوعـرا
٩٤	المـتنـبـي	بنـوـ كـعب السـوار
٩٤	لم يـحـترـق عـار
٩٥	الـبـاخـرـزـي	حـىـ الـآـدـاب الصـغـار
٩٧	الأـمـيرـ أـبـوـ المـنـيـعـ قـرـاوـش	الـلـهـ در الأـحـرـار
٩٧	ابـنـ سنـاءـ الـمـلـك	حـارـبـت نـصـرا
٩٨	ابـراهـيمـ بنـ المـدـبـرـ	أـلـست وـالـقـارـ

١٠٠	المؤمل بن أميل	إذا مرضتمونعتذر
١٠١	البحتري	إن دونالأحرار
١١٦	حسان بن ثابت	كنتالناظر
١٣٤	ابوفراس الحمداني	ونحنالقبر

الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
١٣٨	عمارة اليمني	لا تعجا وقدار
١٤١	على بن الجهم	عيون المها لا أدرى
١٤٦	ابو تمام الطائي	فتطلق بشير
١٤٦	ابو الأسود	إذا ما أتاه البشر
١٣٨	عمارة اليمني	لا تعجا وقدار
١٤١	على بن الجهم	عيون المها لا أدرى
١٤٦	ابو تمام الطائي	فتطلق بشير
١٤٦	ابو الأسود	إذا ما أتاه البشر
حروف (ن)		
٩٢	ابن الرومي	وحديثها المتحرز
حروف (س)		
١٢	ابن زيدون	وودادى قياس
حروف (ض)		
١٠	ابوبكر عبادة	أبي ركن غيضا
١٧	ابن زيدون	أثرت فاغتنمض
حروف (ع)		
٨٩	ابو العلاء المعرى	حسابكم ومفزع
٩٦	ابو تمام	وما السيف يقطع
١٥٣ / ٩٨	البحتري	إلا ي肯 أوسع

٩٩	نصيب	تلمست.....تشفع
حرف (ف)		
١٢	ابن زيدون	أغرى.....أو مصنف
١٩	ابن زيدون	أما في نسيم..... موقف
٩٨	لئن.....تصرف
٩٨	البآخرزى	ابا عاصم.....ثقافة
الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
١٤٦	الغزى	يا بنت.....الأضياف
حرف (ق)		
١٦	ابن زيدون	لها الله.....التفرق
١٨	ابن زيدون	إن ذكرتك.....راقا
٧١	الشيخ فؤاد الخطيب	قل يا أبابكر.....المتدفق
٩٢	ابن الرومى	اكسبها.....الحدق
١١٠	المتنبى	أي محل.....أتقى
١٢٤	الشيخ فؤاد الخطيب	أوحى.....يعلق
١٤٦	أهلًا.....وصديق
١٧	ولادة	الا هل لنا.....بما لقى
حرف (ك)		
١٦	ابن زيدون	ودع الصبر.....استودعك
١٤٨	فلو قلت.....وصالك
١٦٣	الرماح بن ميادة	ألم تك.....شمالكا
حرف (ل)		
١٩	ابن زيدون	ملك.....علل
٣٦	ابن حجلة	لسنا.....نتكل
٥٢	الصفدى	المقلة.....نبال

٨٤	ابونواس	الرسول.....وجدنا
٨٧	الحزين (عمرو بن عبيد)	عقل.....وتلقى
٩٦	الخفاجي	بالصقل.....ألام
٩٦	ابو اسحاق الغري	الصياقل.....صقلت'
٩٦	ابوفراس بن حمدان	وكهلا.....ولئن
٩٧	ابن الساعاتي	القساطل.....وما أبيض
٩٨	سيف الدين بن قزل	السبيل.....أنت الحسام
الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
٩٩	على بن الحسين العقيلي	يا طاعنى الأمل
١٠٠	ابراهيم بن المهدى	فإن لا أكن أهل
١٠٠	محمد بن عبد الله بن المولى	وابكى تبدل
١١٤	حسان بن ثابت	للـه در الأول
١٣٣	أحمد شوقى بك	تمر المهل
١٥٥ ، ١٤٥	عمرو بن الأهتم المنقري	وضوحـك أهله
١٤٧	الصفدى	وجـاريـة فعلـه
١٤٩	هـذا غـليـلا
١٥١	المتنبـى	وـمـن الزـلاـلا
١٥٤	عبد الله بن الزبيرى	لـيت الأـسـل
١٥٦	ابوتمام	وـإـذـا مـالـه
٥٢	الصفدى	كـوس مـبـطـلا
٥٧	شـوقـى	اليـوم الإـنـجـيلا
٧٤	ابـنـعـلـيم	أـمـطـرـتـنـى وـعـلا
٧٥	ابـنـعـلـيم	كـيفـ تـهـنـا وـوـلـى
		حرف (م)
٦٤	إـذـا وـيـنـكـمـ اـشـتـقـتـ
٦٤	وـضـاقـت الـفـدـام

٧٠	ابو القاسم بن احمد بن هاشم	الكلم.....للد
٨٧	نفس عصام.....الإقداما
٩٣	المتنبي	ولم أرج.....يظلم
٩٥	الأحوص	فطلقاها.....الحسام
٩٥	المتنبي	يامن يعز.....عدم
٩٥	المتنبي	واحر قلباها.....سقم
٩٦	شهاب الدين ابو الشناء	قل.....نرافقهم
الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
٩٧	ابو الفقيان بن حيوس	أرى.....تقوما
٩٩	الإمام الشافعى	وملا قسا.....سلما
٩٩	ابونواس	يا رب.....أعظم
١٠٠	بني هاشم..... مجرم
١٣٠، ١٠٩	المتنبي	أنا الذي.....صم
١١٢	المتنبي	وكأن.....تمائم
١٢٥	المتنبي	لديها.....حائم
١٣٨	تقى الدين بن دقيق العيد	حسدوا.....وخصوم
١٥٣	ابو تمام	فقسا.....يرحم
١٥٤	ابو مياس المرادى	ثلاثة آلاف.....المصمم
١٥٤	البحترى	الست.....أنجحا
١٥٦	المتنبي	يامن يعز.....عدم
١٥٧	ابن زيدون	الهوى.....النسيم
١٦١	الحسين بن الحمام المرى	نفلق.....واظلما
٨٥	ابوفرعون العدواني	بنيتى.....يراكما
حرف (ن)		
١٨	ابن زيدون	أضحي.....تحافينا
٣٦	ابو الحسين الجزار	الا هكذا.....البنا

٥٣	الصفدي	أفديه.....بسهمين
٥٣	الصفدي	سألتم.....وبين
٦٨	الشيخ الطيب أحمد هاشم	زالت.....مخزونا
٩٥	ابن بايلك	لا صبر.....غمداننا
٩٨	القاضي ابو الفتح الهرمزى	عزاءك.....الدنان
١٠١	ابو فراس بن حمدان	وكني.....ما عنى
١١٣	حسان بن ثابت	ضحوا.....وقرآنا
الصفحة	الشاعر	أول البيت وقافيته
١٥٤	العتبى	وحسبك..... Rahimina
٥٤ + ٥٢	الصفدي	بسهم.....Bineh
		حرف (هـ)
١٥	ولادة	أنا والله.....Tiyha
١٥	ولادة	وأمكـن.....Yistihayha
٣٢	شمس الدين التلمساني	ما للحشيشة.....Rashdeh
٨٤	ابو تمام	مولـاك.....Amseh
٨٧	الفرزدق	يقلب رأساً..... عيوجها
٩٢	ناصر الدين ابى بكر احمد الارجـانى	نمـت.....فيها
١٥٦	أـحب.....Sahabah
		حرف (يـ)
٨٤	ابو اسحاق الغـزـى	لن يتسـاوـى.....Mawali
٨٥	الباخرـى	إنـي لأـعـشـق.....Khamisi
٨٦	دعـبـل	فـإـذـا جـالـسـتـه.....Al-hashiya
٩٤	ابـوـالـحـسـينـالـجـزارـ	لـلـهـ.....La takhfieh
٩٩	اسـحـاقـبـنـابـرـاهـيمـالـموـصـلىـ	لـاـشـئـ.....Zalili
١٠٠	أـغـتنـمـ.....Shakri
١٠٠	أـرـضـ.....Fih

١٠٠	مسلم بن الوليد	ويخطئ.....ادرى
١٥١	عبد الله بن معاوية	وعين الرضا.....المساوية

فهرس الأعلام

(٥)

ابن أبي الحديد (د)
أبي اسحق الغزى (٨٤) ، (٩٦)
ابو الأسود (١٤٦) ، (١٦٢)
ابن الآبار (١٠)
د. أحمد هيكل (٢)
أفح النحوى (١٢)
أربك (٢٩)
ابرا لابدوس (٣٠) ، (٣٨)
الأمير شيخون (٣٦)
الألونسى (٦٥)
أحمد فريد رفاعى (٦٦)
الأحوص (٩٥)
ابراهيم بن المدب (٩٨)
اسحق بن ابراهيم الموصلى (٩٩)
الأسود بن عبد يغوث (١٠٤)
الأنحسن بن شريق (١٠٤)
أنس رضى الله عنه (١٠٥)
أم كلثوم رضى الله عنها (١١٧)
أم سلمة رضى الله عنها (١٢٠)
د. أحمد شائب (١٣٠) ، (١٦٠)
أرسسطو (١٣١)
امري القيس (١٣٤) ، (١٥٩)
د. أحمد ابوزيد (١٤٣)
الأخفش الأوسط (١٤٤)

ادم عليه السلام (١٥٣) ، (١٥٨)	
أبرهه (١٥٣)	
أسامة بن زيد (١٥٣)	
الأحنف بن قيس (١٥٤) ، (١٥٩)	
أم عامر (١٥٥)	
ابراهيم عليه السلام (١٥٧)	
ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم (١٦٣)	
الأصمى (١٦٤) ، (١٦٥)	
(ب)	
البغدادى (د)	
ابوبكر بن ذکوان (٤)	
ابوبكر عباده (١٠)	
ابوبكر بن محمد بن ابراهيم (١١)	
ابوبكر مسلم بن احمد (١٢) ، (١٩) ، (٢٠)	
ابوبكر محمد عليم (٢٠) ، (٦٣) ، (٦٥) ، (٦٦) ، (٦٧) ، (٦٨) ، (٧٠) ، (٧٦) ، (١٠٨) ، (١٠٩) ، (١٢٣) ، (١٢٤) ، (١٢٥) ، (١٣٥) ، (١٢٦) ، (١٢٧) ، (١٣٣) ، (١٣٤) ، (١٢٧) ، (١٣٣) ، (١٣٤) ، (١٤٨) ، (١٤٩) ، (١٣٩) ، (١٥٠) ، (١٥١) ، (١٥٩) ، (١٥٢) ، (١٥٨) ، (١٥١) ، (١٦٠) ، (١٦٦) ، (١٦٥) ، (١٦٠)	
ابوبكر أحمد بن الحسين (٨٧)	
ابوبكر بن داسه (٨٨)	
أبي بكر أحمد الصنوبى (٨٩)	
ابوبكر الصديق رضى الله عنه (١١٥) ، (١١٦) ، (١٥٣) ، (١٥٨)	

التبزى (٣٣)
التجانى يوسف بشير (٧٦) ، (١٣٩)
ش
ثابت (١١٤)
ج
جلال الدين الفزوينى (٣٣)
جوهر الصقلى (٣٧)
جمال الدين اقوش النجىبى (٣٧)
حبران خليل حبران (٦٦)
جرير بن عبد الله (١٠٥)
عفتر بن سليمان (١٣٨)
حبريل عليه السلام (١٣٨)
ابن حابر الضبرى (٣٤)
ابن جهور (١٢٥)
الحاخط (٧) ، (٦٣) ، (٦٦) ، (١٠٧) ، (١٤٣)
ك
حاتم الطائى (١٥) ، (١٤٦) ، (١٥٩)
حوراء ابنة سكرى (١٤)
حسين منصور (٦٤) ، (٦٧) ، (٧٨)
حسان بن ثابت رضى الله عنه (٨٨) ، (١١٣)
، (١١٤) ، (١١٥) ، (١١٦)
حرام (١١٤)
حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية (١١٦)
حليمة (١٥٤)

بحترى المغرب (١٣)
بدر الدين بن جماعة (٤٢)
بروكلمان (٤٦)
بشر بن المفضل (٨٨)
بهرام شاه (١٥٨)
أبوبصرة الغفارى (٨٨)
ابن برد الأصفر (٥)
ابن بسام (١٤) ، (١٥)
ابن بابل (٩٥)
السيد البدوى (٣٢)
البيهقى (٨٢)
الباخرزى (٨٢) ، (٩٥) ، (٩٨)
البهاء زهير (٨٥)
البحترى (٩٩) ، (١٣٣)
ابراهيم بن المهدى (١٠٠)
البخارى (١٠٥)
البديع الحمدانى (١٤٣)
ابراهيم سلامة (١٤٤)
ت
تورانشاه (٢٤)
تاج الدين السبكى (٤٠) ، (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٦)
تقى الدين بن دقيق العيد (١٣٨)
أبى تمام (٧) ، (٩٦) ، (١٤٦)
ابن تغري بردى (٢٤) ، (٤٠) ، (٤٥)
ابن تيميه (٣٤)

الخطابي	(٨٢)
الختناء	(٨٥)
الخفاجى	(٩٦)
م	
دحية المحدث	(٣٣)
دعل	(٨٦)
دى كوينس	(١٢٩)
ابوداود	(٨٨)
ذ	
أبوزر الغفارى	(١١٩)
ر	
رقى رضى الله عنها	(١١٧)
رأ اسكوت	(١٢٨)
ابورقية تميم بن أوس الدارى	(١٠٥)
ابن رافع	(٥٣)
ابن الرومى	(٩٢)
الرماح بن ميادة	(١٦٣)
ز	
زينب بنت مكى	(٣١)
زينب بنت الکمال	(٣١)
زکى مبارك	(٦٦) ، (٦٥)
زهير	(١٤١)
ابن زيدون	(٩) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) ، (١٨) ، (١٨) ، (٦٣) ، (٦٧) ، (٢٠) ، (٦٨) ، (١٩)

ابي حزم بن جهور	(٤) ، (١٧) ، (١٨) ، (١٩)
ابو حيان	(٤٢) ، (٣٤) ، (٦٦)
ابو الحسين الجزار	(٣٥) ، (٣٠) ، (٩٤)
أبى الحجاج المزى	(٤٢) ، (٤٣)
ابن حمديس	(٨)
ابن حزم	(٩)
ابن حجلة	(٣٦)
ابن حجر العسقلانى	(٤٣) ، (٤٠) ، (٥٣)
ابن حبيب	(٤٠)
ابن حجة	(٥٢)
الحكم المستنصر	(٧)
الحريرى	(١٤٣) ، (٧)
الحصرى	(٨)
الشيخ حمزة فتح الله	(٢٠)
السلطان حسن	(٣٦)
الحافظ الدمياطى	(٣٦)
الحسينى	(٤٢) ، (٤٣) ، (٥٣)
الخليمى الحسين بن الحسن	(٨٨)
الحسن بن على عليه السلام	(١١٩) ، (١٥٩)
الحسين بن على عليه السلام	(١٥٩) ، (١٦١) ، (١٦٢)
الحجاج بن يوسف	(١٥٩)
خ	
خالد بن صفوان	(١٠٣)
خالد بن الوليد	(١٥٣) ، (١٥٨)
خليل بن قلاوون	(١٥٨)
ابن خلدون	(٣٣) ، (١٣)

ابن سعد (٥٢)	
ابن الساعاتي (٩٧)	
ابن سناء الملك (٩٧)	
ال الخليفة سليمان المستعين (١٠)، (١١)	
المستر (س) هيليسون (٧٠)	
السهيلي (٨٩)، (٨٨)	
السلامي (١٠٠)	
ش	
شوقى ضيف (٢)، (١٠)، (١٢)	
شورور (١٠)، (١١)	
شجرة الدر (٢٤)	
شمس الدين التلمسانى (٣٢)	
شمس الدين ابراهيم الجزري (٣٥)	
شوقى (٥٧)	
شهريار بن شيريويه (٨٢)	
شهاب الدين ابو الثناء محمد (٤٢)، (٥٣)	
شهادب الدين الخيمى (٩٧)	
شمام بن قيس (١١٦)	
شوبنها (١٣١)	
شهاب الدين النويرى (١٦٥)	
الشريشى محمد بن أحمد النحوى (٣٤)	
الشافعى (٣٧)، (٣٨)، (٩٩)	
الشيخ الإمام (٤٢)	
الإمام الشوكانى (٥١)	

، (١٠٠)، (٩٥)، (٩٣)، (٩١)، (٨٣)	
، (١٢٣)، (١١٣)، (١٠٨)، (١٠١)	
، (١٣١)، (١٢٧)، (١٢٦)، (١٢٥)	
، (١٣٦)، (١٣٥)، (١٣٤)، (١٣٢)	
، (١٤٩)، (١٤٥)، (١٣٨)، (١٣٧)	
، (١٦٣)، (١٦٠)، (١٥٩)، (١٥٢)	
ابن زنجوية (٨٢)	
ابن الزبير (٩٧)	
الرميكية (٨)	
الأزهري (٥٨)، (٥٩)	
الزمخشري (٦٧)، (٨٢)	
الزبير (١٢١)	
س	
سراج الدين الوراق (٣٠)	
سبط الجوزى (٣١)	
سعد الدين التفتازانى (٣٣)	
سعد زغلول (٥٦)	
سحبان وائل (٦٣)	
سيف الدولة بن حمدان (٩٥)، (١١١)	
سيف الدين بن قزل المشد (٩٨)	
سعيد (١١٤)	
سعد (١٢١)	
سودان بن حمران (١٢١)، (١٢٢)	
ابوسعيد على بن موسى (٣٤)	
ابوسلمة سعيد بن يزيد (٨٨)	
ابوسفيان بن الحرت (١١٥)، (١١٦)	
ابن سرافه الشاطبي الأندلسى (٣٤)	

الظاهر بيبرس (٢٦) ، (٢٧) ، (٢٩) ، (٣٦)
ع
عبد الرحمن الداخل (٣) ، (٨)
عبد الملك بن سعيد (٥)
عتبة (١٥) ، (١٧)
عبد الرحمن خليفة (٢٠)
عثمان بن الحاجب (٣٥)
عز الدين اييك التركمانى (٣٦)
عمرو بن العاص (٣٦) ، (١١٥)
علم الدين سنجر الدوادرى (٣٦)
عييد حاج الأمين (٥٧)
على عبد اللطيف (٥٧) ، (٥٨)
عمرو بن عييد (٨٧)
عبد الصمد الرقاشى (٨٤)
على بن الجهم (٩٧) ، (١٤٠)
عائشة رضى الله عنها (١٠٢) ، (١١٤) ، (١٥٣)
عيسى بن مريم عليه السلام (١١١)
عثمان بن عفان رضى الله عنه (١١٣) ، (١١٧) ، (١١٨) ، (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٥٨)
عبد الرحمن بن ثابت (١١٤)
علقمه بن عبدة (١١٤)
عمرو بن الحزث الغساني (١١٤)
عبد الله بن الزبيرى (١١٥)
عمرو بن العاص (١١٥)
عبد الله بن رواحه (١١٥) ، (١١٦)
عمر رضى الله عنه (١١٧) ، (١١٨) ، (١١٩) ، (١٥٨) ، (١٥٩)

ص
صفى الدين الخلى (٣٣)
صالح أفندي بطرس (٦٨)
صناجة الدوح محمد بن القاسم (٩٤)
صالح عليه السلام (١٣٨) ، (١٥٨) ، (١١١)
صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها (١١٦)
الصاحب بن عباد (٩) ، (١٢٥)
الصفدى (٢٠) ، (٣٨) ، (٤٣) ، (٤٤)
، (٤٥) ، (٤٧) ، (٥٤) ، (٥٢) ، (٤٧) ، (٨١)
، (٨٣) ، (١٠٢) ، (١٠٦) ، (١٠٧)
(١٢٣) ، (١٢٥) ، (١٢٧) ، (١٣٥) ، (١٣٦)
، (١٤٥) ، (١٣٩) ، (١٣٨) ، (١٣٧)
، (١٤٩) ، (١٥٢) ، (١٥٨) ، (١٥٩)
(١٦٠) ، (١٦٥) ، (١٦٣) ، (١٦٦)
الصالح نجم الدين (٢٤) ، (٢٩) ، (٣٥)
الصولى (٨٢)
ط
طلحة (١٢١)
طه حسين (١٣٧) ، (١٣٩) ، (١٤٣)
طرفه (١٤١)
طالوت (١٥٣)
ابن طولون (٣٦)
الشيخ الطيب السراج (٦٦)
الشيخ الطيب أحمد هاشم (٦٨)
ظ
ابن ظافر (٨٢)

ابوعلى الروز بارى (٨٨)
ابو العتاهية (١٤٨)
ابن عمار (٨) ، (١٩)
ابن عبد ربه (٩) ، (١٢٤) ، (١٥٢)
ابن عبيد القاسم بن سلام (١٢)
ابن العجمي (٣٦)
ابن عطاء الله السكندرى (٣٧)
ابن عماد الحنبلي (٤٦)
ابن عبد البر (٨٢)
ابن عبد يا ليل بن عبد كلال (١٠٢)
ابن عباس (١٠٤) ، (١٠٦)
عبد الرحمن الناصر (٧)
العباس بن الأحنف (١٠١)
الشيخ عبد الغنى النابلسى (١٣٠)
العقاد (١٣٩)
غ
غردون ٥٥ ، ٥٧
ف
فرناند الفونس (٢)
فتح الدين بن سيد الناس (٤٢) ، (٤٣)
فيشر (٦٥)
فخر الدين الرازي (٨٢)
فرعون (١٥٨)
أبي الفتح ابن سيد الناس (٤٢)
أبي الفرج الأصفهانى (٨٢) ، (١٦٥)
أبا فرعون العدواني (٨٥)

عبد الرحمن بن عوف (١١٨)
عمار بن ياسر (١١٩)
عبد الله بن مسعود (١١٩)
عبد الله بن السرح (١١٩) ، (١٢٠)
على بن أبي طالب (١١٩) ، (١٢١) ، (١٥٨)
عبد الرحمن بن عديس البلوى (١٢١)
عمرو بن الحمق الخزاعى (١٢١)
عمرو بن حزم الأنصارى (١٢٢)
عمارة اليمنى (١٣٨)
عدى بن زيد (١٤٠)
عبد القادر الجرجانى (١٤٤)
عمرو بن الأهم المقرى (١٤٦)
عمر بن سعد (١٥٣)
عنترة (١٥٩)
عمر بن عبد العزىز (١٦١)
عبد القادر القط (١٦٣)
أبي على القالى (١٧) ، (٦٥)
أبي العرب الصقلى (٨)
أبو العباس أحمد بن حمد بن ذكوان (١٠) ، (١١) ، (١٣)
أبو عامر بن عبدوس (١٥) ، (١٧) ، (٢٠)
أبو عبد الله بن القلاس (١٥)
أبو عبد الله الذهى (٤٢) ، (٤٣) ، (٥٣) ، (١٣٥)
أبو العلاء المعرى (٦٥) ، (٨٩)
أبي عبيد البكرى (٨٢)
أبي عثمان المازنى (٨٥)

كافدر الاخشيري	(١١٢) ، (١١١) ، (١١٢)
كعب بن مالك	(١١٥) ، (١١٦)
كنانة بن بشير	(١٢١)
ابن كثير	(٣١) ، (٣٧) ، (٤٢) ، (٤٤) ، (٥٣)
	، (٨٣)
ابن كلس " ابو الفرج يعقوب "	(٤٩)
الكامل بن العادل	(٣٥)
ل	
لاجين	(٢٩)
لؤلؤ	(١١١)
م	
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم	(٤٥) ، (٤٦) ، (٨٦)
	، (٨٧) ، (٨٨) ، (٩٤) ، (١٠٢) ، (١٠٣) ، (١٠٣) ، (١٠٤) ، (١١٥) ، (١١٤) ، (١٠٦) ، (١٠٥) ، (١٠٤) ، (١١٧) ، (١١٨) ، (١١٩) ، (١١٩) ، (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٢١) ، (١٣٧) ، (١٥٨) ، (١٦١) ، (١٦١) ، (١٦٢) ، (١٦٤) ، (١٦٤) ،
محمد بن عباد اللخمي	(١)
موسى بن نصیر	(٣)
د. مصطفى الشكعة	(١٨)
محمد بن دانيال	(٣٠)
مالك	(٣٤)
محمد بن علي بن الصباغ	(٣٤)
موسى بن العادل الأيوبي	(٣٧)
محمد كرد	(٤٥) ، (١٢٥)
محمد أحمد المهدى	(٥٥)
محمد أمين هديب	(٥٧)

أبي الفضل طاهر بن الفقيه المحدث	(٨٩)
أبو فراس بن حمدان	(٩٦) ، (١٠١) ، (١٣٤)
أبو الفتیان بن حیوس	(٩٧)
أبو الفتح نصر بن سیار	(٩٨)
أبو الفتتح عثمان بن جنى	(١٤٣)
القاضی الفاضل	(٣٥)
الشيخ فؤاد الخطیب	(٧٠) ، (١٤٣)
الفتح بن خاقان	(٨٢)
الفرزدق	(٨٦) ، (٨٧)
الفضل بن الربیع	(٩٩)
ق	
قتادة	(٩) ، (١٢٤)
قطر	(٢٦) قاسم بن ثابت (٨٢)
قطر	(٢٦)
أبو القاسم محمد بن أحمد	(٣٤)
أبو القاسم بن أحمد بن هاشم	(٦٩)
ابن قلاقس	(١٠٠)
ابن قتيبة	(١٥٢)
القلشقندی	(٤٠)
الأستاذ القباني	(٦٥)
القسطلاني	(٨٣)
القيصر	(١٣٤) ، (١٣٥)
ك	
کامل کیلانی	(٢٠)
کنیغا	(٢٩)
کسری أنور شروان	(٣٦)

ابن مرتين	(١٩)
ابن معطى	(٣٤)
ابن المقفع	(١٤٣) ، (٦٦)
ابن مسعود	(١٠٣) ، (١٠٤)
ابن المعتر	(١٤٨)
ابن المعلم	(١٤٨)
المعتمد بن عباد	(٢) ، (٨)
المقرى	(٥) ، (١١) ، (١٤) ، (٣٤)
الإمام مالك	(٧)
المتنبى	(٧) ، (٩٣) ، (٩٤) ، (٩٥) ، (١٠٩) ، (١١٠) ، (١١٢) ، (١٣٠)
المعتصم بن صمادح	(٨)
المنصور بن أبي عامر	(٩)
المعتضد بن عباد	(١٣) ، (١٨) ، (١٩) ، (٢٠)
المستكفى	(١٤)
المظفر بن الأفطس	(٢)
المقرizi	(٢٥) ، (٢٨) ، (٢٩) ، (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦)
المنصور قلاوون	(٢٧)
المعز ل الدين الفاطمي	(٣٧)
الشيخ محمد المجنوب الطاهر	(٧٤) ، (٧٥) ، (٧٦)
الشيخ محمد مدني السواكتي	(٧٦)
المسعودي	(٨٢)
المهدي	(٩٩) ، (١٠١)
المؤمن	(١٠٠) ، (١٠٣) ، (١٣٥)
المؤمل بن أميل	(١٠٠)
المنذر	(١١٤)

محمد أحمد محجوب	(٥٩)
محمد النشاشيبي الإبراهيمي	(٦٥)
محمد عبد القادر حمنة	(٦٦)
محمد توفيق دياب	(٦٦)
ميخائيل نعيمة	(٦٦)
محمود سامي البارودي	(٦٦)
مانسيون	(٦٥)
محمد عبد الرحيم	(٦٧)
محمد أمين قراعة السيوطي	(٦٩)
مسدد	(٨٨)
مطرف بن عبد الله بن المولى	(١٠٠)
مسلم بن الوليد	(١٠٠)
مهيار	(١٠١)
مسلم	(١٠٣) ، (١٠٤) ، (١٠٥)
معاوية بن أبي سفيان	(١١٧)
مروان بن الحكم	(١١٨) ، (١١٩) ، (١٢٠) ، (١٢١)
محمد بن أبي بكر	(١٢٠) ، (١٢١) ، (١٢٢)
محمد البسيوني	(١٣٠)
معاوية محمد نور	(١٣٧) ، (١٦١)
د. محمد زكي العشماوي	(١٤٤)
موسى عليه السلام	(١٥٣) ، (١٥٨)
محي الدين بن عبد الظافر	(١٥٩)
ابو محمد عبد الله بن احمد	(١٧)
أبو المنيع قراوش	(٩٧)
أبو موسى الأشعري	(١٠٦)
ابن المعتمد	(١٩)

الوليد بن المغيرة (١٠٤)
الوليد بن عقبة (١١٨)
ي
يوسف بن تاشفين (٢)
يحيى بن يحيى الليثي (٧)
يونس الدبوسي (٤٣)
ياقوت الحموي (٨٢)
يوسف عليه السلام (١٣٧)
يزيد بن معاوية (١٤٨)، (١٦١)

المتوكل (١٤٠)، (١٤١)، (١٥٨)
ن
نور الدين محمود زنكي (٣٥)
ناصح الدين أبي بكر أحمد الأرجاني (٩٢)
نصيب (٩٩)
نيار بن فيض (١٢٢)
نوح عليه السلام (١٥٣)، (١٥٨)
ناصر الدين حسن بن شاور (١٥٩)
أبي نواس (١٥)، (٨٤)، (٨٥)
ابن نباته (١٥)، (٤٢)، (٢٧)
ابن النباع الليثي (١٢١)
السلطان ناصر حسن (٢٩)
النابغة الذبياني (١١٤)، (١٥٩)
هـ
هولاكو (٢٦)
هشام بن الوليد بن المغيرة (١١٩)
أبو هلال العسكري (٩٣)، (١٣٠)
ابن المداهيد (١٠)
و
وليد الخازن (١٢)، (١٣)
ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن (١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨)، (٢٠)
وحيد الأيوبي (٦٠)
أبو الوليد أحمد بن عبد الله (١٠)
أبي الوليد بن جهور (١٣)، (٧٠)، (١٢٣)
ابن الوردي (٣٢)

فهرس المآخذ والبقاء

<p>(د)</p> <p>بحر قزوين (٢٥) بين القصرين (٣٦) بريطانيا (٥٥ ، ٥٧ ، ٥٦) بورتسودان (٥٧) البصرة (٨٥) البعيغ (١١٢)</p> <p>(ت)</p> <p>تمامة (٢٣) تركيا (٥٦) التونجة (٦٤)</p> <p>(ج)</p> <p>الجامع الأزهر (٣٧) جيل قاسيون (٣٧) الجزائر (٦٥) جزيرة الروضة (٢٤) الجوزاء (١١٢)</p> <p>(ح)</p> <p>الحجاز (٢١ ، ٢٣ ، ١٤٨) حلب (٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠) الخطيم (١٠٠) حمص (١١١) حراء (١٢١)</p> <p>(خ)</p> <p>الخرطوم (٥٥ ، ٦٤ ، ١٤١) خزان سنار (٧٣) الخندق (١١٦)</p>	<p>(د)</p> <p>الأندلس (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) ٢٠٠ ، ١٤٠ ، ١١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ١٣١ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ٣٤ ، ٣٣ ،</p> <p>إسبانيا (٣) إسبانيا (٢) اسپانيا (٣)</p> <p>اشبيلية (٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) الأرمي (٢١)</p> <p>آسيا الصغرى (٢١) الأردن (٢٣ ، ١١٨)</p> <p>إسرائيل (٢٣) الأنباط (٢٣)</p> <p>أوروبا الشمالية (٢٥) أنبابة (٣٢)</p> <p>أربيل (٣٤) أسيوط (٣٧)</p> <p>أم درمان (٥٥ ، ٥٧ ، ٦٣) أفريقيا (٥٥ ، ١١٨)</p> <p>أصطخر (١١٨) الأساورة (١١٨٠)</p> <p>(ب)</p> <p>بغداد (٦ ، ٧ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٢٩ ، ٢٦ ، ٢٣ ، ٣٤) بلاد التوبة (٢١ ، ٦٣ ، ٢٧ ، ٢١ ، ١٥٠)</p> <p>البحر الأبيض المتوسط (٢١ ، ٢٣) البحر الأحمر (٢١ ، ٢٤ ، ٥٥)</p>
---	---

صقلية (٨)	
صفد (٣٩)	٤٠ ،
الصوفية (٤٠)	
(ط)	
الطور (٢٢)	
طرابلس (٢٧)	
طنطا (٣٢)	
الطائف (١١٨)	
طبرستان (١١٨)	
(ع)	
العراق (٩)	١٢٤ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢١
العاصي (٢٣)	
عين جالوت (٢٦)	
عكا (٢٧)	
عطبرة (٥٧)	
العقبة (١٥٣)	
(غ)	
غرناطة (١٠)	
(ف)	
الفرات (٢٢)	١٦٢ ، ٢٣ ،
فلسطين (٢٣)	
الفسطاط (٣٦)	
(ق)	
قرطبة (٣)	١١ ، ١٠ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٤ ،
	٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٢ ،
القاهرة (٦)	٣٤ ، ٣٢ ، ٢٥ ، ٢١ ، ٢٠ ،

(ج)	
دمشق (٦)	٣٥ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٢٦ ، ٢٥ ،
	١١٤ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٧ ،
دمياط (٢١)	
دجلة (٣٣)	
دار الحديث الظاهيرية (٣٧)	
دار الحديث الأشرفية (٣٧)	
(ج)	
الرصافة (١١)	
رشيد (٢١)	
الرافدين (٢٣)	
(ن)	
الزلاقة (٢)	
زمزم (١٠٠)	
(س)	
سامم (١١)	
السروات (٢٣)	
السودان (٢٧)	٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ،
	٧٣ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٥٩ ،
	١٥٠ ، ١٢٥ ،
سابور (١١٨)	
سجستان (١١٨)	
(ش)	
الشام (٩)	٣١ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ٢١ ،
	١٢٤ ، ١١٠ ، ٤٠ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٣٣ ،
(ص)	

<p>(ن)</p> <p>النيل (٢١ ، ٢٢) الناصرية البرانية (٣٧) الناصرية الجوانية (٣٧) النيلين الأبيض والأزرق (١٤١)</p> <p>(ه)</p> <p>الملال الخصيب (٢١)</p> <p>(و)</p> <p>وداي القرى (٢٣)</p> <p>(ي)</p> <p>اليمن (٢١ ، ١١٤) الدولة الأيوبيّة (٢٤)</p>	<p>٤١ ، ٤٠ ، ٣٧ ، ٣٥ ، القيروان (٨) القوقاز (٢٥) قلعة الروم (٢٧) القوص (٣٧)</p> <p>(ك)</p> <p>كعان (٢٣) كسلا (٦٣) كلية غردون (٧٠) الكوفة (١١٠ ، ١١٨) كرمان (١١٨)</p> <p>الكعبة (١٢١) ، ١٥٠ ، ١٥٤</p> <p>(م)</p> <p>المغرب (٢) ، ٣ ، ٣٣ المدينة المنورة (٧) ، ٢٣ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١١ ، ٩٤</p> <p>١٢١</p> <p>٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٧)</p> <p>مكّة (٢٣) ، ١٣٧</p> <p>المسجد الأموي (٣١) ، ٥٧</p> <p>المقدس (٣٤)</p> <p>مالطة (٥٦) ، ٥٧</p> <p> محلّة روح (٣٦)</p>
--	--

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ابن زيدون — د. شوقي ضيف — طبعة دار المعرفة بيروت — ١٩٥٣ م .
- ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه — وليم الخازن — بوليم : دار الحياة اللبنانيه ● ، " ١٩٦ م ."
- ابن عربى المالكى الاشبيلي وتفسیره أحكام القرآن — د. مصطفى ابراهيم المشنى — دار الجليل بيروت — دار عمار عمان .
- الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه — مصطفى الشكعة — بيروت : دار العلم للملائين — ١٩٧٩ م .
- الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة — د. أحمد هيكل أستاذ الأدب بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة ١٩٨٦ م — دار المعرفة .
- الأدب في العصر المملوكي تأليف د. محمد زغلول سلام — أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية — دار المعرفة بمصر .
- الأسس الجمالية في النقد العربي — عرض وتفسير ومقارنة — عز الدين اسماعيل ط ١ القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٥٥ م .
- الأسلوب — أحمد الشايب ط ٣ مكتبة النهضة المصرية الاسكندرية ١٩٣٩ م .
- أصول النقد الأدبي — تأليف أحمد الشايب الأستاذ بجامعة القاهرة سابقاً ١٩٩٩ م — مكتبة النهضة المصرية .

- الأغاني تأليف أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين - ٣٥٦ هـ - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- انتشار الإسلام في القارة الإفريقية - د. إبراهيم حسن - مكتبة النهضة الإسلامية - طبعة ثانية ١٩٦٣ م .
- البداية والنهاية - ابن كثير - أبي الفداء الحافظ - ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكياني المتوفي ١٢٥٠ هـ - المجلد الأول - دار المعارف للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- البيان والتبيين ، الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط ٣ ج ١ - الناشر مكتبة الحانجي القاهرة ومكتبة الملال بيروت - المكتب العربي بالكويت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- تاريخ الأدب العربي - جرجي زيدان .
- تاريخ الثقافة العربية في السودان - عبد المجيد عابدين .
- تاريخ الحركة الوطنية في السودان - بروفيسور محمد عمر بشير - الخرطوم - الدار السودانية للطباعة والنشر - طبع دار الفكر بدمشق ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- تاريخ السودان الحديث - ضرار صالح ضرار - طبعة ثالثة ١٩٧٥ م - الدار السودانية للكتب .

- تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر – دراسة في التطورات والإتجاهات السياسية
 - د. أحمد طربين أستاذ في كلية الآداب جامعة دمشق – مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٩٤ م.
- تاريخ النقد الأدبي إلى القرن الرابع الهجري – د. محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر .
- التحاني يوسف بشير الشاعر السوداني (دراسة نقدية في تحريره الشعرية) تأليف بدر الدين هاشم أبو القاسم – طبعة أولى – المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- قام المتون في شرح رسالة ابن زيدون – لخليل بن أبيك الصفدي – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية صيدا – بيروت ١٩٩٨ م .
- جذور الوحدة الوطنية في السودان – د. الطاهر محمد علي الخرطوم ١٤٠٠ هـ .
- جريدة حضارة السودان – العدد (٤٨) – ٢٠ يونيو ١٩٢١ م .
- جريدة الرأي العام السودانية – العدد ٢٨٠٤ بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠٥ م – ملحق الرأي العام الثقافي .
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
 - أحمد بن ابراهيم الهاشمي .
- حكم ابن عطاء الله ، شرح العارف بالله الشيخ أحمد رزق – تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف – مكتبة النجاح .

- الحيوان - المحافظ - تحقيق عبد السلام هارون - الجمع العلمي الاسلامي -
بيروت ط ٣ - ١٣٨٨ هـ .
- خصام ونقد د. طه حسين - الطبعة الرابعة - دار العلم للملائين - بيروت .
- ديوان بن زيدون - حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري - دار الجيل - بيروت .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - تأليف الامام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني - المجلد الأول (١ - ٢) منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون - أبو بكر محمد عليم .
- ديوان اشراقة - للتجانى يوسف بشير - بيروت - لبنان - الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ
١٩٨٧ م .
- ديوان الحقائق ومجموع الرقائق - الشيخ عبد الغنى النابلسى - دار الجيل بيروت -
دار عمار عمان .
- رسالة في علم الموسيقا - صلاح الدين الصفدي - (٦٩٦ هـ - ٧٦٤ هـ) -
(١٢٩٦ م - ١٣٦٣ م) - دراسة وتحقيق د. عبد الجيد دياب ، والأستاذ عبد الملك
خشببة .
- رواد الفكر السوداني - محجوب عمر باشرى - دار الفكر - الخرطوم - دار العالم
الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨١ م .

- سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون — لابن نباته المصري — المطبعة الأميرية ، مصر ١٢٧٨ هـ ، ١٨٦١ م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك / تأليف أحمد علي المقرizi ، تحقيق محمد عبد القادر عطا : ط ١ بيروت — دار الكتب العلمية ، ١٩٧٧ م .
- السودان بين عهدين — سعد ميخائيل — د . ت و مكان طبعه .
- الشاطئ الصخري : شعر / حسين منصور : القاهرة : (د . ن) ، (١٦٩٠ م) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ م — منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت .
- شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوني ، الجزء الرابع ، الناشر — دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان .
- الشعر الحديث في السودان — عبده بدوي — المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم — رسالة ماجستير ١٩٥٣ م .
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك المتوفي ٥٥٧٨ هـ ، ١١٨٢ م) .
- الصور الفنية في الشعر العربي مثال ونقد — ابراهيم بن عبد الرحمن الغnim — الشركة العربية للنشر والتوزيع — القاهرة .
- طبقات الشافعية الكبرى الجزء السادس (الطبعة الثانية) دار المعارف والنشر والتوزيع (بيروت — لبنان) .
- العقد الفريد تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي — دار الكتاب العربي — بيروت لبنان .

- الفن التشكيلي د. محمد البسيوني ط ١ عالم الكتاب القاهرة ١٩٨٠ م .
- في الأدب الأندلسي – تأليف جودت الركابي – أستاذ ذو كرسى – بجامعة دمشق – ط ٢ – دار المعارف بمصر .
- قصة الأدب في الأندلس – محمد عبد المنعم خفاجة – منشورات مكتبة المعرف – بيروت ١٩٦٢ م .
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د. محمد زكي العشماوى أستاذ النقد الأدبي بجامعة الاسكندرية الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م .
- قلائد العقيان في محسن الأعيان – الفتح بن خاقان – مصورة عن طبعة باريس .
- كتاب الصناعتين – ابو هلال العسكري – تحقيق محمد البحاوي و محمد أبو الفضل ط ١ – دار إحياء الكتب بمصر ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م .
- لباب التأويل في معانى التنزيل – لأبي الحسن علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن – طبعة دار الكتب العلمية (ب.ت).
- لحن العامة والتطور اللغوي – د. رمضان عبد التواب .
- لسان العرب لابن منظور – تحقيق الأستاذة : عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشازلي – دار المعارف .
- مجلة ابولو يناير ١٩٣٣ م – العدد ٥٦٧ .
- مجلة العربي العدد ٥٣٩ شعبان ١٤٢٤ هـ – أكتوبر تشرين أول ٢٠٠٣ م .
- مدن إسلامية في عهد المماليك – ابرا لابدوس- الأهلية للنشر والتوزيع .
- مسالك الأ بصار (دولة المماليك الأولى) تحقيق دورئيا كرافولسكي طبع المركز الإسلامي للبحوث بيروت ١٩٨٦ م .
- مصادر التراث العربي – عمر الدقاد – مكتبة دار الشرق بيروت ١٩٧٢ م .

- المصادر الأدبية في التراث العربي – د . عز الدين اسماعيل – دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي (طبعة فريد الرفاعي) .
- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية – تأليف عمر رضا كحالة – المجلد الثاني – الناشر مكتبة المثنى بيروت – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الجزء ٤٠ / ٣) .
- موت دنيا محمد أحمد المحجوب وعبد الحليم محمد – مصر – مطابع دار أخبار اليوم – ١٩٤٦ م .
- مؤلفات معاوية محمد نور – الجزء الأول دراسات في الأدب والنقد – الطبعة الأولى ١٩٧٠ م – قسم التأليف والنشر – جامعة الخرطوم .
- النجوم الزاهرة – جمال الدين أبي المحسن يوسف بن تعري برمي الآتابكي – دار النشر وزارة الثقافة مصر .
- نظرات في أصول الأدب والنقد د. بدوي طبانة – شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .
- نظرية اللغة في النقد الأدبي – د. عبد الحليم راضي – كلية الآداب جامعة القاهرة – الناشر مكتبة الخانجي بمصر .
- نظم دولة سلاطين المماليك – الدكتور عبد المنعم ماجد – الجزء الاول .
- نفثات اليراع / محمد عبد الرحيم:- الخرطوم – شركة الطبع والنشر ، (١٩٣١ م) .
- نفح الطيب / تأليف أحمد المقرئ المغربي المالكي / الأشعري – القاهرة – مكتبة عيسى البابي وشركاه ، ١٩٣٦ م .